هذا الكتاب عبارة عن تحقيق صحفى عميق سهل القراءة حول كومونة شعبية رائدة فى الصين .

وقصة نضال تشيليينغ ونموها عبر ١٥ عاما صورة طبق الاصل عن سائر الكومونات الشعبية ، لذلك يمكنها ان تساعد القراء على ان يفهموا طبيعة هذه التنظيمات الجماعية الاشتراكية الجديدة وتركيبها ووظائفها ومميزاتها ، وان يفهموا حياة وعمل ونظرة الملايين الستمائة من سكان الريف المنظمين فيها والذين يشكلون حوالى اربعة اخماس سكان الصين .

ان زراعة الصين التى توفر الغذاء لاكبر البلاد تعدادا فى العالم هى اساس اقتصادها الوطنى . ومؤلفا هذا الكتاب يوضحان كيف تظهر فى الكومونات روح الاعتماد على النفس والنضال الشاق التى تشكل قوة دافعة لتقدم الصين .

وتسرد هذه القصة من خلال تسلسل زمنى المعالم العامة للكومونة واحوال بعض القرى النموذجية

واعمال الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم واحوال الميليشيا والشباب والنساء ونشاطات التسلية والطب والصحة .

ان بناء الاشتراكية هو نضال ضد الاعداء الطبقيين والخطوط الخاطئة والآراء المغلوطة ، كما هو نضال ضد الطبيعة . وفى هذا النضال يغير الناس العالم الموضوعى كما يغيرون انفسهم . ونعلم من خلال الاحداث والشخصيات الحية الكثيرة كيف يقود الحزب الشيوعى الصينى فلاحى الصين الى الامام على هدى الخط الثورى للرئيس ماو ، وكيف تغرس الافكار الاشتراكية جذورها اعمق واعمق فى عدد لا يحصى من القلوب والعقول .

طبع الكتاب ايضا باللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية واليابانية والفيتنامية .

الغلاف الامامى والخلفى :
منظر للكومونة
بريشة تسو تشنغ تساى من ابناء تشيليينغ

في كومونة شعبية

استطلاع تشيليينغ

بقلم : تشو لى ، تيان جيه يون

دار النشر باللغات الاجنبية
بكين ١٩٧٦

مكتبة ماو تسي تونغ للعرب
https://sites.google.com/site/maoforarab

نسخه للإنترنت بواسطة الماسح الضوئي: الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com

تنبيه من الناسخ الالكتروني

تتضمن خاتمة هذا الكتاب نعوت مسيئة للرفيق الخالد لين بياو، قام الصوت الشيوعي بإزالتها، حيث تظهر كمساحة فارغة في السطر رقم (١٢) من الصفحة الورقية رقم (٢٧٢) . لهذا اقتضى التنويه

الرئيس ماو تسيتونغ خلال جولته التفقدية
فى ارياف مقاطعة خنان عام ١٩٥٨

طبع فى جمهورية الصين الشعبية

خريطة توضيحية لكومونة تشيليبنغ الشعبية

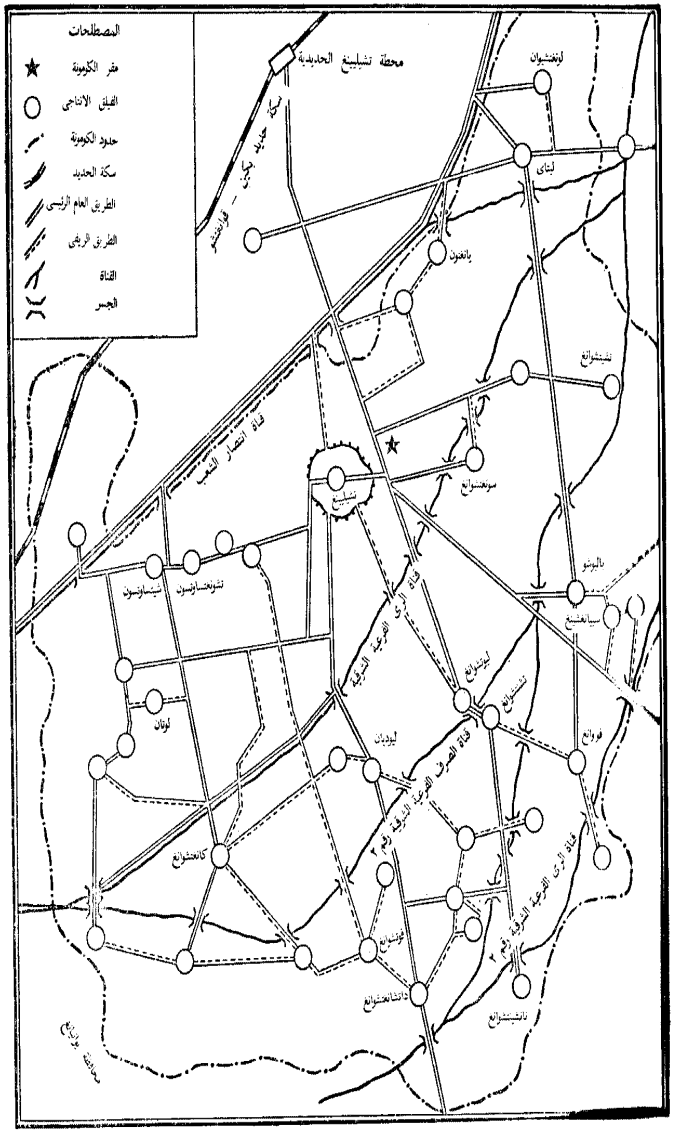

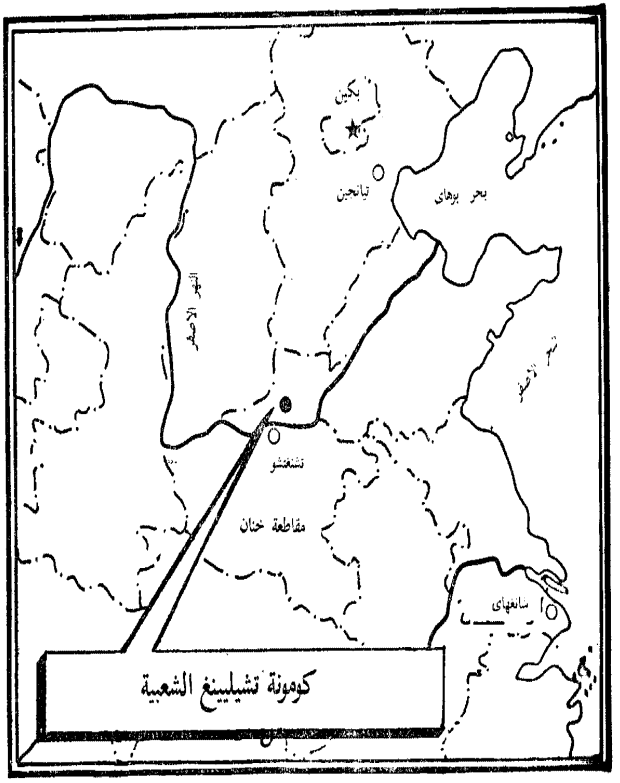
بكين
تيانجين
بحر بوهاى
النهر الأصفر
تشنغشو
مقاطعة خنان
شانغهاى
كومونة تشيليينغ الشعبية

الفهرس

مقدمة ١

١ – ميلاد الكومونة ونموها ٦

من اين جاء الاسم ؟ – ما هى الكومونات الشعبية ؟ – انتاج مرتفع من الحبوب والقطن – سهل قاحل اصبح ارضا مروية – الكفاح ضد الكوارث الطبيعية – كل يساعد الآخر – حجر الزاوية ، الخط الصحيح

٢ – العلم يدخل ميدان الزراعة ٣٩

"هيئة الاركان" – تنبؤ عن الحشرات الضارة – سلالات البذور الجيدة – الزراعة المكثفة – ديالكتيك الزراعة

٣ – قرية ليوتشوانغ – ملامح جديدة واناس جدد ٥٧

ملامح جديدة – حبوب مخزونة – عائلة كبيرة غنية – الجيش الصناعى فى الزراعة – "البيت الكبير" والبيوت الصغيرة – الروح الجديدة لاعضاء الكومونة – الجيل الجديد

٤ – شى لاى خه – كادر من القاعدة ٧٩

اول رجل ميليشيا فى القرية – زجاجة من العسل – درس قاس – خبير فلاح فى زراعة القطن – الصراع ضد الطبيعة

٥ – صناعات الكومونة ١٠١

الاستجابة الدائمة للمتطلبات الجديدة – الاصلاح هو المهمة الاولى – تدريب سائقى الجرارات تدريبا شاملا – تخفيف الاعباء عن كاهل النساء – جيل جديد من العمال

٦ – التجارة الريفية ١١٦

الارتفاع المستمر للقدرة الشرائية – شبكة تجارية ريفية – كيف تقود الكومونة التجارة – رباط قوى لتحالف العمال والفلاحين – بين الدولة واعضاء الكومونة

٧ – مدرسة تقنية زراعية ١٣٦

وليدة الثورة الثقافية الكبرى – الاعتماد على النفس والعمل الشاق – الدراسة والعمل والتجربة العلمية – تدريب فلاحين من نوع جديد – تدريب البيطريين – الخريجون يتجهون الى المحافظات الاخرى

٨ – ميليشيا الكومونة ١٦٠

تقليد ثورى مجيد – التدريب العسكرى – تأييد جماهيرى – تدعيم دكتاتورية البروليتاريا – فرقة الصدام فى الانتاج – التعلم من جيش التحرير

٩ – "قرية سونغشوانغ الصغيرة" لم تعد فقيرة ١٨٠

الخط البيانى المرتفع – الخطوة الاولى – الثقة بالنفس والتواضع – تفاؤل ثورى – القوة الدافعة لصعود قمم جديدة

١٠ – قائد فرقة شاب ينضج تدريجيا ٢٠٢

تطوير الديمقراطية والاعتماد على الجماهير – التعلم من الآخرين بتواضع – التمسك بالصراع الطبقى تمسكا حازما – الخط الثورى هو المهم

١١ – فرقة فنية للهواة الفلاحين ٢٢٠

يفعلون كل شىء بأنفسهم – حياة الشعب مصدر الفن – سلاح قوى – اتباع مبدأ صحيح – خدمة الشعب بكل امانة واخلاص

١٢ – النساء يحملن على كواهلهن "نصف السماء" ٢٣٧

الدور العظيم للنساء – تدريب الكادرات – عوائل ديمقراطية ومنسجمة – صراع طويل

١٣ – شبكة الخدمات الطبية والصحية ٢٥١

السنوات المريرة – بعد التحرير – توجيه ثقل الاعمال الى

الارياف ـ الخدمة الطبية التعاونية ـ وضع الوقاية فى المقدمة ـ
تحديد النسل ـ الاطباء الحفاة

خاتمة ٢٧٠

مقدمة

جاء فى الدعوة التى وجهت الينا ما يلى : "يعقد يوم ٦ اغسطس ١٩٧٣ اجتماع للاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة عشرة للزيارة التفقدية التى قام بها الرئيس ماو ، وانتم مدعوون للحضور ." وكانت الدعوة موقعة من قبل "كومونة تشيليينغ الشعبية ، محافظة شينشيانغ ، مقاطعة خنان ."

كنا سعداء للغاية بقبول هذه الدعوة مرحبين بزيارة هذه الكومونة مرة اخرى ، فقد كان حنيننا الى الكومونة يطغى على قلوبنا منذ ان زرناها فى المرة الاخيرة .

قبل ثلاثة اعوام ، عندما كنا نتمرس فى مدرسة "سابع مايو" لكوادر دار النشر باللغات الاجنبية ، قضينا اسبوعا واحدا فى كومونة تشيليينغ القريبة منا . ولا ننسى تلك الايام الخالدة التى عملنا فيها مع اعضاء الكومونة وتعلمنا الكثير منهم .

قمنا معهم جنبا الى جنب بازالة الثلوج من حقول القطن وتسويتها . وكان شبان الكومونة يعملون بحيوية بالغة الى درجة انهم خلعوا ملابسهم الخارجية رغم البرد القارس .

وكثيرا ما كان اعضاء الكومونة يدعوننا الى منازلهم حيث يقدمون لنا وجبات وافرة من الرز مع اربعة الوان من الصحاف ، او يقدمون لنا "الجوزة" (المعجنات المحشوة بالخضر واللحم المفروم) او الكعكات المقلية ، وتحدثنا معهم كثيرا . لقد اخبرنا احدهم انه قام ببناء مسكن جديد لابنه وكنته المستقبلة . وقال لنا آخر عن رسالة وصلته من ابنه فى الجيش ، وبضمنها شهادة لمدح خدماته الممتازة ، كما حدثنا عن ابنته التى ستتخرج عما قريب من المدرسة الثانوية . وكانت وجوه مضيفينا الفلاحين مشرقة وهم سعداء بحياتهم الجديدة .

حملنا نحن مئات الرفاق الحفتنا وتبعثرنا فى عدة قرى . بعضنا سكن فى المكاتب ، وبعضنا الآخر فى بيوت اعضاء الكومونة . وحيثما اقمنا وجدنا نيران الموقد متقدة والغرف دافئة ترحب بنا .

جاءت فى المساء امرأة متقدمة فى السن الى الغرفة التى يقيم فيها بعض رفاقنا تحمل لحافين سميكين جديدين ، وقالت : "ان البرد هنا اشد من المدينة ، وانتم فى حاجة اليهما ، اذ يجب الا يصيبكم البرد ." وبعد تقديم شكرنا على اهتمامها حاولنا رفض قبول ذلك ، ولكن دون جدوى . ولم تمض فترة قصيرة حتى حضرت ربات منازل اخريات وبنات يحملن لنا الحفة اكثر . واخيرا صار كل واحد منا تقريبا مغطى بلحافين . كنا متمتعين بالدفء وقلوبنا تتوهج ، فاستعاد كثير منا الى ذاكرتهم قصصا مثيرة مما سرده الكوادر المحنكون او ما وصفته الافلام والاعمال الادبية حول عناية الجماهير الحميمة بالكوادر خلال سنوات

الحرب الثورية .

لقد استمعنا الى حديثين حيين قدمهما احد نواب رئيس الكومونة وكادر من كوادر فيلق الانتاج حول خبرتهما فى تنظيم اعضاء الكومونة وقيادتهم فى الحركات الثورية الثلاث – الصراع الطبقى والنضال فى سبيل الانتاج والتجربة العلمية . وتحدثا بصورة واقعية وعميقة ، وتعلمنا منهما اشياء جديدة وكثيرة .

ان كل كومونة شعبية هى عبارة عن خلية فى ريف الصين الشاسع . وكل من يساهم فى حياتها لفترة من الزمن يجد نفسه فى عالم شيق متعدد الجوانب لا يرى جليا من الخارج .

كان الاسبوع الذى قضيناه قصيرا للغاية لم يمكننا الا من رؤية السطح وحده . وعندما ودعنا اعضاء الكومونة عبرنا عن الرغبة فى العودة اليها مرة اخرى .

وهكذا وجهت الينا الدعوة لزيارة كومونة تشيليينغ الشعبية مرة ثانية ، فى عيدها الذهبى . حضرنا الحشد الجماهيرى ، وشاهدنا تمرينات الميليشيا والعروض الموسيقية والمسرحية . وساهمنا مع الاعضاء فى الاحتفالات البهيجة التى استعادوا فيها ذكريات لا تنسى ، واستعرضوا منجزات الكومونة منذ تأسيسها ، وحددوا اهدافا ارقى للمستقبل . ولم نحقق امنيتنا القديمة بالعودة فحسب ، بل رتبنا للبقاء مدة شهرين حتى يمكننا ان نكتب حول هذه الكومونة الرائدة لاصدقائنا خارج الصين .

ان المناطق الريفية فى الصين الجديدة تنتج كل الحبوب التى

تحتاج اليها لغذاء سكانها فى المدن والارياف وهو اضخم تجمع سكانى فى العالم . كما تفى بحاجة تطور صناعة البلاد واستهلاك الجماهير الشعبية من القطن والبذور الزيتية وغيرهما من المحاصيل الاقتصادية . فمن الواضح جدا ان عمل الكومونات التى تعتبر الوحدات القاعدية فى تنظيم الانتاج الزراعى له اثر مباشر على الاقتصاد الوطنى وحياة الشعب .

ينتظم فى الكومونات اكثر من ستمائة مليون من فلاحى الصين وهم يشكلون ٨٠ بالمائة من سكانها . والكومونات الشعبية ليست منظمات اقتصادية جماعية فحسب ، بل ايضا وحدات قاعدية للسلطة السياسية فى الريف . وكل من يود التعرف على الصين اليوم لا بد ان يكون له بعض الالمام بالكومونات الشعبية .

والقضايا التى كنا نود القاء مزيد من الضوء عليها فى هذه الزيارة هى :

كيف نشأت الكومونات الشعبية وتطورت ؟ فيم تتضح خصائصها ؟ كيف تجمع الكومونات الشعبية بين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشؤون العسكرية تحت قيادة موحدة ؟

كيف تعالج الكومونات الشعبية الصراع الطبقى المعقد فى الريف ، وخطر الكوارث الطبيعية والمشاكل العديدة التى تنجم فى الانتاج الزراعى وفى حياة اعضائها ؟

ما الذى فعله الجيل القديم من كوادر الفلاحين خلال ربع القرن الماضى منذ تحررت الصين فى عام ١٩٤٩ ؟ وكيف هم الآن ؟ كيف

يربون كوادر جددا من الجيل الجديد ؟

كيف يغير فلاحو الصين الذين ينتظمون فى الكومونات الشعبية ، العالم الموضوعى وانفسهم على حد سواء ؟ ما هى الاختلافات فى كل وجه من اوجه العمل والحياة بالمقارنة مع الايام السالفة عندما كانت الزراعة فردية ؟ وما هى افكارهم واتراحهم وافراحهم ؟

.....

لقد ذهبنا الى كومونة تشيليينغ ، وفى رؤوسنا اسئلة عديدة كهذه . وهناك تحدثنا مع كثير من الناس المنخرطين فى انواع كثيرة من الاعمال. لا ندعى بأننا حصلنا على كل الاجوبة ، الا اننا تعلمنا كثيرا واتسع افقنا .

وبالتبليغ عما شاهدناه وسمعناه فى كومونة تشيليينغ الشعبية – واحدة من الكومونات الشعبية الرائدة فى الصين – نأمل ان نقدم بعض المساعدة الى الاصدقاء الذين يودون مزيدا من المعرفة حول ريف الصين الشاسع .

تشو لى وتيان جيه يون

١

ميلاد الكومونة ونموها

فى ٦ اغسطس ١٩٥٨ وقفت سيارة زرقاء فاتحة اللون امام مبنى مكتب كومونة تشيليينغ الشعبية فى مقاطعة خنان ، وترجل منها رفيق قيادى قوى البنية وعلى وجهه ابتسامة لطيفة .

"انظروا ، انه الرئيس ماو !" صرخ الناس فى دهشة سعيدة ، وانفجروا يصفقون هاتفين "عاش الرئيس ماو !" وهرع بعضهم يشدون على يده الدافئة ويسألون " كيف حالك ، ايها الرئيس ماو العزيز ؟"

تقدم الرئيس ماو فى خطوات ثابتة نحو مكتب الكومونة ، ووقف عند لوحة جديدة على الجانب الايمن من المدخل ، كتب عليها "كومونة تشيليينغ الشعبية فى محافظة شينشيانغ" .

وقرأ اللوحة همسا ، ثم قال : "**كومونة شعبية ، هذا اسم جيد .**"

وبعدها زار الرئيس ماو المطحنة وورشة محامل الكريات وحقل القطن التجريبى فى الكومونة . وحيثما ذهب تحدث بود مع اعضاء الكومونة من الرجال والنساء .

وفى نفس اليوم سافر الرئيس ماو من تشيليينغ لمواصلة رحلته التفقدية فى الريف . ووصل يوم ٩ اغسطس الى مقاطعة شاندونغ . وعندما

ابلغه رفاق لجنة الحزب الشيوعى الصينى فى المقاطعة ان بعض النواحى هناك تفكر فى تنظيم المزارع التعاونية الكبيرة قال الرئيس ماو : "**من الافضل تأسيس كومونات شعبية . وميزتها تكمن فى انها تجمع بين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشؤون العسكرية مما يسهل القيادة .**"

اعطى الرئيس ماو خلال رحلته تأييدا حماسيا لمبادرات الجماهير الغفيرة ، ولخص تجاربها فى خلق الكومونات الشعبية . وبعد ذلك بفترة قصيرة عقد المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب تحت ارشاده الشخصى اجتماعا موسعا ، وفى ٢٩ اغسطس ١٩٥٨ اتخذ « قرار للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتأسيس الكومونات الشعبية فى المناطق الريفية » .

وبعد ان اعلنت تعاليم الرئيس ماو وقرار لجنة الحزب المركزية تناقل الناس اخبارها بغبطة وسرور . فما لبث ان ظهر مد عال لانشاء الكومونات الشعبية الريفية . ولم يمض شهران حتى عمم نظام الكومونة فى كل ريف الصين بصورة اساسية .

ثم دعا الرئيس ماو الى عقد الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعى الصينى وترأسها شخصيا . وجاء فى قرارها حول بعض القضايا المتعلقة بالكومونات الشعبية والذى اجيز فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٨ : "ان تنظيما اجتماعيا جديدا قد ظهر ، مثل شمس الضحى الساطعة ، على الافق الواسع عند شرق آسيا ."

كان ميلاد الكومونات الشعبية نتاجا حتميا للتطور التاريخى .

ولم يمض وقت طويل على تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٤٩ حتى شملت البلاد حركة اصلاح زراعى عارمة هدفها تحرير جماهير الفلاحين من اضطهاد ملاك الاراضى الاقطاعيين واستغلالهم . وتبع ذلك مباشرة ان قاد الرئيس ماو ولجنة الحزب المركزية الفلاحين الى تنظيم انفسهم فى الانتاج الجماعى مبتدئين من فرق المساعدة المتبادلة ومتقدمين خطوة خطوة نحو التعاونية الابتدائية ثم التعاونية المتقدمة (١) . وفى عام ١٩٥٦ تم تعميم التعاونيات الزراعية فى ريف الصين مما حرر بمزيد القوى المنتجة الريفية .

ثم حل عام ١٩٥٨ ، واكتسحت القفزة الكبرى الى الامام البلاد كلها . وبدأت جماهير الفلاحين الغفيرة القيام على نطاق واسع بتحسين الاراضى الزراعية وترويض المياه ، وبرزت حركة لاصلاح الادوات الزراعية ورفع الانتاج ، فساد النشاط والحيوية كل ريف الصين .

وهكذا اشكلت القفزة الكبرى الى الامام دافعا قويا لميلاد الكومونات الشعبية.

---

(١) فرقة المساعدة المتبادلة والتعاونية الابتدائية والتعاونية المتقدمة هى الاشكال التنظيمية الثلاثة فى الحركة التعاونية الزراعية فى الصين ، وهى تمثل ثلاث مراحل للتعاونية الزراعية من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا .

كانت ملكية اراضى الفلاحين الذين اشتركوا فى فرق المساعدة المتبادلة ملكية خاصة ، وهم يتبادلون ايام عمل فقط . ان فرقة المساعدة المتبادلة هى البراعم الاولية الاشتراكية .

بالنسبة الى الاعضاء المشتركين فى التعاونية الابتدائية كان يتحقق مبدأ

من اين جاء الاسم ؟

تقع كومونة تشيليينغ الشعبية فى اواسط الصين ، فى الجزء الاعلى من القطاع الاوسط لخط سكة حديد بكين – قوانغتشو وعلى بعد اربعين كيلومترا فقط من النهر الاصفر الذى يخترق البلاد من الغرب الى الشرق ، وهى من اقدم الكومونات الشعبية فى ارياف الصين ، التى ولدت فى سنوات القفزة الكبرى الى الامام .

قبل عام ١٩٥٨ كان فى تشيليينغ ٥٦ تعاونية متقدمة فى قراها الـ ٣٨ . وبسبب انها تنظيمات جماعية ارقى ، فقد كانت متطورة اكثر من فرق المساعدة المتبادلة والتعاونيات الابتدائية . الا ان هذا الشكل التنظيمى قد صار ايضا غير ملائم لنمو الانتاج السريع الذى صاحب القفزة الكبرى الى الامام .

ان مهام اساسية عديدة بما فى ذلك بناء مشاريع الرى ودفع المكننة

"لكل حسب عمله" ، وكانت الاراضى وحيوانات الجر والادوات الزراعية الكبيرة التى يملكونها تجمع كلها بصورة اسهم ، وتمارس ادارتها الموحدة بصورة جماعية ، وتعطى لهم مكافأة محددة . ان التعاونية الابتدائية ذات طابع شبه اشتراكى .

وبالنسبة الى الاعضاء المشتركين فى التعاونية المتقدمة كان يتحقق مبدأ "لكل حسب عمله" فقط ، وصارت الاراضى ووسائل الانتاج الرئيسية كلها ملكا للجماعة دون اعطاء مكافأة لمالكها . ان التعاونية المتقدمة ذات طابع اشتركى كامل .

فى الحقول وبناء الطرق وتركيب الخطوط الكهربائية ذات الضغط العالى ، قد تطلبت كلها بالحاح ان تنضم التعاونيات بعضها الى البعض ، وان تنسق نشاطاتها واعمالها . وبالفعل عملت اربع من تعاونيات تشيليينغ المتقدمة فى تناسق تام لحفر قناة لتصريف المياه .

فى ربيع ١٩٥٨ تلقت حكومة ناحية تشيليينغ طلبات عدد كبير من التعاونيات المتقدمة بأن تسمح لها بالاندماج فيما بينها . وبموافقة السلطات الاعلى تم اندماج عدد من التعاونيات المتقدمة فى يوليو من نفس العام . وعقب ذلك انشأ هذا التنظيم الجديد الاكبر مطحنة وورشة لصنع محامل الكريات وغيرهما من المعامل الصغيرة لمقابلة ما يتطلبه الانتاج . كما مارس قيادته الموحدة على المدارس وتعاونيات التموين والتسويق ووحدات الميليشيا التى كانت تحت سلطة حكومة الناحية .

اصبح الناس يفهمون تدريجيا ان هذا التنظيم الجديد لم يكن اوسع من التعاونية المتقدمة فحسب ، بل يختلف عنها فى طبيعته ايضا ، اذ ان نشاطاته لم تكن قاصرة على الزراعة وحدها . ولهذا فان اسم "التعاونية الزراعية" لم يعد مناسبا . فماذا يسمى اذن ؟

فكر البعض فى "كومونة باريس" التى يعود عهدها الى عام ١٨٧١ ، واضاف البعض الآخر : "طالما كان هدفنا النهائى هو الشيوعية فعلينا ان نضيف الصفة 'الشيوعية' الى هذا الاسم ."

رد الآخرون : "اننا مازلنا بعيدين جدا عن ذلك الهدف ، فهذا الاسم ليس دقيقا ."

هكذا توالت المناقشات وجربت عدة اسماء على اللوحة الخشبية . الا ان شيئا واحدا قد ثبت وهو كلمة "كومونة" .

قال البعض :

– ان دولتنا تسمى جمهورية شعبية ، وحكومتنا تسمى حكومة شعبية وبنوكنا تسمى البنوك الشعبية ، فلماذا لا نسمى كومونتنا كومونة شعبية ؟

وافق معظم الناس على هذه الفكرة . وفى ٤ اغسطس رفعت لوحة جديدة كتب عليها "كومونة تشيليينغ الشعبية فى محافظة شينشيانغ" .

وبعد يومين حضر الرئيس ماو لتفقد هذه الكومونة الوليدة . ومدحها بقوله انها تحمل آمالا عظيمة للمستقبل .

هكذا دخلت تشيليينغ مرحلة تاريخية جديدة فى تقدمها على طريق الجماعية .

ما هى الكومونات الشعبية ؟

الكومونات الشعبية هى خلق جديد من قبل الجماهير الشعبية الصينية . وبعد ان لخص الرئيس ماو خبرتها ومقدرتها على الخلق قال : "**الكومونة الشعبية جيدة** ." وتحت قيادة لجنة الحزب المركزية وعن طريق ممارسة الجماهير عبر السنين تحسنت الكومونات الشعبية الريفية بصورة مطردة ، واصبحت نظاما موحدا على نطاق البلاد . ونظرة الى تشيليينغ يمكن ان توضح طبيعة هذه الكومونات وخصائصها .

تشكلت الكومونة الشعبية على اساس الدمج بين التعاونيات الزراعية ، وما زالت فى المرحلة الراهنة شكلا من اشكال الملكية الجماعية الاشتراكية. الا انها اكبر حجما من التعاونية ، وان طبيعتها الجماعية فى درجة اعظم . لذا نقول ان الكومونة الشعبية تتصف بصفتين هما : النطاق الاوسط والطبيعة الاشتراكية الاكثر .

ان كومونة تشيلبينغ الشعبية التى يبلغ عدد سكانها ٥٣ر٢٠٠ نسمة وتملك ٩٣ر٠٠٠ مو من الاراضى الزراعية ، تكونت على اساس الدمج بين ٥٦ تعاونية متقدمة . وهذا يوضح نطاقها الاوسط .

تضم كومونة تشيلبينغ ٣٨ فيلقا يمثل كل واحد منها على وجه العموم قرية واحدة وهو مقسم الى عدة فرق انتاجية ، ففى كومونة تشيلبينغ ٢٩٨ فرقة انتاجية . وعليه فان الكومونة وفيلق الانتاج وفرقة الانتاج تشكل ثلاثة مستويات فى الكومونة الشعبية .

ولكن لماذا نقول بأن الطبيعية الجماعية للكومونة الشعبية فى درجة اعظم ؟ ان الجواب يكمن بصورة اساسية فى نظام ملكيتها بالمقارنة مع نظام الملكية فى التعاونية .

ان نظام الملكية فى الكومونة الشعبية يتخذ فى المرحلة الحاضرة شكل الملكية الثلاثية المستويات باعتبار فرقة الانتاج قاعدة لها . ومعنى هذا ان الكومونة وفيلق الانتاج وفرقة الانتاج يمتلك كل منها جزءا من وسائل الانتاج . الا ان الارض وهى وسيلة من وسائل الانتاج الرئيسية ، ملك للفرقة . لذلك يتم توزيع الدخل اساسا فى داخل الفرقة التى تعتبر وحدة

اساسية للمحاسبة . (وفى عدد من الامكنة بدأ فيلق الانتاج يلعب هذا الدور .)

فاذا اخذنا على سبيل المثال فرقة الانتاج رقم ٢٩ التابعة لفيلق تشيلبينغ الانتاجى نجد ان لها ٣١٠ مو من الاراضى المزروعة و ١٨ رأسا من حيوانات الجروآلة دراسة وآلة تكسير وغيرها من وسائل الانتاج ، وكل هذه يمتلكها بصورة جماعية اعضاء الكومونة الذين يشكلون ٣٦ عائلة . ان الاعضاء يعملون فى فرقة الانتاج ، ويجرى توزيع الدخل بينهم وفقا للمبدأ الاشتراكى القائل "من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله" .

ان فيلق الانتاج يمتلك بعض وسائل الانتاج الكبيرة الغالية الثمن والتى لا تقوى فرقة الانتاج العادية على شرائها . وتشتمل هذه الوسائل على الجرارات واجهزة الرى وصرف المياه الكبيرة ، وكلها تستخدم لمساعدة الفرق التابعة له على الانتاج .

بعض الارقام الاساسية

(١)

كومونة تشيلبينغ – وحداتها وسكانها واراضيها

٣٨	فيلقا انتاجيا
٢٩٨	فرقة انتاجية

٢٠٠ ر٥٣	نسمة
١٠٠ر٩	عائلة
٠٠٠ر٩٣	مو من الاراضى المزروعة

(٢)

الزيادة فى معدل انتاج الكومونة من الحبوب والقطن

(الارقام مقدرة بجين فى مو الواحد) *

	الحبوب الغذائية	القطن
١٩٤٨ (السنة التى سبقت التحرير)	٨٠	٢٥
١٩٥٧ (السنة التى سبقت تأسيس الكومونة)	١٦٧	٦٢
١٩٥٨ (السنة الاولى للكومونة)	٢١٦	٩١
١٩٦٥ (السنة التى سبقت الثورة الثقافية)	٤٣٧	١٠٢
١٩٦٩ (خلال الثورة الثقافية)	٦٨٠	١٣٥
١٩٧٣	١ر١٠٠	١٥٥

* جين الواحد = ١/٢ كيلوغرام
مو الواحد = ١/١٥ من الهكتار

(٣)

زيادة الرى فى الكومونة

	المساحة المروية (مو)	النسبة المئوية لمجموع الاراضى المزروعة
١٩٥٧	٠٠٠ر٢٧	٢٩
١٩٥٨	٠٠٠ر٣٤	٣٧
١٩٦٩	٠٠٠ر٧٥	٨١
١٩٧٣	٠٠٠ر٨٥	٩١

(٤)

الزيادة فى عدد المدارس فى كومونة تشيلينغ

	ابتدائية	ثانوية	تقنية زراعية
١٩٤٨	٥	١	–
١٩٥٧	٢٨	١	–
١٩٧٣	٣٨	١٧	١

ان فيلق تشيليبينغ الانتاجي ، اكبر فيلق فى الكومونة المسماة بنفس الاسم ، يمتلك ستة جرارات ومطحنة وقمائن لصنع الطوب والقرميد وورشة لاصلاح الادوات الزراعية ومركزا لتربية الخنازير . ان هذه الجرارات تحرث ارض الـ ٣٤ فرقة انتاج التابعة للفيلق ، ومركز تربية الخنازير هذا يبيع صغار الخنازير لاعضاء الفرق بسعر يقل ٢٥ بالمئة عن السعر المحدد للدولة .

اما المؤسسات الصناعية ومشاريع الرى التى تفوق طاقة الفيالق فهى ملك للكومونة وتحت ادارتها .

وفى تشيليبينغ تدير الكومونة محطة للجرارات تخدم فى الاساس تلك الفيالق التى لا تمتلك اى جرار . وتقوم ورش الاصلاح فى المحطة بصيانة الـ ٥٦ جرارا التى تملكها الكومونة (بما فيها الجرارات التى تمتلكها الفيالق) . وفى الكومونة معمل يقوم باصلاح الآلات الزراعية وصنع بعض الآلات مثل آلات الدراسة وآلات التكسير . كما تدير الكومونة معملا لصناعة سماد الفوسفات ، ومصنعا للغزل ، وبعض المشاريع الكبيرة للرى وصرف المياه التى تخدم كل الكومونة ، وخطوطا كهربائية للضغط العالى مع محولات واجهزة ثانوية اخرى . والى جانب تمويل المشاريع التى تهم الكومونة كلها فان المبالغ المتحصلة منها تستخدم لمساعدة الفيالق والفرق الانتاجية على توسيع الانتاج .

من كل هذا يمكن ان نرى ان الكومونات الشعبية التى تمارس الملكية الثلاثية المستويات تتمتع بدرجة اعلى من الجماعية بالمقارنة

مع التعاونيات الزراعية .

وثمة سمة اساسية اخرى للكومونات الشعبية هى انها خلافا عن التعاونيات الزراعية ليست تنظيمات جماعية اقتصادية زراعية فحسب بل الى جانب عملها بالزراعة والتشجير وتربية المواشى والاشغال الجانبية وصيد الاسماك تقوم بالوظائف والسلطات التى كانت تؤديها الحكومات الشعبية فى النواحى ، وهى ادارة ما يقع فى حدود اختصاصها من الصناعة والمال والتجارة والاعمال الثقافية والتعليمية والصحية والشؤون المدنية والامن العام . اما حكومات النواحى فلم يعد لها وجود الآن ، اذ ان الكومونات حلت محلها . والكومونة الشعبية هى فى حقيقة الامر تنظيم جماعى اقتصادى ، ووحدة قاعدية للسلطة السياسية الاشتراكية فى ريف الصين . وهذا ما نسميه بـ "التنظيم الذى تندمج فيه السلطة القاعدية بالادارة الاقتصادية" . ان اللجنة الثورية لكومونة تشيليبينغ الشعبية تعادل الحكومة الشعبية السابقة فى ناحية تشيليبينغ وتخضع مباشرة لقيادة اللجنة الثورية لمحافظة شينشيانغ ، وهى تقوم كما تقوم جميع الكومونات فى يومنا هذا بادارة ما يجرى على نطاق الكومونة من النشاطات فى ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشؤون العسكرية .

وتدل الخبرة على ان معمل اصلاح وصنع الآلات الزراعية ومعمل سماد الفوسفات وغيرهما من المعامل التى تديرها كومونة تشيليبينغ ، قد قدمت مساعدة عظيمة لدفع انتاجها الزراعى .

وتحت ادارة الكومونة شبكة تجارية تغطى كل مساحتها وهى تقدم

الآلات الزراعية والادوات الزراعية والاسمدة الكيماوية ومبيدات الحشرات ، كما تقدم كميات كبيرة من البضائع الاستهلاكية لمقابلة حاجيات الاعضاء المتصاعدة .

لقد حقق التعليم الريفى تقدما عظيما فى الكومونة . وتوجد فيها الآن ١٧ مدرسة ثانوية ، وفى كل من فيالقها الانتاجية الـ ٣٨ مدرسة ابتدائية . ويبلغ عدد مجموع التلاميذ فى هذه المدارس ١٢ر٥٠٠ تلميذ . كما انشأت الكومونة ايضا مدرسة تقنية زراعية تخرج منها حتى الآن اكثر من ٢٠٠ طالب من الفلاحين الشبان .

يقوم فوج الميليشيا فى تشيليينغ تحت قيادة الكومونة بالارتباط بين تدريباته العسكرية والعمل المنتج ، وقد اصبح قوة هامة فى دعم دكتاتورية البروليتاريا وتطوير الانتاج .

ان اعمال كومونة تشيليينغ الشعبية ومنجزاتها خلال الخمسة عشر عاما من وجودها تقدم شاهدا على التفوق المتعدد الوجوه لهذا النوع من التنظيم الذى (ا) يكون نطاقه اوسع من التعاونيات ، (ب) يجمع بين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشئون العسكرية ، (ج) تندمج فيه السلطة القاعدية بالادارة الاقتصادية .

انتاج مرتفع من الحبوب والقطن

خلال الخمسة عشر عاما من تأسيس كومونة تشيليينغ الشعبية زاد انتاجها من الحبوب والقطن بصورة مذهلة .

فى عام ١٩٧٣ تضاعف معدل انتاج الكومونة من الحبوب فى مو الواحد ٦ر٥ مرة والقطن ٢ر٥ مرة بالمقارنة مع سنة ١٩٥٧ التى سبقت تأسيس الكومونة . ان هذه الزيادة فى انتاج الحبوب والقطن كبيرة جدا .

لقد بدأت زراعة القطن فى منطقة تشيليينغ قبل ٣٠٠ سنة ، الا ان انتاجه فى السنوات التى سبقت التحرير لم يكن يزيد عما يتراوح بين ٢٠ ــ ٣٠ جين فى مو الواحد . وبعد الاصلاح الزراعى وفى عهد التعاونيات ارتفع المردود بصورة مستمرة ، ثم زاد بصورة ملحوظة منذ تأسيس الكومونة . وفى سنة ١٩٧٣ بلغ معدل انتاج القطن فى مو الواحد ١٥٥ جين .

كانت تشيليينغ منطقة للقطن تنتج قدرا ضئيلا من الحبوب . وكان التقليد السائد هو ان يشترى الفلاحون الحبوب بأسلوب المقايضة بالقطن . وحتى فى السنوات المبكرة للكومونة كان اعضاؤها يعتمدون على الدولة فى الحصول على الحبوب مقابل القطن الذى يبيعونه لها . وسار الحال على هذا المنوال الى عام ١٩٦٥ عندما اصبحت كومونة تشيليينغ تحقق الاكتفاء الذاتى من الحبوب لاول مرة فى تاريخها . ومنذ عام ١٩٦٦ فصاعدا اخذت تبيع الحبوب للدولة كل عام كما تبيع القطن لها . وقد ارتفع معدل انتاج الحبوب فى مو الواحد من ١٦٧ جين فى عام ١٩٥٧ الى ١٠٠ر١ جين فى عام ١٩٧٣ .

لقد باعت كومونة تشيليينغ الشعبية منذ تأسيسها اكثر من ٥٠

مليون جين من القطن المحلوج للدولة ، وسلمت وباعت لها ما يقرب من ٣٠ مليون جين من الحبوب التجارية . واصبح الارتفاع المتواصل فى انتاجها من الحبوب والقطن وفى كمياتهما المقدمة للدولة مصدر اعتزاز وفخر لكل واحد من كوادرها واعضائها .

لاحراز هذه الانتصارات الباهرة بذلت الكومونة قصارى جهودها فى تحويل زراعتها الى زراعة حديثة .

فخلال الخمس عشرة سنة الماضية بنت كومونة تشيلينغ شبكة شاملة للرى وصرف المياه تروى مياهها اكثر من ٩٠ بالمائة من اراضيها الزراعية ، مما وضع اساسا متينا راسخا لحصاد مستقر ومرتفع حتى فى سنوات القحط او الفيضانات . وخلال المدة نفسها طورت الكومونة مكننة الزراعة وكهربتها ، فبدأ استخدام الجرارات فى اكثر من ٩٠ بالمائة من اراضى تشيلينغ المزروعة ، وتمت من حيث الاساس عملية مكننة حلج القطن وتصنيع الحبوب ، مما وفر ايدى عاملة كثيرة لتتفرغ فى الزراعة الدقيقة .

ومع بناء مشاريع الرى وصرف المياه وتحقيق المكننة الاولية تتجه كومونة تشيلينغ نحو ممارسة الزراعة بالطرق العلمية على نطاق جماهيرى . واخذت التجارب تجرى على الزراعة بكثافة وتحسين سلالات البذور ووقاية النبات واساليب الزراعة الحديثة . وتعير الكومونة انتباهها لتعميم التجارب الناجحة وتطبيق التقنية الحديثة .

ان كل هذا التقدم ، سواء كان فى بناء مشاريع الرى وصرف

المياه او فى المكننة الاولية والكهربة او فى الزراعة العلمية ، لا يمكن فصله عن الكومونة – الشكل التنظيمى المتفوق .

لنأخذ الزراعة العلمية على سبيل المثال . انشأت الكومونة مركزا لتعميم التقنية الزراعية يوجه شبكة واسعة للابحاث العلمية والتقنية تخدم كل فرق الكومونة الانتاجية الـ ٢٩٨ ، وتتكون من حوالى ١٫٠٠٠ تقنى زراعى وعامل فى رصد احوال الحشرات . وخلال فصل نمو المزروعات يجتمع اعضاء المركز كل اسبوع لتبادل المعلومات ودراسة احوال المزروعات فى كل الكومونة ، ثم يقترحون على القيادة بالاجراءات التقنية الواجب اتخاذها . وقد ظل المركز يجمع بصورة منتظمة المعطيات العلمية ، ويلخص الخبرة فى الزراعة المحلية لاكثر من عشر سنوات . وما كان من الممكن ابدا ولم يكن قابلا للتصور فى عهد الزراعة الفردية او حتى ايام التعاونيات ممارسة الزراعة العلمية بصورة منظمة مبرمجة على نطاق ٩٣٫٠٠٠ مو من الارض .

سهل قاحل اصبح ارضا مروية

برزت مميزات نظام الكومونة الشعبية بوضوح اكثر فى بناء مشاريع الرى وفى المعارك ضد الجفاف والفيضانات .

وفى الحقيقة فان احدى القوى الاساسية التى كانت تعجل تأسيس كومونة تشيلينغ هى شغف عدد كبير من التعاونيات المتقدمة ببناء مشاريع الرى بجهود مشتركة .

ومن المدهش حقا انه بالرغم من تدفق النهر الاصفر ذى الشهرة العالمية فى مجراه قرب الجزء الجنوبى من كومونة تشيلبينغ نحو البحر فانه لا يوجد اى نهر طبيعى فى نطاق مساحتها . وفى التاريخ الماضى كان النهر الاصفر نفسه يشق هذا المكان ، الا انه حول فيما بعد مجراه جنوبا مخلفا وراءه سهلا طينيا قاحلا .

فى المجتمع القديم لم تحفر على مساحة اكثر من ٩٠٫٠٠٠ مو من الارض سوى ٨٠ بئرا ضحلة كانت تستخرج منها المياه بالقوة الانسانية والحيوانية ، ولا تروى كل واحدة منها اكثر من ٤ او ٥ مو من الارض . وهكذا ترك اكثر من ٩٠ بالمائة من الارض تحت رحمة الطبيعة . ولا عجب اذن فى ان انتاج المزروعات فى تشيلبينغ كان منخفضا بتلك الصورة .

ولكن المياه اصبحت احيانا نقمة بدل ان تكون نعمة على تشيلبينغ الظامئة ، ذلك لان المجرى القديم للنهر الاصفر منخفض المستوى ، وكانت معظم امطار السنة تسقط بغزارة فى شهرى يوليو واغسطس حتى تتجمع فيه مياه هائلة يستحيل تصريفها ، بل تنضم اليها سيول اخرى من المناطق المجاورة ، فكثيرا ما وقعت فى هذه المنطقة الفيضانات المميتة .

وبعد التحرير فى عام ١٩٤٩ قامت الدولة بتمويل بناء قناة انتصار الشعب التى تنقل المياه من النهر الاصفر لرى جزء من الاراضى شمال تشنغتشو حيث تقع تشيلبينغ ، ذلك بالاضافة الى فوائدها الاخرى .

وبأموال الدولة حفرت ايضا فى داخل تشيلبينغ عدة قنوات رئيسية للرى وصرف المياه . الا انه قبل تأسيس الكومونة عرقلت الخلافات فى المصالح بين القرى والتعاونيات اتمام عدد كبير من الفروع المطلوبة . ولهذا السبب عجزت شبكة الرى التى تجلب المياه من النهر الاصفر عن الوصول الى كافة الحقول المحتاجة اليها .

وحالما تشكلت الكومونة برزت مميزاتها – النطاق الاوسع والطبيعة الاشتراكية الاكثر . وتحت قيادتها الموحدة تم وضع خطة كاملة لخلق نظام للرى وصرف المياه اما فيالقها الانتاجية فقد كانت فى الوقت الذى تؤكد فيه الاعتماد على النفس ، يدعم بعضها بعضا بالقوة البشرية والموارد المادية فى بناء القنوات . ومنها ثلاث قنوات رئيسية تخترق الكومونة بكاملها لمسافة تبلغ اكثر من ٣٠ كيلومترا وقد اشترك فى حفرها ١٠٫٠٠٠ شخص . ان شبكة الرى وصرف المياه الكاملة والمتألفة مما لا يقل عن ٣٢٠ قناة رئيسية وفرعية فى الكومونة قد انجز معظمها فى الفترة ما بين الشتاء والربيع لست سنوات بعد تأسيس الكومونة . وهذا يعود بالفائدة على اكثر من ٩٠ بالمائة من اراضى تشيلبينغ .

لقد علمت الممارسة والتحرى اعضاء الكومونة بالتدريج انه ، فى اثناء جلب المياه من النهر الاصفر لرى الاراضى المنخفضة فى مجراه القديم ، يجب الحذر من رفع منسوب المياه الجوفية حتى لا تتحول الاراضى الى قلوية .

ومن عام ١٩٦٤ فصاعدا حفرت الكومونة ٤٨٠ بئرا تعمل بالمضخات

لغرض الرى . وفائدتها تكمن فى انها تسد نقص مياه النهر الاصفر للرى ، وتخفض منسوب المياه الجوفية بسرعة .

ونتيجة لهذه الاجراءات لم تعد تشيليينغ عاجزة عن الدفاع عن نفسها امام الجفاف والقحط . فاستطاعت ان تجنى الحصاد الوافر حتى بعد مرور ١٠٠ يوم بلا مطر . وخلال الاعوام العشرة الاخيرة لم تقاس الكومونة من اى قلة تذكر فى الانتاج بسبب الجفاف .

الكفاح ضد الكوارث الطبيعية

ولكن تجمع المياه ظل يشكل خطرا فى تشيليينغ . وبسبب انخفاض الارض الشديد لا يقدر نظام تصريف المياه فى الكومونة الا على تصريف اقل من ٢٠٠ م . م من مياه الامطار اليومية ، وما يزيد على ذلك يبقى فى الحقول .

خلال الكفاح ضد هذا الخطر اظهرت الكومونة ايضا مقدرتها الكبرى ومزاياها .

فى اواخر يوليو واوائل اغسطس ١٩٧٢ هطلت الامطار بغزارة متواصلة حتى بلغت كميتها ٧٢٢ م . م وكانت امطارا مركزة خطيرة لم تعرفها الكومونة منذ سنوات عديدة . وقد زاد فى تفاقم خطرها تدفق المياه من المناطق المجاورة الى تشيليينغ . فارتفع مستوى المياه فيها بسرعة خطيرة حتى وصلت كمياتها الى اكثر بكثير مما تستطيع تصريفه شبكة الصرف . حينئذ غطت المياه اجزاء كبيرة من الارض ، وواجهت

بعض القرى خطر الانغمار التام .

وحالما بدأت العاصفة المطرية نظمت لجنة الحزب بالكومونة اجتماعا تداوليا بالتلفون ، ودعت الجماهير الى الاتحاد للتغلب على الكارثة بالاعتماد على انفسهم ، ووضعت خطة موحدة طارئة لتصريف المياه ، وطلبت من فيالق الانتاج تنسيق مجهوداتها ، ومساعدة بعضها لبعض . ثم نزل قادة الكومونة بأنفسهم الى القرى لمعرفة الوضع . وقد ذهب تيان شيو تشينغ الامين الاول للجنة الحزب الى الجزء الجنوبى من تشيليينغ حيث كان الخطر شديدا .

وبهذا الجزء يقع فيلق فوتشوانغ فى مكان اكثر انخفاضا من غيره . وعندما حوصرت هذه القرية بالمياه المتجمعة اندفعت اليها مياه اكثر عن طريق قنوات التصريف من فيلق داتشانغتشوانغ المجاور .

سار امين فرع الحزب فى فيلق فوتشوانغ وهو يخوض مياه الفيضان الى داتشانغتشوانغ للالمام بالوضع هناك . وقد امتلأ قلبه حزنا عندما شاهد شجيرات القطن مغمورة الى نصف سيقانها .

وفى نفس الوقت هرع امين فرع الحزب فى فيلق داتشانغتشوانغ الى فوتشوانغ ، وقد اصيب بدهشة شديدة حينما رأى القرية محاطة بالمياه .

تشاور هذان الامينان فى الامر . ولما استعادا الى الذهن توجيه لجنة الحزب فى الكومونة "انقذوا القرى اولا ، ثم الحقول" اتفقا على اتخاذ خطوات متناسقة وشرعا فى العمل فورا .

اولا اقفل فيلق داتشانغتشوانغ ، حيث يقع على ارض مرتفعة ، ابواب

مصارف المياه ، فقلل بذلك السيول فى القنوات ، فتصرفت المياه من فوتشوانغ بسرعة . وعندما تخلصت هذه القرية من الخطر هرع سكانها الى فتح ابواب المصارف ، فانخفضت المياه المتجمعة فى داتشانغتشوانغ وتصرفت دون ان تلحق ضررا كبيرا .....

لقد انقذت الجهود الموحدة تحت قيادة لجنة الحزب فى الكومونة قرية فوتشوانغ وقطن داتشانغتشوانغ معا ، فنجحت الثانية فى ان تحافظ على مستوى حصادها الجيد الذى بلغ معدل الانتاج فيه ١٣٠ جين فى مو الواحد فى ذلك العام .

وفى الشتاء الذى تلا ذلك ساهمت القريتان معا فى حفر قناة جديدة لتصريف المياه وبذلك يزول الخطر من فوتشوانغ عندما تأتى المياه من الاراضى المرتفعة .

خلال السنوات الماضية ظلت كومونة تشيليينغ تقاسى من هجمات الكوارث الطبيعية المختلفة ــ القحط والفيضانات والبرد والحشرات والعواصف ... وفى ست من السنوات الخمس عشرة بعد تأسيسها حلت بها كوارث خطيرة لم ير لها نظير فى عشرات السنين . غير ان مميزات نظام الكومونة تعزز تشيليينغ الى حد كبير من قدرة المقاومة ضد الكوارث الطبيعية . ففى سنة ١٩٧٢ ، بالرغم من مواجهتها لامطار غزيرة لم تشهد لها مثيلا من قبل ، فقد حصلت على حصاد جيد بلغ فيه معدل الانتاج لمو الواحد ١٢٤ جين من القطن و ٨١٠ جين من الحبوب على نطاق الكومونة كلها .

كل يساعد الآخر

كذلك اظهرت الكومونة الشعبية مقدرتها القيادية القوية على مساعدة الفيالق المتخلفة على اللحاق بغيرها ، ودفع الفيالق المتقدمة لمواصلة تقدمها . وكلا الجانبين اساس للاسراع ببناء الاشتراكية فى الريف .

فى مطلع تأسيس كومونة تشيليينغ كانت فيالقها الـ ٣٨ متباعدة جدا بعضها عن بعض فى مستوى الانتاج .

مثلا ، كان معدل انتاج قرية ليوتشوانغ فى مو الواحد يزيد على ١٠٠ جين من القطن و ٤٠٠ جين من الحبوب حتى قبل انضمامها الى الكومونة . وبعد تأسيس الكومونة اصبح فيلق ليوتشوانغ وحدة متقدمة معروفة جدا فى مقاطعة خنان كلها . وظل انتاجه فى تزايد مستمر بنسبة كبيرة كل سنة ، وارتفع مستوى الوعى السياسى عند اعضائه بصورة ملحوظة ، واصبحت ملامح الفيلق تتغير باطراد .

وعلى الجانب الآخر كانت الفيالق المجاورة متخلفة فى النواحى المتعددة بالمقارنة مع ليوتشوانغ .

فى عام ١٩٦٤ وفى بداية الحركة التى شملت البلاد للتعلم من فيلق داتشاى فى مقاطعة شانشى ــ الفيلق الرائد فى ميدان الزراعة على نطاق البلاد ، قامت لجنة الحزب فى كومونة تشيليينغ بتلخيص خبرة وحدتها المتقدمة ــ فيلق ليوتشوانغ ، ورتبت لرفاق فيالقها الاخرى زيارات له للتعلم منه ، ثم رفعت على نطاق الكومونة شعار "تعلموا من داتشاى ، والحقوا بليوتشوانغ" .

لحق فيلق سونغتشوانغ ، وهو اصغر فيلق بل اكثره تخلفا اقتصاديا فى كل الكومونة ، بليوتشوانغ لحاقا سريعا ، وتفوق فى عام ١٩٦٨ على ليوتشوانغ فى انتاج الحبوب والقطن معا . وكان هذا حدثا مثيرا لدهشة كل انسان .

بذل فيلق تشيليينغ ايضا ، وهو اكبر الفيالق فى الكومونة جهودا دائبة ، اذ انه لم يرض بتخلفه ، فانضم فى عام ١٩٦٩ الى الصفوف المتقدمة .

امسكت لجنة الحزب فى الكومونة بخبرة هذه الوحدات الثلاث المتقدمة ، وهى تشيليينغ ، ليوتشوانغ ، سونغتشوانغ ، وساعدتها على تلخيص خبرتها ونشرها . ثم توزع امناء الكومونة واعضاؤها الى الوحدات المتخلفة لمساعدتها على التقدم .

ومن بينها فيلق تشيتشوانغ ، وهو قرية صغيرة قليلة السكان تقع فى ركن بعيد من ارض الكومونة ، وكان هذا الفيلق غير معروف . ومع ذلك فقد بذل اعضاؤه جهودا جبارة اثناء التعلم من داتشاى فى الزراعة ، وعملوا بالاعتماد على انفسهم حتى اصبح هذا الفيلق فى مقدمة الصفوف .

يقع تشيتشوانغ على المجرى الرئيسى القديم للنهر الاصفر حيث كانت مساحة شاسعة من التلال الرملية و ٤٠٠ مو من الاراضى الطينية الحمراء . وكانت هذه التربة صعبة الحراثة والزرع ، ذلك لانها لزجة ، صلبة عندما تصبح جافة ووحلة عندما تصير رطبة . ولتغيير هذه الظروف غير المؤاتية بذل سكان القرية جهودا جبارة شاقة ، فمزجوا الرمال التى

نقلوها ، بالتربة الطينية الحمراء الى ان اوجدوا اخيرا تربة صالحة . وقد استغرق هذا العمل اربع سنوات لاصلاح هذه الـ ٤٠٠ مو من الاراضى الفقيرة .

وبالاضافة لهذا تعلم سكان تشيتشوانغ بجد من الفيالق المتقدمة الثلاثة كيفية الزراعة بالطرق العلمية .

ظل فيلق تشيتشوانغ يبذل جهودا جبارة ويعمل بمهارة عدة سنوات . وفى عام ١٩٦٩ حصل على ٢٠٠ جين من القطن فى مو الواحد ، فسجل بذلك رقما قياسيا جديدا فى الكومونة .

ان نجاح فيلق تشيتشوانغ الذى كان منسيا فى يوم من الايام ، فى تخطى "بوابة" الـ ٢٠٠ جين من القطن فى مو الواحد قد اثار دهشة فيلق ليوتشوانغ الذى سار فى مقدمة الصفوف لوقت طويل . كان ليوتشوانغ يحاول بلوغ رقم الـ ٢٠٠ جين منذ عدة سنوات ، ولكنه عجز عن ذلك . فضاعف جهوده ولجأ الى جميع الوسائل حتى تمكن من بلوغ ذلك الرقم فى عام ١٩٧٠ . فصارت فى الكومونة فى نفس العام اربعة فيالق بلغ معدل انتاجها من القطن اكثر من ٢٠٠ جين فى مو الواحد .

وفى حركة المباراة الاشتراكية ظلت مختلف الفيالق تتبادل المساعدة والمساندة . فقدمت المتقدمة منها خبراتها فى التمسك بالثورة ودفع الانتاج الى الفيالق التى مازالت متخلفة ، واوضحت لها كيف تتمسك بالاتجاه السياسى الصحيح فى عملها . وارسلت جراراتها لحرث الحقول

التابعة للفيالق التى لم تكن لديها جرارات ، وقدمت قروضا بدون فائدة الى الفيالق التى كانت تنقصها الاموال للبناء الاساسى فى الحقول الزراعية ، وبعثت تقنييها الزراعيين لتعليم الفيالق الشقيقة كيفية احراز احسن النتائج فى زراعة القطن وادارة الحقول ومكافحة الحشرات . وفى هذا الجو تقدمت كل الفيالق يدا بيد الى الامام .

وبهذه المساعدة المتبادلة وخلال حركة المباراة الاشتراكية الحامية تقلصت الفوارق بين فيالق تشيليينغ الـ ٣٧ تقلصا كبيرا . اليوم اصبح ثلثها وحدات متقدمة فى جميع النواحى . وارتفع معدل انتاج القطن فى الكومونة كلها الى اكثر من ١١٠ جين فى مو الواحد لمدة ست سنوات متوالية منذ عام ١٩٦٨ ، وبالنسبة للقمح الذى يشغل مساحة قدرها ٥٠٫٠٠٠ مو ، بلغ متوسط انتاجه ٧٢٦ جين لكل مو فى عام ١٩٧٣ . ان هذا المردود قد سجل رقما قياسيا جديدا فى تاريخ الكومونة .

الى جوار فيلق ليوتشوانغ المتقدم يوجد فيلق ليوديان الذى دام بقاؤه فى المؤخرة . وقد قدم ليوتشوانغ العون الى ليوديان بمختلف الطرق على طول الوقت ، كما قدمت الكومونة ايضا مساعدتها له . وفى سنة ١٩٧٣ تسلم ليوديان منها مبلغا من القروض بلغ ١٧٫٠٠٠ يوان بدون فائدة لشراء جرار واسمدة كيماوية .

وهكذا مكنت المساعدة المقدمة من مختلف الجهات ليوديان من زيادة انتاجه عاما بعد عام . لكن العامل الاساسى فى تقدمه ان

المياه المأخوذة من النهر الاصفر تروى الآن الاغلبية الساحقة من اراضى كومونة تشيليينغ . ولكن لم يكن هناك فى الماضى الا عدد قليل من الآبار البدائية تروى جزءا صغيرا من اراضى هذه المنطقة

حقول ذات انتاج مرتفع فى كل انواع الطقس تم بناؤها بموجب خطة موحدة للكومونـة

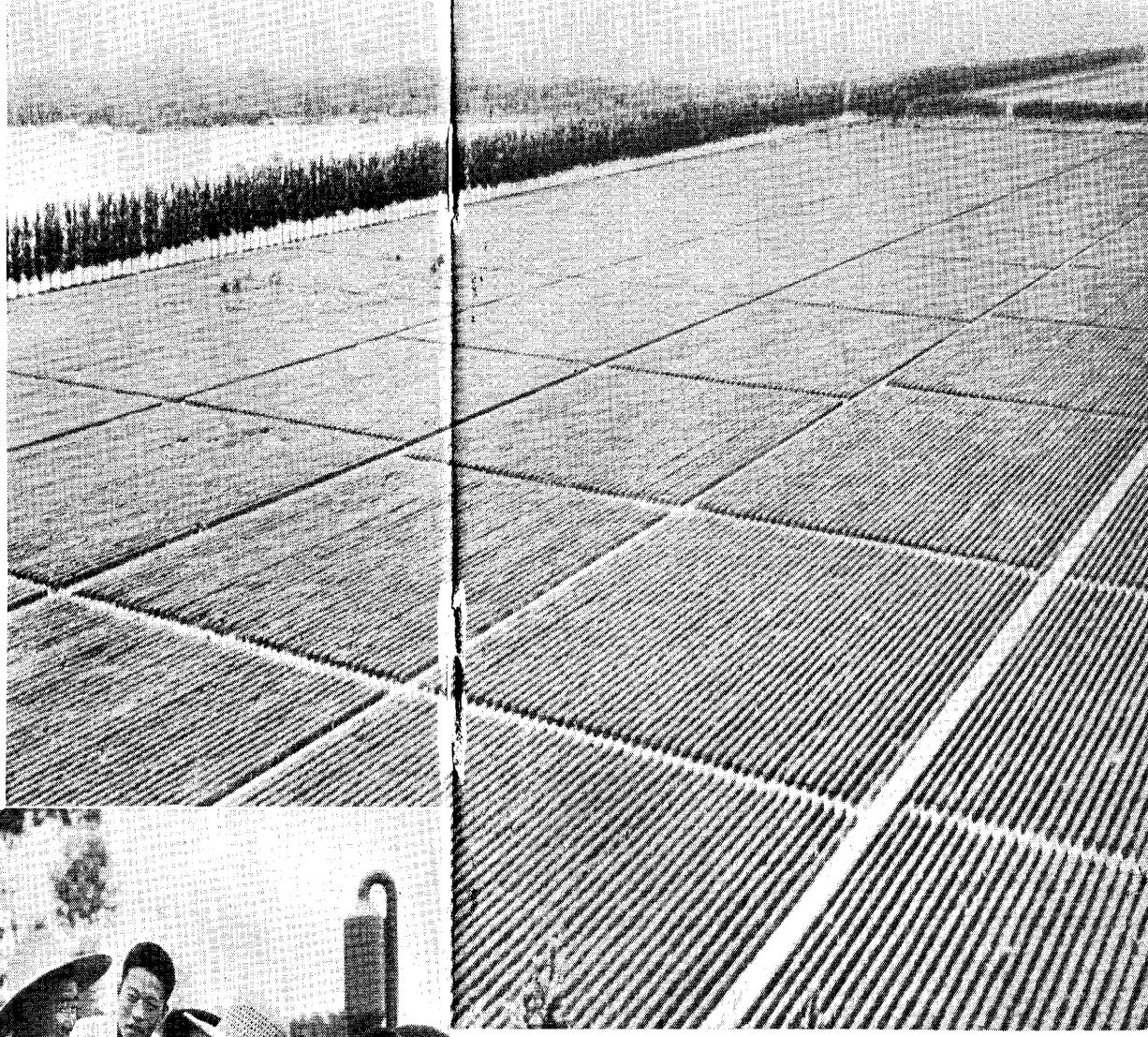

تيان شيو تشينغ الامين الاول للجنة الحزب بالكومونة (الثالث من اليسار) والامين جيو جى يوى (الخامس من اليسار) يتجاذبان اطراف الحديث مع بعض اعضاء الكومونة خلال فترة الاستراحة من العمل . وكغيرهما من الكوادر هنا يشتركان بانتظام فى اعمال الحقول

تقوده الكومونة على الطريق الاشتراكى .

حجر الزاوية – الخط الصحيح

ان فيلق ليوديان هو جار لصيق لليوتشوانغ ، وظروفهما الطبيعية متشابهة . الا انه كان من العسر لبعض الوقت تطبيق خبرة ليوتشوانغ المتقدمة فى ليوديان . وعزى البعض سبب هذا الى ان كبر حجم ليوديان يشكل صعوبة فى ادارته وتنظيم افراده . ولكن تيان شيو تشينغ الامين الاول للجنة الحزب فى الكومونة رأى ان السبب يكمن فى ناحية اخرى . فارسلته لجنة الحزب فى الكومونة فى عام ١٩٦٩ الى ليوديان ليتقصى جذور المشكلة .

كان تيان شخصا مألوفا فى ليوديان منذ مدة طويلة ، وكان سكانه يطلقون عليه لقب "العجوز تيان" او "امينا العجوز" دليلا على احترامهم له . قبل التحرير تشرد تيان هربا من المجاعة ، واضطر عندها لاستجداء الطعام . وبعد ان انضم الى الصفوف الثورية قاتل فى فرقة العصابات . وهو الآن كادر متمرس له خبرات العمل فى الريف لسنوات طويلة . وعمره يفوق الخمسين عاما ويشكو من امراض مزمنة عديدة . ومع ذلك ظل يطوف بالكومونة من مكان لآخر عاما بعد عام ، ويعرف بذلك كيف ينمو اى نوع من المزروعات فى اى حقل ، وما هى احوال كل كادر فى عمله ، كما يعرف تاريخ عدد كبير من عوائل اعضاء الكومونة .

رش المبيدات فى الوقت الملائم يضمن حصادا كاملا من القطن

يان هونغ ان (فى الوسط) ، واحد من الخبراء المحليين الفلاحين الكثيرين الذين دربتهم الكومونة ، يقدم لزراع القمح الشباب دروسا فى مجال اختصاصه – تحسين سلالات البذور

ذات مساء كان يترأس فى الكومونة احد الاجتماعات ، الذى استمر حتى منتصف الليل . غير ان مشاكل ليوديان لم تفت ذاكرته . وحالما انتهى الاجتماع طلب من رفيقين مرافقته للذهاب الى ليوديان بالدراجات . كانت الرياح قارسة ، وفى الطريق المظلم فقد توازنه ، وسقط الى خندق بجانبه . وبينما كان يحاول النهوض اصيب بنوبة قئ . فهرع اليه رفيقاه يساندانه ويحثانه على العودة ، بيد انه رفض قائلا فى صوت هادئ : " نردد كل يوم شعار ' **لا تخشوا الصعاب ولا الموت** ' ، فهل يجوز ان نطبقه على الآخرين ولانطبقه على انفسنا ؟ " ثم تقدم وهو يدفع دراجته .

انه كثيرا ماكان يعمل مع فلاحى ليوديان فى عزق الارض والحصد او اى عمل آخر فى الحقول .

ذات مرة شاهد وو جى تشنغ وهو مسن اعمى ، يساهم مع الآخرين فى حصاد القمح ويضع القمح خلفه فى حزم مربوطة بعناية فائقة .

" لماذا لا تذهب الى البيت وتستريح يا عم وو ؟ " سأله تيان العجوز فى اهتمام وبتأثر .

" أ هذا انت يا تيان العجوز ؟ " اجابه العم وو فى فرح وهو يلوح بمنجله ، " هل هذه محاولة منك لطردى الى البيت بسبب اننى لا استطيع العمل كما يفعل الآخرون ؟ "

اصيب العم وو بمرض فى عينيه قبل التحرير ، ولم يتمكن من

العلاج بسبب فقره المدقع ، فذهب بصره كله فى النهاية . ولكنه الآن يعيش تحت الرعاية التامة بمقتضى قانون "الضمانات الخمسة"،(١) ومع ذلك يصر على المساهمة بتقديم ما يستطيعه فى العمل الجماعى . ذات يوم ، بينما كان اعضاء الكومونة يقومون بزراعة القطن طلب العم وو مرارا من رئيس فرقته ان يعطيه العمل . فلم يجد رئيس الفرقة ما يقدمه له من العمل ، فخاطبه مداعبا تفاديا لسؤاله : " حسنا ، بوسعك ان تقوم بردم الحفرة الكبيرة التى تقع فى شرقى القرية اذا اردت . " الا ان الرجل المسن اعتبر هذا امرا حقيقيا ، وانصرف وقال فى نفسه ، وهو يتحسس طريقه بعصاه : " هذا العمل سوف يشغلنى زمنا طويلا ، ولا داعى لان اطلب منه عملا آخر . " وبعد ذلك دعاه رئيس الفرقة ان يترك هذا العمل ، ولكنه اصر على مواصلته . وفى حقيقة الامر انه ثابر عليه نصف عام حتى اتم ردم الحفرة التى بلغت مساحتها مو واحدا . وقد اثارت هذه الروح اعجاب الجميع .

لقد استنتج امين لجنة الحزب تيان من تحقيقاته واستقصاءاته ان فى فيلق ليوديان من لا يقل عن ثلاثين كيمونيا متقدما يتحلون بحب العمل والاشتراكية من امثال العم وو .

---

(١) "الضمانات الخمسة" يقدمها الفيلق او الفرقة الانتاجية لاعضاء الكومونة الذين يعجزون عن العمل ولا سند لهم كالارامل والارملات والايتام والوحدانيين ، وهى تشمل الغذاء والكساء والوقود والتعليم (للايتام) ودفن الموتى .

وفى احدى المرات كان تيان يعمل مع الكومونيين فى البيدر ، فاذا بالامطار تهطل بغزارة . الا ان كل فرد واصل عمله لجمع القمح رغم انهم ابتلوا جميعا بالمطر . وعندما عاد تيان الى مسكنه احضر له عدد من الفلاحين ملابس التبديل ، فخاطبهم ضاحكا : " كيف يمكن لشخص واحد ان يرتدى كل هذه الملابس ؟ " ولكن ما كان يفكر فيه هو : ان اعضاء الكومونة يهتمون بنا نحن الكوادر اهتماما عظيما ، فيجب على الكوادر ان يبذلوا مزيدا من الجهود لقيادتهم للسير على الطريق الصحيح بهدى الخط الصحيح !

لم يكن من قبيل الصدفة ان يحمل امين لجنة الحزب تيان تفكيرا من هذا النوع . لقد اكتشف اتجاها غير سليم فى ليوديان .

وعلى سبيل المثال كان فى القرية فلاح مسن من الفلاحين المتوسطين ملم بمهنة البناء . كان يبتعد عن الانتاج الجماعى دائما ، ويقوم فى الخارج ببعض الاعمال التى تكسبه نقودا . وهذا يعنى فى حقيقة الامر انه يباشر الوانا من الاعمال الفردية . وكان يملك حمارا ، وعندما ولد له فلوا باعه بسعر مرتفع . ان كل هذه الاعمال خارج نطاق الاقتصاد الجماعى تمثل اتجاها رأسماليا تلقائيا . وبالنقود التى جمعها هذا الفلاح بنى اجمل بيت فى القرية متباهيا به فى وجه الاقتصاد الجماعى . وقد صفق لذلك بعض ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء ، وهم يهمسون فى الزاوية المظلمة قائلين : " انه ذكى على كل حال . رغم انه لا يعمل فى الحقول لكنه يكسب اكثر من اى فرد آخر . "

وبعد ان تحرى امين لجنة الحزب تيان هذا الاتجاه الرأسمالى التلقائى الموجود فى ليوديان رأى انه تيار مضاد يتجلى فيه الخط التحريفى لليو شاو تشى . فتحدث فى هذا الشأن مع امين فرع الحزب فى الفيلق ، واستعرضا معا الصراعات الحادة بين الطبقتين والخطين فى تشيليينغ قبل تأسيس الكومونة وبعده .

كان ليو شاو تشى وجماعته يعارضون بعناد التعاونية الزراعية قبل نشوء الكومونات . ثم ادعوا بعد ذلك فى عام ١٩٥٩ بأن الكومونات " سابقة لاوانها " و" سيئة فى حالها " . وفى عام ١٩٦١ ارسل بعض الاشخاص الى تشيليينغ لترويج مازمر وطبل له ليو شاو تشى : " تطوير الاسواق الحرة ، وتوسيع قطع الارض للاستعمال الذاتى ، وزيادة المؤسسات الصغيرة التى تتحمل وحدها مسؤولية ارباحها وخسائرها ، وتحديد حصص الانتاج على اساس العائلة " ؛ و" الحريات الاربع " .(١) كانوا يحاولون " تأجير " اراضى بعض الفيالق الى العوائل لتعمل فيها منفردة ، ثم تحديد حصص الانتاج وتقديم المكافآت على هذا الاساس . ومعنى هذا فى الجوهر اعادة الزراعة الفردية بصورة اخرى . كما حاولوا ايضا توزيع حيوانات الجر والغابات من الملكية الجماعية الى عدد من العائلات المتفرقة للاشراف عليها .

---

(١) حرية بيع الارض وشرائها ، وحرية استئجار الايدى العاملة ، وحرية الرباء الفاحش ، وحرية تأسيس المؤسسات الخاصة – المعرب .

الا ان الكوادر وجماهير الاعضاء فى الكومونة قاوموا كل هذا بحزم . ثم حلت حركة التوعية الاشتراكية التى عمت الريف الصينى الشاسع فى سنة ١٩٦٤ ، وبعد ذلك هبت الثورة الثقافية الكبرى فى عام ١٩٦٦ ، وسوت الحساب على جرائم ليو شاو تشى . وفى خضم هذه الحركات رفع اعضاء الكومونة وعيهم الاشتراكى الى حدود بعيدة .

لقد علمت التجارب تيان درسا عميقا هو : ان الخط الثورى للرئيس ماو يرشد الفلاحين الى طريق الاشتراكية الواسع . الا ان خط ليو شاو تشى التحريفى حاول جذبهم نحو الخلف الى الطريق الرأسمالى .

ثم نصح امين فرع الحزب للفيلق بأن ينتبه بصورة جادة الى ذلك الاتجاه الشرير فى الفيلق ، وان يكون نشطا فى مكافحته . كما اوضح له ان الصراع الطبقى يعلو وينخفض فى موجات ، وعلى المرء الا يتوقع ان تسير الامور كما يحلو له بعد ان جرت حركات سياسية معدودة . وان الاتجاه الشرير فى ليوديان لم يحدث صدفة بل هو انعكاس للصراع بين الطبقتين والخطين .

واشار تيان فى ختام حديثه بصورة ثاقبة الى " ان صراعا طبقيا عنيفا يدور تحت انظاركم ، وكيف يبقى فرعكم الحزبى بعيدا عن ذلك دون ان يقود الجماهير للكفاح ؟ ان السبب الاساسى فى تخلف ليوديان هو عجزكم عن التمسك بالحلقة الرئيسية – الصراع الطبقى ! "

قام فرع الحزب بتقويم اسلوبه ، وسار بعد ذلك فى اتجاه واضح . فقد استنهض الجماهير لكشف وصد اعمال العدو الطبقى الهدامة

بلا هوادة ، ولتوجيه نقد صارم الى التيار الرأسمالى . ان كل ذلك قد علم الفيلق بكامله ، وساعد الافراد القلائل من اعضاء الكومونة على العودة الى طريق الجماعية الذى ابتعدوا عنه ، وعلى هذا الاساس تحققت وحدة جديدة معهم . ومن بين هؤلاء الاعضاء ذلك الفلاح المتوسط المذكور سابقا والذى كان قد اتجه نحو الثراء الفردى استنادا الى مهنته للبناء .

وبعد ذلك اقترح تيان على فرع الحزب ان يمدح الاشخاص الجيدين الذين يتحلون بروح حب الجماعة والاشتراكية ، وان ينشر اعمالهم الرائعة على نطاق واسع . وهكذا اثنى فيلق ليوديان على اكثر من ثلاثين كومونيا متقدما نظير اعمالهم الرائدة . اما العم وو الاعمى فهو لم يثن عليه فقط على مستوى الفيلق بل فى جميع ارجاء الكومونة . ونتيجة لهذا تم القضاء على الريح الرأسمالية الفاسدة ، وتدعمت وكبرت الروح الاشتراكية الناشئة على نطاق واسع ، وارتفع الحماس الاشتراكى لدى كومونيى ليوديان ارتفاعا عاليا .

فى العام التالى توصل ليوديان الى اسلوب بارع للرى اطلق عليه اسم " المطر الصناعى " . وحل به المعضلة الفنية التى كانت تحول دون تحقيق الانبات التام لشتلات القطن – الرطوبة غير الملائمة فى وقت التبذير . كما استنبط ايضا ثلاث طرق اخرى لتحسين الزرع . فدعت قيادة الكومونة فى الوقت الملائم لعقد اربعة اجتماعات فى ليوديان بهدف نشر خبرته فى ارجاء الكومونة . وهذا بدوره حث ليوديان

على المضى قدما .

وبمساعدة قيادة الكومونة ثابر فيلق ليوديان على التمسك بالثورة ودفع عجلة الانتاج ، فأحرز زيادات متتالية من المحاصيل ، وتغلب على تخلفه . وفى عام ١٩٧٣ ارتفع معدل انتاجه فى مو الواحد الى ١٦٥ جين من القطن ، و١٣٨٩ جين من الحبوب .

هذا مثال يدل على كيفية اتباع كومونة تشيليينغ الشعبية الخط الثورى للرئيس ماو ، وقيادة جماهيرها الغفيرة فى السير قدما الى الامام على طريق الاشتراكية الواسع .

٢

العلم يدخل ميدان الزراعة

ذات مساء ، تعالت اصوات المرح فى فناء مقر كومونة تشيليينغ الشعبية . فقد تجمع فيه اعضاء الكومونة من الفيالق الانتاجية المجاورة ، ومعظمهم من الشباب ، لمشاهدة فيلم حول زراعة القطن بالطرق العلمية .

وامام اعينهم مرت عملية الزراعة كلها من اختيار البذور الى ابادة الحشرات الضارة حتى التقليم . وكان التعليق من مكبر الصوت يدور حول القوانين الطبيعية لنمو القطن واساليب زراعته .

ومع ذلك فقد كان اكثر ما اثار التعليقات من جانب المشاهدين هو الناس الذين بدوا على الشاشة .

ـ هاى ! أ ليست تلك هى ليو الصغيرة من قرية ليوتشوانغ ؟ انظر الى بسمتها العريضة !

ـ انظر الى يان العجوز ، انه يفرز البذور هناك !

ـ ها هو لى الصغير يتحدث حول مقاومة الحشرات . انه ملىء بالحيوية كعادته !

كان ذلك الفيلم ملونا انتجه استوديو مقاطعة خنان فى عام ١٩٧٢ .

ونظرا لأن الفيلم صور فى كومونة تشيليينغ وان معظم المشاهدين عرفوا سلفا التقنية المعروضة فيه ، كان انتباههم مركزا على " تمثيل " اهلهم وجيرانهم .

والى جانب هذا الفيلم المعروض على نطاق البلاد ، فان خبرة كومونة تشيليينغ فى زراعة القطن بالطرق العلمية قد طبعت فى كتاب صدر بعنوان « الممارسة الثورية لرفع انتاج القطن » عن دار العلوم لاكاديمية العلوم الصينية . ويقع الكتاب فى ١٤٨ صفحة ، وقد بيع منه حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ نسخة ، وستجرى اعادة طبعه عما قريب .

"هيئة الاركان"

ان ابرز ما حققته كومونة تشيليينغ من المنجزات هو تعميم الزراعة بالطرق العلمية على نطاق الكومونة . ففى عام ١٩٧٣ وفى اراضى الكومونة التى تبلغ مساحتها ٩٣ر٠٠٠ مو ، بلغ متوسط انتاج مو الواحد ١٥٥ جين من القطن و١ر١٠٠ جين من الحبوب الغذائية . وهذه الارقام القياسية تجعل تشيليينغ احدى الكومونات المتقدمة فى مناطق زراعة القطن فى الصين والتى احرزت حصادا مرتفعا من الحبوب كذلك .

ان الزراعة بالطرق العلمية على مساحة كبيرة دائما ما كانت تهتم بها كومونة تشيليينغ الشعبية منذ تأسيسها . واصبح لديها الآن نظام متناسق من الابحاث العلمية وتعميم التقنية الزراعية فى كل المستويات . فللكومونة مركز لتعميم التقنية الزراعية ، وللـ ٣٨ فيلقا انتاجيا جماعات

للابحاث العلمية منظمة جغرافيا فى ست شبكات لتعميم التقنية الزراعية ، اما الفرق الانتاجية – الوحدات القاعدية فى الكومونة – فقد اصبح لكل واحدة منها تقنيوها الفلاحون . ويضم هذا النظام ، او بعبارة اخرى الشبكة العلمية والتقنية ، اكثر من الف شخص ، منهم فلاحون مسنون ذوو خبرة غنية ، وتقنيون تم تدريبهم فى المدرسة التقنية الزراعية التابعة للكومونة وغيرها من المدارس التقنية ، وخبراء محليون فلاحون يستوعبون التقنية المتقدمة ، وشباب مثقفون يعملون فى القرى .

وفى ادارة الانتاج الزراعى دائما ما تعتمد لجنة الحزب فى الكومونة على هذه الشبكة للحصول على المعلومات التقنية والنصائح . ولهذا السبب اطلق الناس عليها كنية " هيئة الاركان " . ونظرا لأنها قد لعبت دورها المتزايد الفعالية كهيئة للاركان لعشر سنوات او اكثر ، فانها حظيت بدرجة عالية من تقدير لجنة الحزب فى الكومونة .

ان توجيه الزراعة الاشتراكية على نطاق واسع فى احدى الكومونات شبيه بتوجيه حملة عسكرية كبيرة – قد تنتج عن اى خطأ خسارة خطيرة فى مساحات واسعة . وتقوم الشبكة العلمية والتقنية بمهام هيئة الاركان ، اذ انها تقدم معلومات صحيحة دقيقة لتقليل فرص الخطأ ، وتقترح الاجراءات التقنية الضرورية لكسب النصر .

تنبؤ عن الحشرات الضارة

فى يوم ١٢ اغسطس ١٩٧٣ صدر بلاغ عن جماعة الابحاث

العلمية التابعة لفيلق يانغتون جاء فيه : " فى الصباح الباكر من هذا اليوم وجدت الفراش فى المصيدة ذات الضوء الاسود . ويبلغ عدد كل من الذكور والاناث ١٩ . "

جذب هذا البلاغ اهتماما بالغا من لى ون شنغ ، وهو خريج فى المدرسة التقنية يعمل نائبا لمدير مركز تعميم التقنية الزراعية بالكومونة . وعلى ضوء خبرته وبصفته تقنيا عمل فى تشيليينغ لأكثر من عشر سنوات ، عرف ان وقوع الفراش بعددها المتساوى من الذكور والاناث فى المصيدة يعنى اعلى درجة فى وضع البيض . الا انه اندهش لحدوث هذا فى الوقت الذى كانت فيه الدورة الحياتية للجيل الثانى من دود القطن على وشك الانتهاء . فنبه فى الحال شبكات تعميم التقنية الزراعية الست التابعة للمركز الى مراقبة الوضع بصورة جادة ودقيقة .

فى اليوم التالى وصل تقرير طارئ من شبكة تعميم التقنية الزراعية فى فيلق تشيليينغ ، مفاده ان الجيل الثالث من دود القطن ظهر فى الحقول مبكرا قبل وقته المعتاد ، وان تعداد بيضه مرتفع .

ثم وصلت التفاصيل من مختلف الفيالق عن طريق الهاتف . وكان تعداد البيض يزداد بسرعة حتى بلغ اعلاه ١٠٠٠ بيضة لكل مائة شجيرة قطن وهذا رقم قياسى .

دعا جيو جى يوى امين لجنة الحزب فى الكومونة الى اجتماع طارئ . وبعد الاستماع الى تقرير من مركز تعميم التقنية الزراعية حول خطر هذه الحشرات ، قرر المجتمعون اعادة تنظيم برنامج

انتاج الكومونة حتى تصبح مكافحة الحشرات المهمة الاساسية الراهنة .

وقد دلت السجلات المحلية على ان العشرة ايام الثانية من اغسطس هى نهاية الدورة الحياتية للجيل الثانى من دود القطن ، وان الجيل الثالث لم يكن متوقع الظهور الا فى العشرة ايام الاخيرة . وعليه فقد قررت الكومونة فى تلك السنة كعادتها ان تستغل اواسط اغسطس " فترة الركود " فى حقول القطن بغرض التحضير لبذر القمح .

الا ان الجيل الثالث من دود القطن قد ظهر مبكرا قبل ميعاده المقرر بعشرة ايام . ولما كان الطقس حارا فان نسبة حياة البيض قد تصل ١٠٠ فى المائة مما يتمخض عنه حتما هجوم عنيف من الحشرات الضارة . كان لا بد من اتخاذ اجراءات عاجلة لابادتها فى اثناء القفس . ففى اجتماع الكوادر الطارئ الذى عقدته لجنة الحزب فى الكومونة فى ١٤ اغسطس ، دعت اعضاء الكومونة الى القيام بعمل سريع .

هكذا بدأت الحملة ضد الحشرات . فارتفعت فوق المحيط الاخضر من حقول الكومونة سحائب مبيدات الحشرات الصفراء التى كانت رائحتها تؤذى الانوف . كانت آلات المبيدات تعمل بكامل قوتها . وقد تحركت قوة استطلاعية خلال حقول القطن لتتعرف على نتائج العمل وتراقب التطورات الجديدة . وكان مكتب " هيئة الاركان " يعج بالمكالمات التليفونية .

– نعم ؟ كيف تسير الحملة ؟ الامر يزداد سوءا ؟ ... هذا صحيح . اضربوها بقوة !

– ماذا قلت ؟ سيطرتم على الوضع ؟ جميل . استمروا فى الارصاد واشحذوا ابصاركم !

. . . . . .

كانت الحملة كما هو متوقع سجالا عنيفا . فكلما تم التغلب على الديدان ورد هجومها ، كلما ظهرت وهاجمت مرة اخرى ، وقد حدث هذا مرات عديدة . وبغرض حث الناس على بذل جهود اعظم عقدت الكومونة الاجتماع الاذاعى العام لثلاث مرات لاطراء الاعمال الرائعة والاشخاص المبرزين خلال الحملة الشاقة التى استمرت عشرة ايام .

ثم عقدت " هيئة الاركان " اجتماعا طرح فيه امين لجنة الحزب جيو السؤال التالى : " كيف تقيمون الوضع الآن ؟ ومتى سننهى الحملة ؟ ومتى نحول الاتجاه الرئيسى للهجوم ؟ "

عند الاجتماع قدم قادة الشبكات عرضا لسير الامور فى الفيالق ، وحللوا الوضع ، واعتقدوا انه لم يتم التغلب تماما على الخطر ، غير ان بعض الناس ظهرت عليهم دلائل الملل من معارك الحملة . وخلال تخطيط العمل طالب هؤلاء القادة بمواصلة مكافحة الحشرات دون تراخ ، والا فان بعض الفرق الانتاجية قد تلقى جانبا بآلات المبيدات ، وتترك الامور تنزلق ، وتعطى " العدو " بذلك فرصة للانتعاش .

وبعد ان استمع امين لجنة الحزب جيو الى التقرير والتحليل تحدث فى اليوم التالى فى اجتماع آخر ضم كل الكوادر حول اهمية عدم

ترك الحملة تخفق بعد بداية تبشر بالنجاح .

استمرت الحملة حتى نهاية اغسطس . وبالرغم من شدة الخطر فى البداية وطول مدته غير العادى ، الا ان الجيل الثالث من دود القطن تمت ابادته بنجاح بفضل صحة المعلومات وقوة الاجراءات .

فى المجتمع القديم كان الفلاحون لا يعرفون مكافحة الحشرات . وعندما تعرضت محاصيلهم للضرر كانوا لا يفعلون شيئا غير مراقبة ذلك وهم عاجزون . وبعد التحرير عممت بالتدريج الاساليب العلمية لمكافحة الحشرات ، الا ان انعدام القيادة الموحدة حد من فعالية المكافحة . فكانت الحشرات تهاجر فى سهولة من الاماكن التى كانت تكافح فيها الى الاماكن التى ليس فيها كفاح .

وبعد تأسيس كومونة تشيليينغ اكتسب اعضاؤها بعض المعرفة حول قوانين نشاط اكثر من عشرين حشرة من حشرات القطن وتحركاتها ، وقاموا بالابحاث فى وسائل القضاء عليها بالطرق الكيماوية والبيولوجية معا . بيد ان العامل الأكثر فعالية الذى مكن الكومونة بأكملها من شن الحملة الناجحة هو العمل الموحد تحت قيادتها الموحدة باستخدام المعلومات التى قدمتها الشبكة العلمية والتقنية . وهكذا لم تقاس تشيليينغ فى السنوات الاخيرة من انخفاض انتاج القطن بسبب الحشرات الضارة .

سلالات البذور الجيدة

ان اختيار السلالات الجيدة هو احدى الوسائل التى اكسبت

كومونة تشيليينغ حصادا مرتفعا من القطن والحبوب .

ان فيلق سونغتشوانغ الذى كان ينتج انتاجا منخفضا جدا من الحبوب قبل ١٩٦١ ، ينتج الآن اعلى انتاج فى الكومونة . وفى فترة مبكرة عندما زار التقنى الزراعى لى ون شنغ فيلق سونغتشوانغ سأله امين فرع الحزب تشى جيو وانغ :

– يا لى الصغير ، ان تربتنا جيدة فلماذا لا ننتج قمحا اكثر ؟

– اعتقد ان الامر يعود الى نوع البذور التى تستخدمونها ، ان السلالات قد اصبحت مختلطة ومنحطة ، ولهذا انخفض المحصول . فلماذا لا تربون السلالات المحسنة ؟ سأعاونكم على هذا .

– حسنا ، سوف نفعل هذا !

فى ذلك العام – ١٩٦١ – ساعد لى ون شنغ فيلق سونغتشوانغ على تشكيل جماعة للابحاث العلمية ، وعلى تخصيص رقعة مساحتها عدة مو من الارض تمت زراعتها بأكثر من عشرة انواع من سلالات القمح الجديدة حتى يمكن المقارنة بينها واختيار سلالة تلائم الظروف المحلية .

وحينما سنبل القمح اكتسحت تلك المنطقة ريح حارة وجافة ، مما ادى الى موت المزروعات باستثناء سلالة "فومو" الالبانية . فقد واصلت نموها كأن شيئا لم يحدث . وعندما نضجت اعجب بها الجميع .

– انظر الى هذه السنابل ، كم هى كبيرة !

– يا له من نبات رائع !

اختيرت بذور نقية من هذه السلالة لتربيتها عامين آخرين حتى يمكن تطوير نقاوتها وحيويتها . وقد نجم عن تعميم زراعتها فى الحقول عام ١٩٦٣ زيادة الانتاج بنسبة ٥٠ بالمائة اى ٤٠٠ جين فى مو الواحد بالمعدل .

ثم واصلت جماعة الابحاث العلمية فى الفيلق اختيار اجود نباتات القمح من الحقول ، واخذت حباتها لزرعها فى البقعة التجريبية للبذور لمدة ثلاث سنوات على التوالى بغية تحسين نوعيتها قبل تعميم زراعتها على نطاق واسع . ومنذ ذلك الوقت استمر فيلق سونغتشوانغ بهذا المنوال فى حل مشكلة اختلاط السلالات وانحطاطها وضمان حصاد مرتفع من القمح الراقى النوعية كل سنة .

اقتدت فيالق كثيرة فى تشيليينغ بما فعله فيلق سونغتشوانغ ، وبدأت تربى السلالات المحسنة . وانشأت الكومونة اربع مزارع بذور راقية النوعية . فمنذ عام ١٩٧١ قدمت مزرعة ليتاى للبذور ، وهى اكبر مزرعة تبلغ مساحتها ٦١٠ مو ، ٤٥٠ر٠٠٠ جين من بذور القطن والقمح والذرة الشامية لزراعتها فى الحقول .

واليوم اصبحت كومونة تشيليينغ لا تكتفى ذاتيا بالسلالات الجيدة فحسب بل تمد مناطق اخرى بكميات كبيرة منها ايضا .

يان هونغ ان ، رئيس مزرعة ليتاى ، واحد من عشرة خبراء محليين فلاحين لقبوا من قبل الكومونة رسميا فى سنة ١٩٦٠ . اذا ما شاهدته ،

وقد لف البشكير على رأسه وحمل المعزقة على كتفه ، جزمت تماما بأنه فلاح قديم مائة فى المائة . انه يكتب المقاطع الصينية بيد ماهرة . وعندما يحاضر الشباب حول التقنية الزراعية يكون اسلوب شرحه وعرضه منطقيا للغاية ، ويربط ربطا وثيقا بين النظرية والتطبيق العملى . انه يذكر الانسان بمعلم القرية . وباختصار فانه فلاح مثقف .

ان التعليم الفعلى الذى ناله يان لا يتعدى سنوات قلائل فى المدرسة الابتدائية . لقد حصل على معرفته بالنظرية الزراعية عن طريق الاستعلام الدؤوب والتعلم من الممارسة . وفى الفترة الاولى بعد التحرير عندما كان عمره ٢٣ سنة ارسلته القرية الى مزرعة قريبة تابعة للدولة للالتحاق بدورة تدريبية قصيرة المدة حول التقنية الزراعية . ومن ثم بدأ حبه ورغبته فى تعلم الاساليب العلمية .

ان يان هو باحث مجد للحصول على سلالات جديدة . فى سنة ١٩٦٥ وجد فى احد الحقول شجيرة قطن تحمل توأمين من لوز القطن على فرع قصير . فجلس القرفصاء من فوره ليبحث ويحقق فى هذه الظاهرة الجديدة ، ثم وضع قربها عصاة صغيرة حتى يتعرف عليها بسهولة ويراقبها .

وبرجوعه اليها بانتظام عدة مرات اكتشف خصائص اخرى فريدة من نوعها ، فهى اولا حملت اللوز قبل مثيلاتها بعشرين يوما مما يدل على انها سلالة مبكرة النضوج ؛ وثانيا ولدت لوزات اكثر من غيرها بـ ٢٠ بالمائة ، وكانت فروعها غير الضرورية قليلة ، الامر

الذى يوفر العمل اثناء تقليم القطن ؛ واخيرا كان شكلها اشبه بالباغودة الصينية منه بالهرم المصرى ، كما هى العادة ، ولهذا كانت تحتل حيزا اقل وتصلح للغرس الكثيف . وعندما نضجت هذه الشجيرة شكلت توائم لوزاتها منظرا رائعا وهى متجهة الى اعلى مصطفة بكثافة على طول الفروع مثل صفوف عديدة من كرات الطاولة .

جمع يان كل البذور من هذه الشجيرة ، وقام بتربيتها وتكثيرها لسبع سنوات متتالية . واليوم تزرع سلالة "توائم اللوز" هذه فى ٥٠٠ مو من اراضى كومونة تشيليينغ ، وقدمت بذورها الى خمس محافظات مجاورة للزراعة التجريبية .

قام دو شينغ كاى ، وهو تقنى زراعى فى فيلق ليودیان بلغ عمره ٢٣ عاما ، باجراء تجارب للمقارنة بين اكثر من عشر سلالات قطن عالية المردود فى بقعة تجريبية للبذور . وذات مرة دعا بحماسة الرفيق تيان امين لجنة الحزب فى الكومونة ليلقى نظرة عليها ، فسر تيان سرورا عظيما بما رأى ، الا انه قبل مغادرته طرح السؤال التالى :

– ان سلالاتك ذات المردود العالى تبدو فى حالة جيدة . ولكن اذا ما استمر الذبول ينتشر فى حقولنا فأى فائدة تعود علينا ؟ هل فكرت فى هذا ايها الشاب ؟

فى حقيقة الامر ظل الذبول ينتشر خلال حقول القطن لهذا الفيلق منذ عام ١٩٦٦ ، وعجزت جماعة الابحاث العلمية بقيادة دو شينغ كاى عن القضاء عليه سواء أكان بالطرق الكيماوية ام غيرها . فجعل

سؤال امين لجنة الحزب تيان هذا الشاب يفكر فى ايجاد سلالة من القطن تقاوم الذبول . وبعد خمس سنوات من تجاربه نجح فى ايجاد سلالة جديدة بدأت زراعتها التجريبية فى الحقول عام ١٩٧٣ .

الزراعة المكثفة

فى المجتمع القديم كانت الممارسة السائدة فى زرع القطن هى ترك مسافة كبيرة بين كل شجيرة واخرى حتى يمكن تمدد طفل فيها . اما اليوم فقد صارت المسافة ضيقة لا تتسع الا لجريان جرو بين الصفوف لا بين شجيرة واخرى فى نفس الصف . لقد رفعت كومونة تشيليبنغ بعد سنوات من التجارب والتعميم كثافة شجيرات القطن من ٢٠٠٠ الى ٧٠٠٠ او ٨٠٠٠ فى مو الواحد .

وكان احد الرائدين فى بلوغ ذلك هو دو فا تينغ رئيس جماعة الابحاث العلمية فى فيلق كانغتشوانغ ، وهو واحد من الخبراء المحليين الفلاحين العشرة الذين لقبوا من قبل الكومونة . انه لا يتمتع باحترام عميق فى قريته فحسب بل يقود الآن كذلك شبكة تضم جماعات الابحاث العلمية فى اربعة فيالق . ولكنه قبل عشرين سنة عندما بدأ تجاربه فى زراعة القطن بالطرق العلمية لم يجد أية مساندة حتى فى منزله .

لقد ازدادت رغبته فى الزراعة المكثفة فى بداية الخمسينيات خلال فترة فرقة المساعدة المتبادلة التى أعقبت الاصلاح الزراعى . وذات يوم خاطب والده بعد زيارته مزرعة للدولة قائلا :

ـ لقد احرزوا انتاجهم العالى من القطن ، ذلك لانهم زرعوا ٤٠٠٠ شجيرة فى مو الواحد . فلماذا لا نحاول نحن ذلك ؟

ولما لم يتصور والده كيف يمكن ان تكثف الزراعة بالدرجة التى تصل الى هذا الرقم لم يقل شيئا . الا انه عندما شاهد ابنه يزرع بكثافة انفجر فى وجهه فى الحقل :

ـ انك لا تعرف ماذا تفعل ! من غرس بحق السماء بهذه الطريقة من قبل ؟

قال دو فا تينغ :

ـ فلنجرب هذه الطريقة مرة واحدة ! اذا لم تنجح نتخلى عنها .

ـ سوف تجعل الجيران يضحكون علينا . لا تتوقع ان اكون كالأبله الى جانبك !

قال الرجل العجوز بحدة ، وتوقف عن العمل واتجه نحو بيته .

طلب الشاب دو العون من الفلاحين المسنين المتمرسين فى فرقة المساعدة المتبادلة ، الا انهم كانوا لا يؤمنون بالزراعة المكثفة ايضا . واخيرا جرب هو وحده الاسلوب الجديد بينما اصروا على الاسلوب القديم . فنتيجة لذلك كانت الشجيرات فى الحقل مكثفة هنا ومتناثرة هناك ، وبلغ عددها حوالى ٣٦٠٠ شجيرة فى مو الواحد .

وفى ادارة الحقل طبق دو باخلاص ما تعلمه من التقنى الزراعى فى مزرعة الدولة . ولما نبتت نبتات القطن تجمع عدد كبير من الناس لالقاء نظرة عليها .

علق بعضهم وهم يهزون رؤوسهم :

– متلاصقة بهذه الدرجة ، سيكون هنالك سيقان واوراق ، لا لوزات .

– انها جميلة !

قال احدهم ، وهو يهز رأسه علامة على الموافقة . عندما سمع دو هذا التعليق قفز قلبه فرحا . بيد ان ذلك الشخص اضاف قائلا :

– انها تشبه زهورا فى مرآة ، جميلة المنظر وعديمة الفائدة .

فأصيب دو بصدمة شديدة حتى كاد ان يتشاجر معه . ولحسن الحظ كان التقنى الزراعى قد نبهه الى ان الزراعة المكثفة فى بداية الامر سوف تقابل السخرية ، لأن الناس غير معتادين عليها . وان ما يقنعهم وحده هو حصاد غنى .

فى ذلك العام انتجت قطعة ارض دو التجريبية حصادا وافرا بمعدل ١١٠ جين لمو الواحد ، فأصبح ذلك حديث كل اهالى القرية .

– لقد حقق الشاب دو امنيته . والحصاد مرتفع بالفعل ! هكذا قال الناس لبعضهم البعض .

حصل هذا قبل اكثر من عشرين عاما . وكانت منظمات الحزب المحلية دائما ما تلجأ الى امثال دو فا تينغ كى توضح للفلاحين مزايا الزراعة بالطرق العلمية . ومع ذلك لم يصبح تطبيق هذا الاسلوب من الزراعة على مساحات واسعة ممكنا الا بعد تكوين التعاونيات .

وبتأسيس الكومونة تطورت الزراعة بالطرق العلمية عرضا وعمقا

حتى اصبحت حركة جماهيرية ثورية . وادرك عدد متزايد من اعضاء الكومونة ان هذا يمثل معركة ضد قوة العادة المتبقية من الاقتصاد الضيق للفلاحين التى كانت سائدة فى الصين لآلاف السنين . وباحداث اصلاحات جذرية فى اساليب الزراعة القديمة حطموا خرافة " القدر المكتوب" التى نشرها كونفوشيوس واتباعه عبر الاجيال ، ووطدوا عقيدة الثورة المتواصلة وحقيقة ان " الانسان قادر على هزيمة الطبيعة " .

ومما تجدر الاشارة اليه بصفة خاصة انهم تعلموا كيف يطبقون الديالكتيك الماركسى لحل مشاكل عديدة تظهر فى سياق الزراعة بالطرق العلمية .

ديالكتيك الزراعة

ان الخبراء الفلاحين والتقنيين الزراعيين الفلاحين فى كومونة تشيليينغ قد درسوا بجد مقالتى الرئيس ماو « فى الممارسة العملية » و« فى التناقض » . انهم كثيرا ما يستعملون المفاهيم منهما فى اثناء مناقشة مسائل زراعة القطن ، ويتحدثون حول " التناقض بين الزراعة المكثفة والقدر الكافى من الهواء وضوء الشمس للنبات" وحول " التناقض بين العوامل الغذائية والعوامل التناسلية خلال نمو النبات" وهكذا .

وفى حقيقة الامر ان عملية زراعة القطن الجيدة فى تشيليينغ ، من نثر البذور الى ادارة الحقول ، لا يمكن فصلها عن التطبيق الواعى للديالكتيك . وعلى سبيل المثال فان الانسان اذا اراد ان يجعل شجيرة

القطن تحمل لوزات اكثر ويجنبها السقوط ، فلا بد من ان يستخدم استخداما ديالكتيكيا وجهين : تسريع النمو والسيطرة عليه . اما متى يباشر الانسان التسريع ومتى يباشر السيطرة فان هذا يعتمد على مجموعة من العوامل المعقدة فى النبات وفى محيطه ايضا . ان الشبكة العلمية والتقنية فى الكومونة تحلل الوضع وتقدم النصح حول هذه المسائل .

فى الفترات الحاسمة فى نمو القطن يقوم اعضاء الشبكة بفحص الحقول مرة كل اسبوع لاكتشاف المشاكل ويقدمون الحلول . ان "التعليل الميدانى" كهذا عادة ما تقوم به جماعات الابحاث العلمية من عدة فيالق بالتضامن فيما بينها . وللقيام بفحص اوسع نطاقا يصطحب امين لجنة الحزب فى الكومونة عددا من افراد "هيئة الاركان" يطوفون بأرجاء الكومونة كلها . وحيثما يصلوا يرحب بهم اعضاء الكومونة منادين "خبراءنا" ، وهم يطلبون منهم النصح فيما يتعلق بالقطن .

وفى احدى الجولات فى يونيو ١٩٧١ توقف امين لجنة الحزب جيو مع افراد "هيئة الاركان" عند فيلق كانغتشوانغ . وفى احد الحقول التى كانت تشرف عليها مجموعة من الشباب شاهدوا شجيرات القطن مزدهرة خضراء ولكن لوزاتها قليلة . وكان هؤلاء الشبان لعدم خبرتهم قد اعتنوا بنمو الشجيرات اكثر من عنايتهم بزيادة الثمر . والسبب فى ذلك يرجع الى "عدم الانسجام بين العوامل الغذائية والعوامل التناسلية خلال نمو النبات" . ولتغيير هذا الوضع اقترحوا عليهم القيام بالحرث العميق الفورى بين صفوف القطن ورش شجيراته بمادة

كيماوية للسيطرة على النمو غير المرغوب فيه .

وعندما وصلوا الى فيلق باليوشو عند منتصف النهار لاحظوا ان رؤوس شجيرات القطن فى حقوله لا تستدير نحو الشمس ، واوراقها قرب الجذور غير منتعشة . ان هذا دليل على قلة الرطوبة فى التربة . وقد شاهدوا نفس الظاهرة فى الفيالق الاخرى التى قاموا بزيارتها فى اليوم ذاته .

بعد زيارة كل الفيالق توصلوا الى رأى واحد مرده ان بعض القطن فى الكومونة قد زاد نموه اكثر من اللازم بينما كان الباقى فى حالة نمو طبيعى ، الا انه بدأ يتأثر بقلة الرطوبة فى التربة . ولما كانت معظم الفيالق مشغولة بالتحضير لحصاد القمح اهملت بادرة الجفاف فى حقول القطن . فعقدت لجنة الحزب فى الكومونة اجتماعا عاما للكوادر يدعو الى اتخاذ خطوات مباشرة لتغيير هذا الوضع قبل تحويل كل القوى الى حصاد القمح .

وفى خلال ثلاثة ايام رويت كل حقول القطن المتأثرة بالجفاف . ولذا كان القطن ينمو نموا طبيعيا فى حين جرى حصاد القمح . ولو لا ذلك لسبب الجفاف المتزايد هبوطا فى محصول القطن .

وفى ذلك العام وصلت الكومونة قمة مردودها التاريخى من الحبوب والقطن معا .

* * *

ما الذى مكن كومونة تشيلينغ الشعبية من رفع انتاجها من الحبوب

والقطن بهذه السرعة ؟ الاجابة هى ان الزراعة بالطرق العلمية كانت عاملا بالغ الاهمية . ولكن ما الذى مكنها من تطبيق هذا الاسلوب على نطاق جماهيرى كهذا ، وعلى مساحة واسعة كهذه ؟ ان الجواب يكمن فى تفوق الكومونات الشعبية – حجمها الاكبر ودرجتها الاعلى من الملكية العامة – الذى يوفر الظروف المادية للزراعة بالطرق العلمية . واهم من هذا هو قيادة الكومونة القوية وعملها المنسق ، الامر الذى سمح بتطبيق هذا الاسلوب على نطاق واسع وبصورة سريعة ومثمرة .

٣

قرية ليوتشوانغ

– ملامح جديدة وناس جدد

" بعض القرى المنعزلة الخالية من اى مظهر من مظاهر الحياة مبعثرة هنا وهناك تحت السماء المكفهرة الموحشة . . . " هكذا وصف لوشيون الكاتب الصينى المعاصر العظيم مسقط رأسه فى العشرينات .

اما الآن فان الشباب الذين يعيشون فى قرية اشتراكية جديدة – فيلق ليوتشوانغ الانتاجى لكومونة تشيلينغ الشعبية – لا يمكنهم ان يعرفوا شيئا عن الريف المتأخر الراكد الكئيب فى الصين القديمة الا من خلال الوصف الذى يجدونه فى الاعمال الادبية وما تحمله ذاكرة اهلهم الكبار .

قرية ليوتشوانغ – احد الفيالق المتقدمة فى الكومونة – يتمتع افرادها بالوعى السياسى المرتفع ، واعمالها الانتاجية ذات مستوى جيد ، كما طرأت على ملامحها تغيرات هائلة . لقد ظهرت الى حيز الوجود بعض القرى من هذا النوع فى مختلف محافظات الصين ، وبالرغم من انها لا تشكل نسبة كبيرة جدا فى الوقت الحاضر ، الا انها تمثل

اتجاه التطور لريفنا الاشتراكى الجديد .

ملامح جديدة

حقا ان قرية ليوتشوانغ الجديدة صارت جميلة رائعة . واذا شاهدتها من اعلى يمكنك ان ترى الـ ١٩٠٠ مو من اراضيها المزروعة الخضراء والمقسمة الى حقول مربعة منسقة تحيط بكل منها قنوات الرى المستقيمة وصفوف الاشجار المتراصة ، وتتراوح مساحته بين ١٠٠ مو و٣٠٠ مو . كانت هذه الحقول قطعا صغيرة مبعثرة غير منظمة ، اما الآن فقد اصبحت بعد اتمام "عملية جراحية كبرى" حقولا منبسطة كرقعة الشطرنج .

وتشكل صفوف اعضاء الكومونة ، وهم يعملون فى الحقول ، رمزا للزراعة الجماعية التى يباشرها الفلاحون الآن فى الارياف . وبيوت القرية بسقوفها الرمادية والحمراء تتخللها الاشجار الخضراء الوارفة متشكلة فى صورة من الانتظام والوداعة والانتعاش ، ومنازل الـ ١٨٧ عائلة التى كانت مبنية من الطين فى القرية قد اعيد بناؤها بالطوب وفوق ذلك يزداد عددها كل عام . وقد اختفت الاكواخ البالية من هذه القرية .

تقف منازل القرية على جوانب الطرق الاربع المستقيمة التى تتقاطع كل اثنتين متوازيتين منها مع الاثنتين الاخريين فى زاوية مستقيمة ، وعلى جانبى الطريق يمتد مجرى تصريف المياه المرصوف بالطوب ، اما الطرق الملطخة بالطين والتى كانت مليئة بالحفر فلم تعد سوى ذكريات .

يمد السكان مجانا بالمياه العذبة التى تأتى من بئر ارتوازية يبلغ عمقها ٥٠ مترا وتزود بصهريج يقع فى شمال القرية وهو اعلى بناء فيها ، وتتوزع صنابير المياه فى الطرق الاربع ويبعد كل منها عن الآخر عشرات الاقدام . كانت المياه المستخدمة بالقرية تأتى من الآبار الثلاث الضحلة ، ففى الايام التى لا يهطل فيها المطر تجف مياه الآبار حتى يظهر قاعها ، ويغدو ماء الشرب مشكلة من المشاكل الصعبة .

يتوسط القرية ميدان يتسع لالف شخص ، وهو مركز نشاط اعضاء الكومونة . وفى الماضى لم تكن القرية القديمة التى سادها الاقتصاد الضيق للفلاحين بحاجة الى الميدان كهذا . ولكن اليوم يجتمع فيه اعضاء الفيلق كل صباح قبل ذهابهم الى الحقول ، ويعقدون فيه اجتماعاتهم المختلفة فى الامسيات الدافئة . ومن حول هذا الميدان اقيمت تعاونية للتموين والتسويق ، وتعاونية للتسليف ، ومكتبة للمطالعة وحجرة للمعروضات ، ومحطة للاذاعة وغيرها . كما بنيت قاعة كبرى ذات ارضية منحدرة تتسع لـ ١٥٠٠ مقعد ، والمسرح الخشبى فيها مزود بالانوار الكاشفة ويتسع لمائة من الممثلين . ففى ايام العطلات تعرض فيها الافلام والعروض الفنية التى تقدمها الفرقة الدعائية الفنية غير المحترفة فى القرية او الفرق الفنية المحترفة من المدينة ، وفى القاعة جهاز تلفزيونى يتتبع الناس منه الاخبار والبرامج الفنية التى تبثها محطة تلفزيون بكين عن طريق مدينة تشنغتشو .

ان هذه القاعة الكبرى الانيقة التى كان يصعب على المرء ان

يشاهد مثلها حتى فى حاضرة المحافظة فى الصين القديمة قد بناها اعضاء فيلق ليوتشوانغ فى فترة قصيرة من وقت فراغهم .

حبوب مخزونة

ان مخزن حبوب الفيلق هو احسن بناء فى القرية ، وعلى بابه كتبت الكلمات الآتية : " الاستعدادات لمواجهة الحرب ومقاومة الكوارث الطبيعية " . وتبلغ سعته ١٫٦ مليون جين من الحبوب ، انه يخزن كل ما يملكه الفيلق من البذور وحبوب الاكل والعلف . وفى اثناء زيارتنا احضر لنا امين المخزن المسن شى تشوان لى دفتر حساباته ، وقد اتضح منه انه ، الى جانب وجود كميات وفيرة من الحبوب تكفى لسد حاجة سكان القرية البالغ عددهم ١١٣٨ شخصا لمدة عام ، كان مقدار الاحتياطى الصافى من الحبوب يبلغ ٦٠٠ الف جين تكفى لمدهم بالطعام مدة عام آخر ، ويسمى اعضاء الكومونة هذه الحبوب بـ " الحبوب الاحتياطية لمواجهة الحرب" .

استمر شى تشوان لى يشرف على هذا المخزن بجد وعناية لعشر سنوات واكثر . وفى المجتمع القديم كان يقاسى من الجوع ، وهرب من القرية متشردا نتيجة الكوارث الطبيعية ، لذلك يدرك تماما ان تخزين كميات وافرة من الحبوب ، كما تفعل قرية ليوتشوانغ اليوم ، انما هو نعمة يصعب الحصول عليها . وقبل التحرير كان ملاك الاراضى والفلاحون الاغنياء عشر عائلات فى القرية وهم وحدهم يخزنون فائضا

من الحبوب ، ولكنه لم يزد على ٥٠ الف جين فى مجموعه ، وعندما يحتاج الفلاحون الفقراء الى الحبوب قبل موسم الحصاد كان مصاصو الدماء هؤلاء يتقاضون منهم ربحا فاحشا . اما الذين لا يستطيعون تسلف الحبوب فقد ارغموا على اكل لحاء الشجر واوراقه او العشب وجذوره او قشر لوز القطن . . . وفى سنوات المجاعة حينما امست كافة الاشجار عارية من لحائها واوراقها كانت القرية تبدو كأنها عادت من خضرة الربيع الى فراغ الشتاء المدقع . وهجرت معظم العائلات منازلها بعد ان توصد ابوابها بالطين ، واتخذت سبيلها للتسول فى اماكن اخرى ، يا لها من مأساة ! كان لشى تشوان لى خمسة اطفال ، ولم يعش فى تلك السنوات القاسية الا واحد منهم ، ومات الآخرون من الجوع .

واليوم يحصل كل فرد فى ليوتشوانغ سواء أكان رجلا ام امرأة ، عجوزا ام صبيا على معدل ٥٢٠ جين من الحبوب كل عام ، وتودع معظم حبوبهم فى المخزن حيث يقوم شى تشوان لى بارسال كميات معينة من القمح كل شهر الى مطحنة الفيلق لتحويلها الى دقيق كى يتسلمه اعضاء الفيلق حين يحتاجونه ببطاقات الحبوب الصادرة عن الفيلق . ولم يعد هنالك من يستخدم الطاحونة الحجرية الثقيلة ، وقد اختفى شبح الجوع فى ليوتشوانغ الى الابد ، ولم يعد فى القرية بيت واحد تنقصه الحبوب فى اى وقت من العام .

عائلة كبيرة غنية

ان عائلات قرية ليوتشوانغ البالغ عددها ١٨٧ عائلة ، والتى نظمت فى فيلق الانتاج للكومونة تبدو وكأنها عائلة كبيرة جيدة الادارة . ان فيلق ليوتشوانغ متوسط الحجم من حيث المساحة والسكان وهو واحد من الفيالق الثلاثة التى تعتبر وحدة اساسية للمحاسبة على نطاق الكومونة (وفى الفيالق الاخرى تتخذ الفرقة الانتاجية كوحدة المحاسبة) .

يبلغ عدد الايدى العاملة فى القرية اكثر من ٨٠٠ فرد من الرجال والنساء ، وهم منظمون فى ثلاث فرق انتاجية وخمس جماعات مختصة بمزاولة الاعمال فى الحقول التجريبية ، وبساتين الخضراوات ، والفواكه ، وتربية المواشى ، والخنازير . يمتلك الفيلق الارض والآلات الزراعية وحيوانات الجر ، ويقوم بصورة موحدة بوضع خطط الانتاج وتنظيم العمل اليومى فى الحقول وتوزيع الدخل . ان فيلق ليوتشوانغ بوسعه ان يسير على هذا النهج ، ذلك لان فرقه الانتاجية الثلاث صارت على نفس مستوى الانتاج تقريبا ، وان اعضاءه يأملون بلوغ درجة اعظم من الجماعية واثقين بأن ذلك سيدفع الانتاج الى الامام .

وبالمقاييس الريفية الجارية فى الصين نرى ان هذه " العائلة الكبيرة " التى يبلغ ما فى صندوقها المالى العام اكثر من ٨٠٠ الف يوان يمكن اعتبارها عائلة متيسرة او غنية .

ان القوة الاقتصادية لقرية ليوتشوانغ تظهر لا من الكميات الوافرة المخزونة من الحبوب فحسب ، بل من حظيرة مواشيها ايضا .

تقع هذه الحظيرة فى اقصى الجزء الشمالى من القرية ، وتبلغ مساحتها حوالى نصف ميدان لكرة القدم ، وتقوم فى كل جوانبها الزرائب المسقوفة حيث يتواجد اكثر من ٢٠٠ رأس من الثيران والخيل والبغال والحمير والابقار الحلوبة . وجدير بالذكر ان واحدا من خيول شينجيانغ الجيدة السلالة او واحدا من البغال الممتازة يساوى جرارا فى قيمته . ويشرف على هذه المواشى اربعة عشر مربيا وبيطرى واحد ، ويبذلون العناية البالغة فى تربيتها وتناسلها . ان مزيدا من حيوانات الجر يعنى مزيدا من الحرث والنقل وسماد الحيوان ، اضف الى ذلك ان الـ ١٠٠٠ خنزير فى فيلق ليوتشوانغ تشكل "مصانع" صغيرة تنتج كل يوم السماد العضوى الذى يعود بالنفع لاستصلاح الارض مع استخدام السماد الكيماوى ، مما جعل الارض الفقيرة اخصب من ذى قبل .

هذا وقد انفق الفيلق مبلغا كبيرا من امواله على بناء مشاريع الرى مثل بناء محطات تحويل كهربائية ، وشراء مضخات ومولدات كهربائية ومحركات ديزل وغيرها . اذا انحبس المطر لمدة مائة يوم فى ليوتشوانغ استطاعت الآبار الارتوازية السبع التى تعمل معا فى آن واحد ان تقدم مياها كافية للتغلب على الجفاف خلال اسبوع واحد . واذا سقطت امطار غزيرة يبلغ مقدارها ٢٥٠ ميلمترا فى يوم واحد تمكن نظام تصريف المياه من اخراج المياه الفائضة خلال ٢٤ ساعة فقط . وكذلك خصص الفيلق اموالا لا يستهان بها لشراء الآلات الزراعية .

لقد ابتاع ثلاثة جرارات ضخمة ، وبعض الادوات الزراعية ، واكثر من ٢٠٠ جهاز لرش المبيدات ، وعددا كبيرا من آلات الدراس والتكسير ، وغيرها من الآلات المخصصة لتحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاشغال الجانبية . واليوم تحققت المكننة فى الحراثة وتحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاشغال الجانبية ، بيد ان اعمال التبذير واستئصال الاعشاب والحصاد وادارة الحقول لم تكن آلية بعد .

فصار تنظيم العمل الجماعى بطريقة معقولة وفعالة فنا من فنون القيادة فى هذه العائلة الكبيرة .

الجيش الصناعى فى الزراعة

خلال العشرين سنة من انشاء التعاونيات الزراعية وتعميم الكومونات تحققت الزراعة الجماعية فى قرية ليوتشوانغ ، فتحول الفلاحون من المنتجين الفرديين الضعاف اقتصاديا الى جيش صناعى فى الزراعة يتمتع بنظام وعمل موحد ، كما تنبأه ماركس وانجلز فى « بيان الحزب الشيوعى » ، اذ ان اكثر من ٨٠٠ فرد من الرجال والنساء المنظمين فى ثلاث فرق انتاج وعدة جماعات متخصصة يقومون فى الظروف العادية بمهمات مختلفة من الزراعة والتحريج وتربية المواشى والاشغال الجانبية وصيد الاسماك ، ولكن عندما تظهر مهمة كبرى او عاجلة يركزون جهودهم تحت قيادة الفيلق الموحدة لانجازها بسرعة واتقان .

كانت عملية الحصاد والزرع فى صيف ١٩٧٣ اختبارا دقيقا للقوة

القتالية لهذا "الجيش الصناعى فى الزراعة" ، اذ ان ثمة ثلاث مهمات يجب تأديتها فى آن واحد . اولا ، لابد من انجاز اكبر حصاد من القمح فى تاريخ ليوتشوانغ وقد زاد انتاجه على ٨٠٠ جين ، والعمل يشمل الدرس والتشميس والنقل . ثانيا ، لا بد من تنظيف ٨٠٠ مو من الارض حالما يتم حصاد القمح ، ثم حرثها وتسويتها وتسميدها وبذر الذرة الشامية فيها فى الوقت المحدد ، علما بأن انجاز هاتين العمليتين بحاجة الى بذل مجهود كبير ، والوقت بينهما ضيق . ثالثا ، تستوجب الـ ١٠٠٠ مو من حقول القطن عناية مستمرة .

كان انجاز كل هذه الامور يعد معركة بكل ما تحمل الكلمة من معنى . وقد تحرك فيلق ليوتشوانغ لخوض هذه المعركة بكل قواه الانتاجية التى تضم ٨٠٠ شخص و ٣ جرارات و ٢٠٠ رأس من حيوانات الجر ، فرتبت الاعمال الزراعية المختلفة على خير وجه تحت قيادة الفيلق الموحدة . لنأخذ مثلا ، كلما تم تنظيف قطعة من الارض للقمح وضع عليها السماد فورا ونشر ، ثم حرثت بالجرارات او بحيوانات الجر ، وزرعت بالذرة الشامية . . . وهكذا كانت كل خطوة تتبع الاخرى كانسياب الماء بلا انقطاع . وبالرغم من قلة الآلات الا ان الفيلق اتم بنجاح خلال احد عشر يوما المهمات الشاقة للحصاد والزرع الصيفى .

"البيت الكبير" والبيوت الصغيرة

لاعضاء الكومونة فى قرية ليوتشوانغ حق كامل فى ابداء آرائهم فيما

يتعلق بادارة الانتاج وتوزيع العائدات فى داخل "البيت الكبير" ، وكل الامور الهامة لا يمكن اتخاذ القرار بشأنها الا بعد التشاور فى اجتماعات تضم جميع اعضاء الفيلق او مع ممثلين عنها ، كما لا تجاز خطة الانتاج السنوية للفيلق الا بعد المناقشة الكاملة من قبل الاعضاء .

فى سنة ١٩٦١ طلبت كومونة تشيلبينغ من فيلق ليوتشوانغ ان يزرع ١٠٠٠ مو من القطن كنصيبه من حصة الكومونة تبعا لخطة الدولة ، وعندما عرض هذا فى اجتماع الاعضاء عارضه البعض ، وكانت حجتهم هى انه طالما كان مردود الحبوب منخفضا نسبيا ومازالت قرية ليوتشوانغ تعتمد على الدولة لتغطية النقص ، فمن الواجب تقليل مساحة القطن وزرع مزيد من الحبوب .

دارت مناقشة حامية فى الاجتماع حول هذا الموضوع ، وذكر ما شين جينغ الذى عمل اجيرا لملاك الاراضى خلال عشرين سنة قبل التحرير ماضيه المرير ، مما الهم مستمعيه الى ادراك القضية بوضوح :

– اعود بالذاكرة الى عام ١٩٤١ . عندما تعرضت منطقتنا للكارثة الطبيعية كانت تنقص مزارعى القطن الحبوب لسد رمقهم ، فاضطروا الى استبدال كل جين من قطنهم بجين واحد من الحبوب . ولما حل عام ١٩٤٣ توسع الناس فى زراعة الحبوب مخفضين مساحة القطن ، الا ان نقصا اصاب محصولهم القطنى ، فاضطروا الى بيع حبوبهم للحصول على القطن ، وباعوا كل ١٠ جين من الحبوب مقابل جين واحد من القطن . والواقع اننا نحن الفلاحين لم نستطع الخلاص من استغلال

الاغنياء ، ودائما ما كنا نخسر الجولة ... اظن ان هذا هو ما يسميه كوادرنا بالرأسمالية ، اما انا فأسميه الطريق المسدودة للفلاحين .

ان العرض الحى الذى قدمه ما شين جينغ حول معاناة مزارعى القطن فى المجتمع القديم اثار مناقشة حماسية ، فتحدث الاعضاء واحدا اثر الآخر عن مميزات الانتاج الاشتراكى المتفق مع خطة الدولة . وقد ذكر بعضهم ان الدولة رفعت منذ التحرير اسعار مشترياتها من القطن والحبوب عدة مرات ، ولم يحدث ان قامت بتخفيضها ابدا . وتحدث الآخرون عن ان الدولة تمد المناطق المنتجة للقطن بالحبوب بثمن محدد ثابت ، ولم يحصل ان رفعته حتى فى السنوات الشحيحة .

واخيرا استنتجوا فى نقاشهم ان الانتاج الاشتراكى المخطط يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين معا ، وعليه قرروا ان يزرعوا القطن فى ١٠٠٠ مو وفقا لخطة الدولة ، وان يبذلوا كل ما فى وسعهم لرفع معدل الانتاج من الحبوب فى مو الواحد . وعقب ذلك ازداد مردود الحبوب فى مو الواحد سنة بعد سنة . وقد اتخذ الفيلق طريقة زراعة الحبوب بين شتلات القطن ، واخذ ينتج منذ عام ١٩٦٥ ما يكفيه من الحبوب حتى يحرز فائضا منها دون ان يوسع اراضيه المزروعة بالحبوب .

ان اعضاء فيلق ليوتشوانغ راضون بالاسلوب الذى يدار به "البيت الكبير" ، اذ انهم يبدون آراءهم فيما يتعلق بالشؤون الهامة حول الانتاج والمعيشة بينما ينتهج الكوادر الاسلوب الديمقراطى فى العمل ، ويستمعون الى آراء الجميع ، ثم يتبنون قرارات تنطبق ومصلحة الاعضاء .

يهتم الكوادر غاية الاهتمام بالتنظيم المعقول لاعمال اعضاء الفيلق وحياتهم لكى يلعبوا دورا ايجابيا فى العمل الجماعى ، ويرتبوا حياة بيوتهم الصغيرة على وجه حسن . وخلال المواسم التى يكثر فيها العمل ، يدعو الفيلق كل الاعضاء من الرجال والنساء الى ان يبذلوا المزيد من العمل على ان يخصص لهم فى كل شهر اياما قليلة للراحة والقيام بواجباتهم المنزلية ، اما فى الاوقات العادية فتنقص ساعات العمل ، وتزيد ايام الراحة . وفى الشتاء عندما يكون العمل قليلا لا يوكل للنساء اى عمل كى تتاح لهن اوقات كافية للحياكة ، اذ انه يمكنهن ان ينجزن غالبا حياكة ملابس العام القادم لكل افراد العائلة حتى لا تشغل بالهن هذه المسألة فى مواسم الزراعة النشيطة .

ان عائلة عضو الكومونة ليو مينغ كاى المتكونة من اربعة افراد تعيش عيشة رغيدة كالعائلات الاخريات ، اذ تقوم بتنظيم وقتها حتى يتلاءم مع البرنامج الجماعى ويسايره . وتسكن هذه العائلة فى فناء يقع على جانب شارع القرية . ان ليو مينغ كاى فلاح محنك يتجاوز الاربعين من عمره ، والى جانب اشتراكه فى اعمال الحقول ، يكلف بتعليم اكثر من ٣٠ شابا المهارات الزراعية . وخلال شهر اغسطس – موسم النشاط الزراعى – ينهض من نومه فى الساعة الخامسة صباحا وينزل مع الاعضاء الآخرين مباشرة الى الحقول ، ثم يرجع الى بيته ليتناول الفطور فى الساعة الثامنة ، ويعود لعمله فى التاسعة تقريبا . وبعد الغداء يستريح ساعتين واكثر ليتفادى الحرارة اللاذعة فى الظهر ، ثم يستأنف

العمل فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ويستمر حتى السابعة مساء . وفى فصل الشتاء يبدأ عمله فى التاسعة صباحا ، وينتهى فى الخامسة مساء مع استراحة ساعة واحدة عند الظهيرة . انه رجل يحب العمل كثيرا ودائما ما يستغل اوقات الصبح والمساء لاصلاح منزله او ترميم حظيرة الخنازير او القيام ببعض اعمال النجارة .

ان ابنته وابنه الذى تخرج حديثا من المدرسة الاعدادية وهو فى العشرين من عمره ، يعملان معه فى الفيلق . وزوجته التى تشكو من داء مزمن تجلس فى البيت وتؤدى العمل المنزلى ، وتقوم بتربية خنزيرين صغيرين اشترتهما من مركز تربية الخنازير للفيلق ، كما تربى بضع عشرة دجاجة . وعندما تكبر الخنازير ويبيض الدجاج تبيعها لتعاونية التموين والتسويق وتعود بعائداتها الى البيت . وفى وقت فراغها تقوم بصبغ الخيوط المغزولة ، وتنسج بنول خشبى محلى قماشا جميل الالوان من الطراز التقليدى الشعبى يستخدم فى صنع الالحفة واللفائف . كما تشترى بعض الاقمشة القطنية الرفيعة والاقمشة الكاكية والقطائف القطنية لتصنع منها السترات والقمصان والسراويل لكل افراد العائلة . وعليه فما من فرد فى عائلة ليو مينغ كاى يرتدى ملابس مرقعة حتى ولو فى وقت العمل . ان هذا يعطى صورة واضحة يمكن مقارنتها بايام شباب الوالدين قبل التحرير حيث كانا يكتسيان ملابس ممزقة بالية .

ومن الممكن ان تتسلم عائلة ليو مينغ كاى مقابل عملها فى الفيلق حوالى ١٠٠٠ يوان كل عام بالاضافة الى نصيبها من العائدات

فى شكل حبوب وخضراوات وغيرها من الضروريات ، فليس لديها فائض من الحبوب وما يكفيها من الملابس فحسب ، بل لديها كذلك حساب التوفير بالبنك .

وفى حديثه عن حياته والغرض منها قال ليو مينغ كاى : " اننى فلاح ، وواجبى هو الفلاحة ، وعن طريقها اود ان اقدم مساهمتى للدولة ! "

لم يكن ليو مينغ كاى فلاحا نموذجيا فى العمل الانتاجى ، بل هو عضو من الاعضاء العاديين فى ليوتشوانغ ، ولكن كلامه هذا يجعلنا نفكر كثيرا . لقد تحسنت معيشة الفلاحين الصينيين الى درجة عظيمة بعد التحرير ، وجدير بالذكر ان مستوى معيشة فلاحى قرية ليوتشوانغ قد ارتفع ارتفاعا كبيرا بالمقارنة مع حياتهم المفجعة الطويلة فى المجتمع القديم . لكن السبب الاساسى فى مواصلتهم للعمل بحماس عظيم لرفع الانتاج هو امدادهم للدولة بمزيد من الحبوب والقطن . ويمكن تلخيص تفكيرهم فى تعبير دارج يسمع الآن فى ريف الصين " لنزرع من اجل الثورة . "

الروح الجديدة لاعضاء الكومونة

هذه الروح الجديدة ، روح الزراعة من اجل الثورة ، لم تكتمل فى اذهان فلاحى قرية ليوتشوانغ فجأة . فقد تغيرت عقلية المالك الصغير السائدة عندهم لآلاف السنين بصورة تدريجية عن طريق

نساء الميليشيا فى قرية ليوتشوانغ يقطفن القطن الذى يشكل المحصول الرئيسى فى تشيليينغ حيث بلغ الآن معدل انتاج مو الواحد ضعف ما كان عليه قبل التحرير بست مرات

بيوت مبنية من الطوب
ومسقوفة بالقرميد حلت
محل الاكواخ القشية
البالية فى ليوتشوانغ

الخبير الفلاح لى آن رن (الى
اليسار) وعضو كومونة آخر يقومان
برصد الحشرات الضارة فى حقل
قطن . لقد عممت الشبكة العلمية
والتقنية فى الكومونة (التى تضم
الشبكة الفعالة لاكتشاف الحشرات
الضارة) الزراعة بالطرق العلمية
واحرزت نتائج رائعة

اهالى ليوتشوانغ يستعملون
الآن المياه الجارية
بدلا من اخذها من الآبار

اتباعا للخط الجماهيرى يتشاور شى لاى خه امين فرع الحزب فى ليوتشوانغ (فى الوسط) مع فلاحين مسنين ، وهما من مستشاريه المفضلين ، حول كيفية زيادة محصول القطن

العمل الجماعى والتوعية السياسية لمدة عشرين سنة او اكثر . فى عام ١٩٦٤ على وجه الخصوص بدأ فلاحو قرية ليوتشوانغ يتعلمون من داتشاى فى الزراعة . فقد ارتفع وعيهم الاشتراكى على جناح السرعة ، واحتل حبهم للجماعة وللدولة وللاشتراكية المركز الرئيسى فى تفكيرهم .

ان دو شيوه منغ الذى ناهز الخمسين من عمره مسؤول عن تربية البط فى القيلق ، وهو ضعيف البنية لنقص التغذية فى صغره ، الا انه رجل مستقيم للغاية لا يتردد فى وضع النقاط على الحروف اذا ما قابله شئ خاطئ ، وبعض الناس يتهكمون عليه بأنه " فضولى " . ولكن يسانده كوادر القيلق منبهين الى ان على كل اعضاء الكومونة ان يهتموا بالجماعة . وان عناية دو شيوه منغ بالجماعة ليست قاصرة على الالفاظ ، بل انه يمارس دائما اعمالا مفيدة كثيرة من اجل الجماعة لا تظهر للعيان . هنا مثال واحد : خلال موسم حصاد القطن فى كل عام دائما ما يطير بعض الياف القطن بفعل الهواء الى الاركان والقنوات اثناء قطفه ونقله . ويلتقط دو شيوه منغ هذا القطن المفقود قطعة قطعة فى وقت فراغه ، وذات عام جمع عشرين جين وسلمها الى القيلق .

ان التقشف هو تقليد من تقاليد الفلاحين الصينيين الجيدة ، وهم لا يفرطون حتى فى سنبلة واحدة من القمح او كسرة صغيرة من الحطب . وبالرغم من ان ليوتشوانغ اليوم اصبحت متيسرة الحال ، الا ان عادة التقشف لا تزال تحتل المركز الاول عند الفلاحين ، فهم يهتمون اهتماما عظيما بالممتلكات الجماعية . فى مخزن الادوات لاحدى

فرق الانتاج بقرية ليوتشوانغ وجدنا ان الرفيق المسؤول لم يحفظ الادوات الزراعية ورشاشات المبيدات بحالة جيدة فحسب ، بل جمع ايضا بعض قطع الاسلاك وخيوط الكتان والمسامير اللولبية الصادئة ، ومؤخرات المواسير القصيرة ، ونظمها وصنفها بصورة جيدة حتى يمكن استعمالها بسهولة ، وهكذا وفر كل مليم للفيلق .

يشرف ما شين تشنغ بعناية فائقة على ثلاث عشرة دابة ، وتحت رعايته يزداد عدد الدواب كل عام . انه شيخ يشارف على السبعين من عمره ، وله عائلة كبيرة من الابناء والاحفاد . وبدلا من ان يستمع الى نصائحهم للبقاء فى المنزل منعما بلذة الحياة فى سنواته الاخيرة ، يصر على ان يسكن فى فناء الدواب حيث يمكنه ان يقدم بعض العمل المفيد للجماعة .

وعندما تنجب فرس يرعاها بعناية بالغة دون ان ينام . ولأن المهر الوليد غالبا ما لا يستطيع الوقوف ليرضع من امه يساعده ما شين تشنغ على الوقوف لتتعرف عليه امه ، ثم يساعده على الرضاعة . ذات مرة اخاف تصرفه هذا فرسا اخرى قريبة منه ، فوجهت ركلة الى ركبته فجأة ، ولم يشعر اول الامر بالالم لانه كان منغمسا فى ارضاع المهر . ولكن بعد ذلك وجد على ركبته كدمة كبيرة ، وصار يعرج فى المشى من الوجع . فحملق فى هذه الفرس حملقة ودمدم قائلا : " أ انت بهذه الشراسة ؟ الحقيقة انك سعيدة الحظ لان الركلة صادفتنى ، ولم تصادف المهر الوليد ، والا فلم اتركك بهذه السهولة . حسنا ، انت حبلى ،

ولهذا اغفر لك ذنبك هذه المرة ! "

وفى مرة اخرى ولد عجل ، وكانت قدماه الاماميتان منحنيتين الى الخلف ، ولم يستطع المشى . فقال البعض انه مشلول بطبيعته ويجب ذبحه ، الا ان ما شين تشنغ لم يستمع الى هذا الرأى ، وكان مصمما على انقاذه . فقام باطعام العجل باللبن ، وباشر تدليك رجليه الاماميتين كل يوم قائلا بأن ذلك يرخى عضلاته ويسرع دورته الدموية . وفى نهاية الامر نفع " علاجه " . وعادت رجلا العجل الاماميتان المنقبضتان بالتدريج الى حالتهما الطبيعية . وهكذا قام عدد كبير من مربى المواشى فى ليوتشوانغ من اجل المصالح الجماعية بأعمالهم الدقيقة لرعاية الدواب كما فعل ما شين تشنغ .

تهتم عضوة الكومونة ليو قوى ينغ بشتلات القطن مثلما اعتنى ما شين تشنغ بالمواشى . فى ليلة ٤ اغسطس ١٩٧٢ انهمر المطر ولم تستطع النوم ، اذ كانت تفكر فى ان الامطار هطلت قبل ايام ، وان حقول القطن مازالت رطبة ، فكيف يمكنها ان تستوعب هذه المياه الكثيرة ! ان شتلات القطن فى اقصى الناحية الشمالية من القرية تنمو بحالة جيدة ، ولكن ارضها منخفضة ، فهل قنوات تصريف المياه مفتوحة هناك ؟ وهل ستغرق حقول القطن !؟ . . . دارت الاسئلة فى ذهنها ، فلم تستطع البقاء فى الغرفة ، فحملت المجرفة نازلة الى حقول القطن لتصريف المياه .

رغم انها فارعة القامة ضعيفة البنية ، لكنها عملت بمجرفتها فى

قوة وحيوية فى ذلك الليل العاصف الماطر . وفى نفس الوقت جاء الاعضاء الآخرون اليها دونما اتفاق، وشاركوها فى تصريف المياه من الحقول.

وعند الفجر عصرت ليو قوى ينغ اطراف ملابسها المبتلة ، ومسحت قطرات المطر من شعرها ، واستعدت للعودة الى بيتها . الا انها شاهدت قطعة من الارض مغمورة بالماء على الجانب الآخر من القناة ، وهى حقل الذرة الشامية لفيلق باليوشو الانتاجى الذى يستخدمه لتربية البذور الجيدة السلالة ، واذا لم تصرف المياه منه فى حينه ، فلا يمكن استعمال هذه البذور كسلالة جيدة ، اذ كان اعضاء ذلك الفيلق يسكنون بعيدا ، وليس من السهل وصولهم اليه بسرعة ، ولهذا دعت ليو قوى ينغ اعضاء فرقتها ، وساروا الى الجانب الآخر للقناة ، وصرفوا المياه من ذلك الحقل ايضا .

اثنت قيادة الكومونة بواسطة اذاعتها على ليو قوى ينغ التى قدمت يد المساعدة الى الفيلق الآخر لتصريف المياه من ارضه تحت المطر الغزير ، غير ان ليو قوى ينغ قالت : " المزيد من انتاج القطن والحبوب يعنى تقديم مساهمة اكثر الى الدولة . او لا تهمنا مزروعات باليوشو لانها لا تنمو على اراضينا ؟ لقد اديت واجبى ، فما من سبب يدعو الى الثناء على ! "

الجيل الجديد

ينمو فى قرية ليوتشوانغ جيل من الفلاحين الشباب المثقفين ذوى

الوعى الاشتراكى ، وهم نشيطون متحمسون لاتخاذ الطرق العلمية فى الزراعة . ولى آن رن المعروف بلقب " عدو الحشرات الضارة " هو واحد منهم .

انه قصير القامة مفتول العضلات ، وله حاجبان جميلان ، وعينان لامعتان ، وهو معروف فى ليوتشوانغ بمقدرته على اكتشاف حتى اصغر الحشرات .

تخرج لى آن رن فى مدرسة ليوتشوانغ الابتدائية عام ١٩٥٥ ، وبقى فى القرية منذ ذلك الوقت ، وقد كان واحدا من اوائل الفلاحين المثقفين فى ليوتشوانغ . وفى عام ١٩٥٦ ، عندما تأسست التعاونية الزراعية المتقدمة حيث جمعت دواب الجر لتصبح ممتلكات مشتركة بين اعضائها ولم يكن فيها حينذاك مربى المواشى ، طلب لى آن رن فى خفاء من احد كوادر التعاونية ان يسمح له بأن يجرب تلك المهنة .

كان اعضاء التعاونية مندهشين لذلك وعلق بعضهم قائلا : " انه لايعدو ان يكون غلاما ، وماذا يحدث اذا نام طوال الليل ؟ " حقا ان الحفاظ على الجياد فى احسن حال يتطلب ان يقدم لها العلف ليلا ، فيجب على المربى الجيد ان يستيقظ عدة مرات فى الليل لاداء هذا العمل . وكان لى آن رن لم يبلغ العشرين من عمره بعد ، فمن عادته بطبيعة الحال ان يغط فى نوم عميق دائما .

بيد ان لى آن رن وجد طريقة تجعله مستيقظا طوال الليل .

فقد حاول ان ينال كل ما يحتاجه من النوم اثناء النهار ، وفى الاصيل استدعى بعض اصدقائه الى مكان عمله يتجاذب معهم اطراف الحديث ، وهكذا كان الوقت يمر بسهولة . ثم قرأ لبعض الوقت ، واذا ما شعر بالنعاس صب الماء البارد على رأسه او اخذ يفرقع بسوطه فى الفناء حتى يوقظ نفسه . وعبر هذه الطريقة لم يفقد ابدا حصة واحدة من الحصص الزمنية لتقديم العلف والماء للدواب ليلا . . .

رغم ان لى آن رن شاب ، لكنه قوى العزيمة ، لذا كسب تقدير المربين المسنين حتى انهم لقنوه كل ما لديهم من خبرة وهم مسرورون . وبعد عام واحد اصبحت الدواب الاثنتا عشرة تحت عنايته قوية ممتلئة . وعندها لم يعد اعضاء التعاونية الزراعية قلقين بسبب عدم نضجه ، بل وصفوه بشاب مقتدر .

تأسست الكومونة الشعبية ، وارسلت المحافظة احد التقنيين الزراعيين الى ليوتشوانغ كمرشد لمكافحة الحشرات الضارة . ونظرا لان قادة الفيلق اعجبوا بمقدرة لى آن رن على التعلم ، فقد قدموه الى التقنى الزراعى حتى يتدرب على يديه من اجل استخدام الطرق العلمية فى الزراعة بقرية ليوتشوانغ . وهكذا تحول لى آن رن من تربية الدواب الى مكافحة الحشرات الضارة .

استعار من هذا التقنى الزراعى بعض الكتب الخاصة بوقاية النباتات ، وقرأها ودرسها فى الليل ، فتعرف على انواع الحشرات بواسطة الرسوم التوضيحية . ولكن عندما شاهد فى النهار نوعا من الحشرات الصغيرة

الحجم ، وهى تزحف على ورق القطن ، كان لا يعرف كنهها ، ذلك لان رسومها التوضيحية فى الكتب مكبرة الى درجة بعيدة . فقرر الا يعتمد على الكتب وحدها فى التعلم .

لما كان مصمما على شحذ بصره لمعرفة " العدو" لم يدخر اى وسيلة فى سبيل اداء مهمته .

هناك نوع من دود القطن الخبيثة ، تهرب على جناح السرعة لدى اقل حركة من اوراق شجيرة القطن قبل مجيء الناس . لقد وجد لى آن رن ضررها للقطن ، الا انه لم يشاهد مرتكب الجريمة ، فنوى القبض عليها . وانتظارا لوصولها استلقى فى حقل القطن ساكن الحركة لعدة ليال متتالية ، ولكنه لم يجد فتيلا . ثم قام باستطلاع نشاطاتها فى الصباح الباكر مرات كثيرة ، ولكن بلا جدوى . فسأل نفسه : ما العمل ؟ ذات يو م حمل طشتا ممتلئا بالماء قبيل الفجر ، ودخل به الى حقل القطن فى خفة وهدوء ، وامسك بساق شجيرة القطن يهزها بقوة مفاجئة فاذا بالديدان تسقط فى الماء .

بعد سبع سنوات من الدراسة الشاقة الم لى آن رن الماما تاما بعادات اكثر من خمسين نوعا من الحشرات الضارة ، وابتكر اساليب عديدة فعالة لمقاومتها . فأعجب الناس بمواهبه ، وقالوا فى مدح : " ان ما يقوم به هو علم حقيقى ! "

اصبح لى آن رن فيما بعد رئيس فرقة التقنية الزراعية فى الفيلق التى تتكون من اربعين شابا واكثر ، وهم يزرعون بارشاده ٢٠٠ مو من

الحقول التجريبية وحقول تربية البذور .

لقد درب فيلق ليوتشوانغ اكثر من خمسين تقنيا زراعيا من شاكلة لى آن رن ، قد تجاوزوا الثلاثين عاما ، وهم متخصصون فى مختلف فروع الاعمال يتمتعون بالخبرة والمعرفة العلمية فى نفس الوقت . ويدعى حوالى عشرة منهم كل عام الى الكومونات الاخرى فى مقاطعة خنان وغيرها من مناطق انتاج القطن لارشاد زراعة القطن ، وعادة ما يبقون هنالك عاما كاملا ليقدموا خلاله خبرة ليوتشوانغ فى انتاج القطن والحبوب .

سألنا ذات مرة بعض الكوادر ما اذا كان ارسال عدد كبير كهذا من التقنيين الزراعيين يؤثر على انتاجهم ام لا ؟ فأجابوا : لا ، لان التأييد متبادل ، وايضا تعلم فيلق ليوتشوانغ اشياء مفيدة وكثيرة من خبرات الذين قدم لهم يد العون .

٤

شى لاى خه ــ كادر من القاعدة

كان شى لاى خه ، امين فرع الحزب فى فيلق ليوتشوانغ ، منهمكا فى حصاد القمح . وكان محصول سنة ١٩٧٣ يبدو جيدا ، ومن المحتمل ان يتجاوز متوسط الانتاج فى مو الواحد ٧٠٠ جين ، الا ان الامين اخذ يفكر فى كيفية رفع هذا الرقم فى سنة ١٩٧٤ .

سأله احد الفلاحين : " يا لاى خه ، هل تظن ان المطر سيهطل ؟ "

رفع شى لاى خه رأسه ، ورأى سحابة سوداء ترتفع على الافق البعيد . فتشاور مع كادر يعمل بقربه فيما اذا كان من الضرورى استدعاء كل فرد فى الحقول ليجمع بعجلة القمح المعرض للشمس فى ساحة الدراس . وقررا الانتظار لفترة اخرى .

وفجأة هبت الريح الهوجاء ، وتجمعت فى السماء الغيوم السوداء . فأمر شى لاى خه الناس بالعودة فورا . ولكن عندما وصلوا الى الساحة كانت ملابسهم مبلولة . واصبح من غير الممكن جمع كل القمح ، وقد افسد الطين طبقة من القمح ملاصقة للارض .

فى ذلك المساء نقد شى لاى خه نفسه امام الف من اعضاء الكومونة فى الفيلق ، وهو يقول : " اخطأت فى تقدير حالة الطقس اليوم ،

وتسببت بذلك فى الحاق الخسارة بالفيلق . فأنا وحدى الملوم ، واتحمل مسؤولية ما حدث . "

وفى طريقه الى المنزل صاحبه احد الاعضاء المسنين ، وخاطبه مواسيا : " ان الانتصارات والهزائم امور عادية بالنسبة لقائد عسكرى ، وحتى تشوقه ليانغ (١) لم يكسب النصر فى كل معركة . "

ان قرية ليوتشوانغ تعرف شى لاى خه جيدا . فمنذ عام ١٩٥٢ عندما اصبح امينا لفرع الحزب اتبع بدقة تعاليم الرئيس ماو ، وقاد سكانها من مرحلة التعاونية الزراعية الى مرحلة الكومونة الشعبية . فى الماضى كانت هذه القرية تعانى من التخلف والفقر الشديدين . اما الآن فقد صارت من القرى الاشتراكية الجديدة المعروفة على نطاق مقاطعة خنان كلها . وبالمقارنة مع منجزاتها فان الخسارة الضئيلة التى نتجت عن سوء تقديره تكاد لا تذكر . (٢)

الا ان شى لاى خه رجل جاد وصارم مع نفسه . فاذا حقق النجاح عزى الفضل الى الجماعة ، واذا وقعت الاخطاء فى العمل بادر الى تحمل المسؤولية . وهذا هو السبب فى ان اعضاء الكومونة يثقون به ، وان الكوادر يحبون العمل تحت قيادته .

---

(١) تشوقه ليانغ كان استراتيجيا شهيرا فى قديم الزمان فى الصين .

(٢) افادت الاحصاءات النهائية ان فيلق ليو تشوانغ حقق فى عام ١٩٧٣ انتاجا مرتفعا فى الحبوب والقطن ، فبلغ معدل انتاج الحبوب ١٧١٠ جين فى مو الواحد ، وانتاج القطن اكثر من ١٨٠ جين .

اول رجل ميليشيا فى القرية

ان شى لاى خه عزيز بصورة خاصة على بعض المسنين الذين عرفوه منذ كان ولدا نحيفا حتى كبر . والآن وعمره اكثر من اربعين عاما ، لا يكون امين فرع الحزب فى الفيلق فحسب ، بل هو ايضا نائب لامين لجنة الحزب فى الكومونة ، وعضو اللجنة الدائمة للجنة الحزب فى محافظة شينشيانغ ، وعضو لجنة الحزب فى مقاطعة خنان . الا انه ما زال يحمل مظهر الفلاح العادى ، ففى الشتاء يلف بشكيرا ابيض على رأسه ، وفى الصيف يلبس قبعة كبيرة من القش ، وينتعل حذاء من القماش من صنع زوجته ، ويدخن التبغ الذى زرعه نفسه . ودائما ما يبقى مع اعضاء الكومونة ما عدا الاوقات التى يحضر فيها الاجتماعات ، ويعمل فى الحقول ما لا يقل عن ٢٠٠ يوم من ايام السنة . ويقول عنه المسنون فى تقدير واحترام : " رغم انه كادر كبير الآن غير انه ما زال فلاحا مثلنا . "

كان والد شى لاى خه اجيرا فى المجتمع القديم . وعندما بلغ ابنه الحادية عشرة من عمره جاء احد عملاء مالك الارض يطالب عائلته بتسديد الدين . ولما لم يستطع الوالد سداد العملات الفضية الست صرخ فى وجه العميل : " لقد هلك الثلاثة منا بالجوع ، فمن اين آتى بالنقد ؟ فتش المنزل ! وخذ اى شئ تطمع فيه ! "

تملك العميل الغضب ، فأوسعه ضربا مؤلما . اما الطفل فقد اختفى خلف امه غير محتمل رؤية ذلك المنظر . ولما تكاثرت الضربات

المبرحة على والده هجم على العميل ، وامسك بذراعه وغرس فيها اسنانه . . .

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة ربتت امه على رأسه فى حنان ، وخاطبته قائلة : " انت ابنى الوحيد الباقى . فاكبر لتثأر لنا ! "

فى عام ١٩٤٨ ارسل الحزب الشيوعى الصينى فرقة عمل مسلحة الى ليوتشوانغ حيث عبأت الفلاحين ليمدوا يد المساعدة لتحرير شينشيانغ . عندها اصبح شى لاى خه ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، اول من انضم الى الميليشيا السرية التى نظمتها الفرقة . وفهم بالتدريج خلال خبرته الذاتية اهمية قوات الشعب المسلحة فى الاستيلاء على السلطة السياسية وصيانتها .

كانت فرقة العمل المسلحة فى تحرك دائم . وكلما غادرت القرية حاول ملاك الاراضى والفلاحون الاغنياء ارهاب الشباب من امثال شى لاى خه وقالوا متهددين : " ان الشيوعيين لا يمكنهم البقاء مدة طويلة . وحالما ينسحبون سوف تتذوق بنادقنا الدماء مرة اخرى ! "

الا ان هذا التهديد جاء بنتائج معكوسة ، اذ اقسم شى لاى خه بعزيمة مضاعفة ، وقال : " سوف اتبع الحزب الشيوعى والجيش الثامن الى الابد ! لنر الى متى ستبقون هنا ايها الطغاة ! "

حين تحررت شينشيانغ برز شى لاى خه بصفته قائد الميليشيا فى ليوتشوانغ . وقاد رجاله ، وهو يحمل على كتفه بندقية وزعت عليه حديثا ، للتفتيش عن اسلحة وذخيرة ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء والاستيلاء عليها ، وقال لهم بصرامة : " ان هذه البنادق تذوقت

الدماء على ايديكم ، ولن تتحول الى بنادق نباتية على ايدينا . والآن ليس امامكم الا مخرج واحد – ان تتأدبوا وتخضعوا لرقابة الجماهير واصلاحها . "

بعد ذلك تم اعدام اسوأ المجرمين . اما ملاك الاراضى والفلاحون الاغنياء الذين واصلوا احداث القلاقل فقد تعرضوا لنضال الجماهير وشجبها فى الاجتماعات العامة اثناء الاصلاح الزراعى . وقد صودرت اراضيهم ، واجبروا على اصلاح انفسهم عن طريق العمل الجسمانى تحت المراقبة فى القرية .

زجاجة من العسل

ان شى لاى خه بصفته امين فرع الحزب سار بدقة على سياسة الحزب تجاه ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء ، التى مفادها : معاقبتهم اذا حاولوا التخريب والتقويض ، ولكن اعطاءهم فرصة ليكسبوا عيشهم .

كان فى ليوتشوانغ مالك ارض يدعى ليو مينغ تشيان . وبعد ان عمل سنوات عديدة تحت المراقبة تغير مركزه الطبقى الاصلى ، واوكل اليه عمل تربية النحل . ولكن هذا الوغد لجأ مرة اخرى الى تدبير المكايد ، فقد كشف هذا شى لاى خه .

كان ذلك فى عام ١٩٧٠ فور انتقال شى لاى خه الى قريته بعد ان عمل عامين فى حاضرة المحافظة . فى صباح احد الايام ، وبينما كان يجلس القرفصاء فى فناء المنزل وهو يقطع التبغ ، تسلل

اليه ليو مينغ تشيان وحاول ان يتجاذب معه اطراف الحديث . وفى نفس الوقت اخرج زجاجة من جيبه ، وسحب عنها غطاءها وهم بصب محتوياتها على التبغ . الا ان شى لاى خه منعه من ذلك فورا ، وسأله بوجه صلب كالحديد : " ما الذى ترمى له من وراء ذلك ؟ "

قال ليو مينغ تشيان بابتسامة تدعو الى الغثيان : " الا تعرف يا امين ؟ عندما يمتزج التبغ بالعسل يصبح باردا وخفيفا . "

قاطعه شى لاى خه : "كلا ، لا نعرف نحن الفلاحين مثل هذه الاشياء. لقد حان الوقت للنزول الى العمل ، وانا ذاهب . " فقام وخرج .

غير ان الردع لم يوقف ليو مينغ تشيان . فتبع الامين ، وعلى شفتيه بسمة مفتعلة ، وناداه من وراء ظهره : " تعال يا امين وافحص عملنا فى يوم من الايام ! "

" بالتأكيد سأفعل " قال شى لاى خه فى نفسه ، " اذا جرأت على المخادعة امامى فماذا تفعل وراء ظهرى يا ترى ؟"

ولاعطاء النحل جوا ملائما اقيم المنحل فى قرية تقع فى محافظة قريبة . ذات يوم من ايام السوق الدورية امتطى شى لاى خه الدراجة الى هناك مصطحبا معه ابنه الاصغر .

حيا ليو مينغ تشيان الامين شى لاى خه بحرارة مفتعلة وعبارات مزيفة . ففحص الامين العشرين خلية للنحل بامعان ، وبدا له ان كل شئ على ما يرام . ثم ذهب الى عند الفلاحين ، فأخبروه ان ليو مينغ تشيان كثيرا ما كان يختلط بشخصيات مشكوك فى امرها .

وهذا جعله يشحذ يقظته .

وفى حين مغادرته للقرية سمع ابنه يناديه من الخلف : " ابى ! ابى ! انظر ! "

ادار رأسه وشاهد ليو مينغ تشيان يضع زجاجة فى جيب ابنه . قال ليو مينغ تشيان وقد افتر ثغره عن ابتسامة مصطنعة :

– انها فقط زجاجة من زيت السمسم ، وهى شئ بسيط الى جدته لتضيف نكهة الى طعامها !

– لا تفعل هذا ! اسحبها فورا !

قال شى لاى خه بصرامة ، واخبر ابنه ان يعيد الزجاجة ، ثم مضى دون ان ينبس بكلمة واحدة .

ولكنه فكر : " لقد فعل فعلته هذه مرتين على التوالى ، ومن البديهى انه يحاول كسب عطفى لكى اؤدى خدمة له مقابل ذلك ! هذا امل كاذب ! ولكن اية لعبة قذرة يريد ان يلعبها ؟ "

عندما عاد الى قريته اخبر اعضاء لجنة فرع الحزب بكل ما حدث ، وطالبهم بمراقبة ليو مينغ تشيان .

ولم يمض على هذا وقت طويل حتى جاء ليو شو شويه احد اعضاء اللجنة يحمل خبرا يستدعى الملاحظة : انه ذهب الى بيت اخته لزيارة زوجها المريض ، وشاهد زجاجة من العسل على الطاولة ، واخبره زوج اخته بأنها هدية من ليو شو مين ، وهو كادر مسؤول عن الاعمال الجانبية فى الفيلق . فهل يمكن ان يكون ذلك الوغد قد قدم له العسل

كنوع من الرشوة ؟

ظن شى لاى خه ان هذا ممكن . ولكنه طلب اولا من ذلك العضو ان يحقق ما اذا كان ليو شو مين قد اشترى العسل . واوضح البحث ان العسل لم يكن يباع بالقطاعى . عندها سأل شى لاى خه ليو شو مين . واستجلى ان العسل كان هدية من ليو مينغ تشيان ، ومقداره ٤ جين .

فقال له بصبر يحاول اقناعه :

– اليوم زجاجة من العسل ، وغدا دعوة لمأدبة ! أتعتقد انه يعتبرك فعلا قريبه ؟ هل تذكر ذلك اليوم عندما كنت صغيرا ؟ لقد ذهبت امك التى كاد يقتلها الجوع الى مالك الارض هذا لكى تستعير منه بعض الحبوب ، ولكنه لم يقدم لها ولو حبة واحدة . ألم يعرف وقتها انكم كنتم اقرباء ؟ والآن بعد ان اصبحت كادرا ومسؤولا عن تربية النحل ظهر لكى يتملقك . انه يذر الرماد فى عينك حتى يمكنه ان يتستر بك ليرتكب امرا سيئا .

فحص الفيلق ليو مينغ تشيان ، ووجد ادلة على جرائمه . وقام شى لاى خه شخصيا باستجوابه :

– قدمت عسل الفيلق كالهدية لبعض الناس ، أدفعت ثمن ما اخذت ؟ كنت ترشو الكوادر وتهاجمهم بطلقاتك المغلفة بالسكر ، فماذا ترمى من وراء ذلك ؟ كنت تتواطأ مع الاوغاد من المحافظة المجاورة ، فما هى القصة بكاملها ؟ . . . لقد كشفت الجماهير الكثير من نشاطاتك المستترة ، عليك ان تعترف بكل كبيرة وصغيرة !

رفض ليو مينغ تشيان الاعتراف اول الامر ، ولكنه فى وجه النقد والكشف الجماهيرى من قبل الاعضاء الذين عرفوا اعماله السيئة اعترف بأنه سرق ٢٤٠ جين من العسل . ولكن اوضح المزيد من التحرى ان هذا الرقم بلغ فى حقيقة الامر ٥٠٠ جين . وبالاضافة الى ذلك باع خلية واحدة من نحل الفيلق ، واستولى على ثمنها .

وعندما ثبت بالبراهين ان ليو مينغ تشيان قام بالنشاطات الهدامة ضد الاقتصاد الجماعى وضع من جديد فى فصيلة ملاك الاراضى ، واجبر على اصلاح نفسه عن طريق العمل تحت مراقبة الجماهير .

وفى اجتماع اعضاء الفيلق لنقد هذا المالك ، صرح لهم شى لاى خه عملية كشف جرائم ليو مينغ تشيان ، وفسر واقع تعقد الصراع الطبقى وامده الطويل قائلا :

– ان الامور تسير بصورة جيدة فى ليوتشوانغ ، بل تتحسن مع مرور كل يوم . الا ان حفنة من الشريرين لا يستسلمون ابدا للهزيمة . انهم يحاولون بألف طريقة وطريقة تحطيم الاقتصاد الجماعى وتوجيه الضربات نحو الاشتراكية . وطبقا لتعليم الرئيس ماو القائل : " **لا تنسوا الصراع الطبقى ابدا** "، يجب علينا ان نكون متيقظين ، ونهزم كل هجوم مضاد من قبل العدو .

درس قاس

خلال العشرين سنة او ما يقرب من ذلك ، ذاق شى لاى خه

حلاوة النجاح وكذلك مرارة الفشل . ففى عام ١٩٥٦ واجهته نكسة لم تفارق ذاكرته ابدا .

وقتها تشكلت قرية ليوتشوانغ فى تعاونية زراعية متقدمة . وفى العام السابق لذلك شهدت قفزة فى معدل انتاج القطن من ٣٠ الى ٥٠ جين فى مو الواحد . الا انه جاء فى تقرير منطقة شينجيانغ الويغورية ذات الحكم الذاتى ان معدل الانتاج فى مو الواحد هناك قد بلغ مائة جين .

دعا شى لاى خه الى عقد اجتماع فرع الحزب ، وتحدث فيه حول كيفية التعلم من خبرة شينجيانغ بغية التوصل الى النتيجة التى توصلت اليها . بيد انه لم يكن لأى واحد من اعضاء الحزب فى ذلك الحين خبرات كثيرة فى قيادة الانتاج . ولهذا نقلوا الخبرة بصورة آلية ، وطبقوا كل ما فعلته شينجيانغ . ونتيجة لذلك خابت آمالهم ، فقد انخفض الانتاج الى ١٧٫٥ جين فى مو الواحد .

ولما انصب النقد واللوم من كل الجوانب على الكوادر لم يستطع كثيرون منهم رفع رؤوسهم من الخجل . وكان شى لاى خه اكثرهم خجلا ، فقد احس بأنه خيب الثقة التى وضعها فيه القرويون . وكان يتقلب على سريره من جنب الى جنب لعدة ليال سائلا نفسه عما يفعل . واخيرا توصل الى ما يلى : ان الكادر هو خادم للشعب ، ولهذا يجب ان يكون امينا مع الشعب . اذا اخطأ عليه ان يعترف بصورة علنية ، وان يتعظ بخطئه حتى لا يتكرر مرة اخرى .

فى اجتماع عام قام شى لاى خه بالنقد الذاتى وحلل اسباب الفشل نيابة عن فرع الحزب . وبعد هذا بدأت نبرة التعليقات العامة تتغير ، وقال بعضهم : " 'كل عثرة تزيد الانسان فطنة !' طالما ادرك الكوادر فى اى ناحية كان خطؤهم فلا شك انهم سيحسنون عملهم فى المرة القادمة . " وعلق آخرون : " ان خبرة شينجيانغ ليست سيئة ، والمشكلة هى عجزنا عن فهم جوهرها . "

دفعت الهزيمة شى لاى خه الى دراسة التقنية الزراعية دراسة جادة . وقال فى احد اجتماعات الكوادر : " اذا اردت اتقان عملك فلا بد ان تكون 'احمر وخبيرا' فى نفس الوقت . فلتتعلم التقنية الزراعية بجد . "

وبالرغم من ان شى لاى خه فلاح قلبا وقالبا ، غير انه لم يصبح مزارعا حاذقا وقت التحرير ، اذ انه لم يبلغ آنذاك الا الثامنة عشرة من عمره . اما فى السنوات الاولى بعد التحرير فقد كان مشغولا بالكفاح ضد ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء وبتنظيم التعاونيات الزراعية ، ولم يكن لديه متسع من الوقت لاكتساب المهارات الزراعية .

واليوم اصبحت دراسة التقنية الزراعية مهمة عاجلة . ولكن كيف تجرى الدراسة ؟

يحب شى لاى خه ان يفكر بعمق فى الامور . انه رأى من والده الفلاح الجوانب الايجابية والسلبية التى كان يحملها الفلاحون المتمرسون . كان والده يجيد الحراثة ونثر البذور ، ويستطيع بمجرد

لمحة عن لون المزروعات ان يحكم ما اذا كانت الارض معزوقة فى وقت مناسب او كانت معزوقة عزقا جيدا . ولكنه لم يثق بالعلوم والتكنولوجيا . وفى عام ١٩٥٢ ظهر اصطدام خفيف بينه وبين ابنه حول كيفية تقليم شجيرات القطن . كان الوالد يصر على اجراء التقليم بالاسلوب القديم بينما كان الابن يلح فى تطبيق الاسلوب الجديد ، ولم يستطع احدهما اقناع الآخر . واخيرا قسما الحقل الى قسمين ليعمل كل منهما فى قسمه بالصورة التى يراها اجدى وانفع . وكان ذلك نوعا من انواع التجارب ، وقد برهنت النتيجة على ان اسلوب الابن كان هو الاحسن .

قال شى لاى خه ، وهو يحث اعضاء الحزب : " عندما نتعلم الزراعة علينا الا نتعلم الخبرات الجيدة من الاجيال القديمة فحسب ، بل علينا ان نتعلم ايضا بعض العلوم والتقنية الجديدة . "

وهكذا قرروا القيام ببعض التجارب العلمية .

خبير فلاح فى زراعة القطن

فى ذلك الوقت ارسلت قيادة المحافظة تقنيا زراعيا الى ليوتشوانغ . ومع هذا التقنى وعدد من الفلاحين المتمرسين اقام شى لاى خه حقولا تجريبية على ٨ر٥ مو من الاراضى . ومنذ عام ١٩٥٧ قاموا بالتجارب العلمية حول الزراعة المكثفة وتحسين البذور ومكافحة الحشرات وغيرها من التقنية الزراعية . كما طلب شى لاى خه من الفلاحين القدامى

ان يعلموه احسن اساليب سلف الارض وبذر البذور والحراثة فى فترة نمو النبات .

كان شى لاى خه يعمل فى الحقول التجريبية نهارا ويحضر الدورة التقنية مساء . وبما انه فلاح لم يكن يصعب عليه الالمام بالعلوم الزراعية . والى جانب ذلك كان طالبا مجدا يبحث فى جذور كل امر من الامور ، ويطبق ما يحصل عليه من الكتب على تجاربه ، فقد تعلم بسرعة .

فى ذلك العام كان القطن المزروع فى نصف مو من الحقول التجريبية ينمو بصورة مزدهرة للغاية . وذات صباح قام شى لاى خه والفلاح المسن ما شين جينغ بعزق الارض على عمق ٦ بوصات لقطع الجذور الجانبية لشجيرات القطن ، وذلك من اجل ايقاف نموها الزائد عن الحاجة .

الا ان العجوز ما شين جينغ جاء عند الظهر يبحث عن شى لاى خه وصرخ : " وا اسفاه ، لقد قتلنا القطن ! "

ذهب شى لاى خه ليرى بنفسه . ولخيبة امله كانت اوراق الشجيرات اما ذابلة واما مصفرة . فساءت حالته النفسية ، بيد انه لم يفقد تماسكه ، بل قال فى نفسه : " انه لا يعدو ان يكون تجربة ، لنر ماذا سيحدث بعد ذلك . "

بدأت بعض الاوراق تنتعش فى اليوم الثانى . وفى اليوم الثالث عندما نزل المطر انتعش كل القطن ، واصبح فى حالة جيدة . وهكذا

تم ايقاف النمو الزائد عن الحاجة .

واصل شى لاى خه مراقبة تطور هذا القطن ، ولاحظ ان براعمه وافرة ، ولوزاته تسقط قليلا . واخيرا كان انتاج هذه القطعة من الحقول التجريبية اكثر بـ ٢٦ جين من قطعة الارض المجاورة لها .

جعلت هذه التجربة شى لاى خه يفهم ان العزق العميق من شأنه ان يوقف نمو الاوراق والفروع الزائد عن الحاجة ، ويزيد من نمو البراعم واللوز . وبعد سنوات عديدة من التجارب عم هذا الاسلوب كل حقول القطن فى الفيلق .

وفى سنة ١٩٦٥ حاول شى لاى خه القيام بتجربة اخرى ، وهى زراعة القمح بين شجيرات القطن . لماذا اختار هذا بالتحديد ؟ الاجابة هى ان العلاقة بين النوعين من المزروعات قد حيرته منذ زمن بعيد .

كان التموين بالحبوب الغذائية مشكلة مزمنة فى ليوتشوانغ المنطقة المعروفة بزراعة القطن منذ وقت طويل . واذا ما اريد مقابلة ما تتطلبه خطة الدولة فان الارض المزروعة بالقطن لا يمكن تقليلها . ولكن طالما كانت ارض الفيلق المزروعة بالحبوب صغيرة جدا فقد اضطر الى الاعتماد على الدولة فى الحصول على الحبوب . يشترى الفلاحون الحبوب من الدولة ، هذا امر شاذ يؤلم شى لاى خه كثيرا . لقد ظل يفكر لسنوات عديدة فى الوسائل التى تجعل ليوتشوانغ يقدم مساهمات اكثر للدولة لا عن طريق زيادة انتاج القطن فحسب بل عن طريق انتاج مزيد من الحبوب ايضا . وقد اجاز فرع الحزب اقتراحه الذى ولد عن

هذه الافكار بزراعة القمح فى حقول القطن .

نما القمح المزروع فى قطعة من الحقول التجريبية نموا جيدا . وكان كل من يمر بها اثناء سيره الى عمله او رجوعه منه يثنى عليه ثناء حارا . ولكن عندما تم حصاد القمح ظهرت شتلات القطن المزروعة فى نفس القطعة صغيرة ونحيلة الى درجة واضحة .

قال بعض الناس : " ان خصوبة الارض محدودة ، لقد نجحتم فى القمح ولكن خسرتم فى القطن . ان هذا طريق مسدود ! "

الا ان شى لاى خه لم يكن من الناس الذين يحكمون على الاشياء حكما سطحيا وبصورة خالية من التبصر والتروى . ورغم التعليقات الشديدة اللهجة اراد ان يعرف اين تكمن العلة قبل اصدار قرار . فقد تكون المسافة بين القمح والقطن اصغر مما يجب ، فحرم القمح المرتفع القطن من نيل قسطه الكافى من ضوء الشمس والهواء . وهل هذا هو السبب فى ضعف شتلات القطن ؟ فتصور ان المسافة يجب ان تزداد فى العام القادم . وفى نفس الوقت رأى انه يجب القيام بكل ما يمكن لانقاذ الشتلات الحالية .

ان الانسان ، فى الزراعة كما فى الشؤون الاخرى ، هو الذى يلعب الدور الحاسم . وبعد ان اجريت عمليات الحراثة فى فترة النمو والتسميد والرى نمت الشتلات الضعيفة وشبت قوية متينة . وفى النهاية انتجت هذه القطعة المزروعة بالقطن والقمح ١٥٠ جين من القطن فى مو الواحد ، شأنها شأن الحقول المزروعة بالقطن وحده .

ادخلت التحسينات على اسلوب الزراعة المتداخلة هذا عاما بعد عام ، حتى برز الى الوجود نظام جديد من الزراعة واستنبطت مجموعة كاملة من الادوات الزراعية الجديدة . واليوم طبق هذا الاسلوب على نصف حقول القطن فى ليوتشوانغ فزرع فيها القمح .

وابتداء من عام ١٩٦٥ لم يتمكن الفيلق من سد حاجته من الحبوب وحسب ، بل تمكن كذلك من بيع كميات كبيرة من الحبوب للدولة . وهكذا تحققت رغبة ليوتشوانغ فى تقديم مساهمة اكبر الى الدولة من الحبوب والقطن .

منذ عام ١٩٥٧ ظل شى لاى خه يقود العمل فى الحقول التجريبية ويشترك فيه بنشاط . والآن تبلغ مساحة الحقول التجريبية فى فيلق ليوتشوانغ ٢٠٠ مو اى تسع من مجمل اراضيه المزروعة . ونصف هذه الحقول مخصصة لتحسين البذور ، والباقى لمقارنة السلالات المختلفة ولاجراء تجارب اخرى مثل الزراعة المكثفة والرى ونثر البذور والتسميد .

وعبر سنوات مليئة بهذا النشاط تمكن شى لاى خه من التمسك بزمام سلسلة كاملة من الاساليب العلمية ، واصبح واحدا من الخبراء الفلاحين المشهورين فى زراعة القطن بمقاطعة خنان .

الصراع ضد الطبيعة

شى لاى خه هو فلاح ، الا ان تمسكه بالتفاصيل الدقيقة

ومقدرته على اتخاذ قرارات سريعة فى معالجة العمل اليومى تجعله شبيها بالقائد العسكرى .

ذات يوم جاءه كادر من محافظة اخرى ليستبدل بعض البذور المحسنة ببعض الحبوب الغذائية . فقال له شى لاى خه مباشرة : " حسنا ، سنعطيك الف جين . احضر غدا واستلمها . "

وزاره فى البيت تقنى مدعو لمساعدة محافظة اخرى ، ليشاوره حول خطة عمله . كان شى لاى خه وقتها يتناول العشاء ، ولكن لم يؤخره ، وظل يستمع اليه فى اهتمام ، وهو يواصل اكله ويسأله سؤالا او سؤالين ثم علق قائلا : " ان خطتك تبدو جيدة . " واضاف بعد برهة من الزمن : " اتمنى ان تقدم دائما التقرير عن عملك الى القيادة المحلية ، وتطلب منها النصح والارشاد . واحذر من ان تأمر الناس هناك بأن يفعلوا هذا وذاك . "

اصبح شى لاى خه متحدثا بليغا . وفى الاجتماعات الكبرى التى يحضرها مئات من الناس يوضح نقاط حديثه بطلاقة ، والحاضرون يستمعون فى صمت الى حججه ومنطقه ، ويعجبون بالامثلة الحية التى يقدمها . وان اكثر ما يحبه الناس هو احاديثه لمساعدة الناس على دراسة مؤلفات الرئيس ماو .

ذات مرة وفى اجتماع تعبئة الجماهير للكفاح ضد الكوارث الطبيعية ، استخدم كلمات تستقر فورا فى العقول ، اذ ان الناس يحتاجون الى الالهام والتشجيع فى الظروف القاسية ، وشى لاى خه يعرف بصفته

قائدا فى جبهة الانتاج كيف يرشدهم الى طريق التقدم فى اللحظات الحرجة .

كان عام ١٩٦٣ عاما سيئا تخللته سلسلة من الكوارث الطبيعية .

ففى اواسط ابريل هبت موجتان متتابعتان من البرد فور نثر بذور القطن ، فنبتت بصورة غير متناسقة . وبعد جهد عظيم تمكن اعضاء الفيلق من اعادة غرس شتلات كافية فى الفجوات . ولكن لم تلبث ان هبت عاصفة قوية اعقبها مطر غزير ثم عاصفة اخرى فى الليل ، فتجردت الشتلات من اوراقها ، ولم يبق لها غير سيقان تقف عارية فى الحقول .

ساد القرية سكون خانق . وجلس بعض الاعضاء القرفصاء بجانب القطن المصاب والدموع تسيل على خدودهم . ودب اليأس الى قلوب بعض الكوادر ايضا فقالوا : " لا فائدة من محاولة اخرى ، من الاحسن ان نحرث التربة ونزرع شيئا آخر ! "

لم يوافق شى لاى خه على كلامهم ، ذلك لم يكن لانه شعر بألم اقل من غيره عندما شاهد الشتلات المشرفة على الموت ، ولا لانه ملك وصفة جاهزة لانقاذها ، بل لانه اعتقد ان الشيوعى الذى لا يستسلم ابدا للعدو ، يجب الا ينحنى امام الطبيعة .

وبغرض اثارة حماس اعضاء الفيلق قدم لهم محاضرة حول فلسفة النضال ، حين قال :

ــ علينا ان نناضل ضد الطبيعة كما نناضل ضد ملاك الاراضى

والفلاحين الاغنياء . الا ترون كيف تمطر السماء عندما لا نريد المطر ، وتهب الرياح عندما لا نريد الرياح ! ماذا نفعل اذن ؟ الحل الوحيد هو الكفاح ! اذا كسبنا المعركة فسوف نحصل على انتاج القطن المحدد فى الخطة ، واذا خسرناها فسنجنى قليلا . ولكن اذا استسلمنا امام الصعاب فان الخسائر سوف تكون اكبر . من الاحسن ان نكافح !

وهكذا دب الامل فى صدور الاعضاء نتيجة اقناعه ، فاستعدوا للعمل بحماسة .

لكن كيف يعملون ؟

كان شى لاى خه قد طلب النصح من بعض الفلاحين المسنين المتمرسين ، رفاق السلاح الذين قاسموه السراء والضراء . فأخبروه كيف امطرت السماء بردا بغزارة قبل ثلاثين عاما ، فجرد شجيرات القطن حتى تركها سيقانا عارية ، الا ان فلاحا واحدا لم يصبه اليأس ، واخيرا حصل على حصاد طيب . وقد اقنعت هذه القصة شى لاى خه بأن المزروعات يمكن انقاذها . فكرر هذه القصة فى الاجتماع قائلا : "كان ذلك الفلاح يعمل بمفرده فى المجتمع القديم ، ونجح فى انقاذ قطنه ، ألسنا نحن الفلاحين المنظمين فى المجتمع الجديد ، فى وضع احسن للقيام بهذا العمل ؟" كان شى لاى خه على يقين من ان اعضاء فيلق ليوتشوانغ ، وهم شجعان ومحبون للعمل ، سوف يجدون الطريق المؤدى الى النصر حالما يكون اتجاههم صحيحا .

عقد الكوادر والاعضاء عددا من الاجتماعات قدموا فيها كثيرا

من الاقتراحات الجيدة ، وقرروا ان يقوموا بالحراثة فى فترة النمو واضافة التسميد . . . وان يبذلوا كل ما فى وسعهم لمساعدة المزروعات على النمو . ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى بدأت الشتلات الميؤوس منها تنتعش انتعاشا تدريجيا اضمحل معه التجهم عن وجوه الناس . غير ان نقص الشتلات ما زال مشكلة خطيرة . فتشاور الاعضاء لايجاد حل لها .

كان شى لاى خه يقود اعضاء الكومونة للعمل فى الحقول اثناء النهار ويشاركهم فى المناقشات حول وسائل العلاج عند الامسيات . فأصبحت عيناه حمراوين فى لون الدماء ووجهه نحيفا . ولكن حالة القطن فى الحقول بدأت تتحسن تدريجيا .

عندما حل اغسطس بدأت فروع شجيرات القطن السفلى تحمل اللوز ، فغمر الفرح شى لاى خه ، ولكن فى ليلة ٧ اغسطس انهمر المطر فجأة ، واستمر طوال اليوم التالى . فبلغ عمق المياه المتجمعة فى الحقول قدمين ، واحاط الفيضان بالقرية .

لما هجمت هذه الكارثة الجديدة ، اتجه الاعضاء مع شى لاى خه ، دون دافع من احد ، الى تصريف المياه المتجمعة فى الحقول .

الى اى قناة حولوا المياه ؟ كانت القناة الواقعة شمال شرقى القرية اسهل واسرع مخرج للمياه ، الا ان استخدامها سيخلق صعوبات للقرى الواقعة فى الاراضى المنخفضة . لهذه رفض شى لاى خه استخدام هذه القناة بعد ان شاور الكوادر الآخرين .

أما القناة الصغيرة الواقعة شمال القرية فهى جيدة ايضا، الا ان القرى الواقعة فى الاراضى المرتفعة كانت تستخدمها . فليوتشوانغ لا يمكنها ان تحاج جيرانها حول حق الافضلية . لذا فان استخدام هذه القناة ليس بحل ملائم .

واخيرا اختار شى لاى خه القناة الواقعة شرق القرية رغم انها تصرف المياه بطريق ملتو وتتطلب عملا اكثر من غيرها ، ذلك لانه كان يفضل تحمل العمل الشاق وترك السهل للغير . وعندما شاور الاعضاء بذلك وافقوا عليه جميعا .

بعد اربعة ايام من الاعمال الشاقة تم تصريف معظم مياه الفيضان . وعندما اوشك الاعضاء ان يجدوا فرصة للتنفس هاجم القطن الد اعدائه — دود القطن . فوجه شى لاى خه ، وعيناه محمرتان وصوته اجش من الاعياء ، النداء الكفاحى الجديد : "كافحوا للقضاء على دود القطن فى ثلاثة ايام !"

وهكذا تم تحويل عام ١٩٦٣ الذى تعاقبت فيه الكوارث الى عام انتصار لفيلق ليوتشوانغ ، فبلغ انتاج القطن فى مو الواحد ١٠٦ جين ، وذلك تحقق عبر النضال الجماهيرى الواسع النطاق .

بعد تسع سنوات ، اى فى عام ١٩٧٢ ، اصابت المنطقة كارثة طبيعية اخرى ، اذ نزلت بين يوليو واغسطس امطار هائلة بلغت كميتها اكثر من ٧٠٠ مليمتر . فقاد شى لاى خه الفيلق مرة اخرى فى معركة عنيفة ضد الفيضان . ونتيجة لذلك وصل انتاج الحبوب

١٤٧٠ جين فى مو الواحد بدلا من ان ينخفض ، وهذا اعلى رقم فى تاريخ الفيلق . وكان انتاج القطن ١٥٢ جين فى مو الواحد ، وهو اقل بقليل عن العام السابق له .

ففى السنوات العديدة من النضال لاجل الانتاج توصل شى لاى خه الى النتيجة الآتية : " الخوف من المصاعب والانحناء فى وجهها لا يمكن ان يكون له مخرج . وكل من يقف منتصب القامة ويعمل بشدة لا بد ان يجد من الوسائل ما يتغلب به على كل الصعاب . ان الكفاح يخلق الحكمة ، والكفاح يولد القدرة . " هذه هى الحقيقة التى استخلصها من خبرته .

* * *

ان شى لاى خه " قائد " يكافح فى الصفوف الامامية فى ريف الصين . ويعمل الآن الآلاف وعشرات الآلاف من الكوادر القاعديين مثله فى كل ارجاء البلاد . وعن طريق هؤلاء يحافظ الحزب الشيوعى الصينى على صلاته مع الستمائة مليون فلاح ، ويقودهم فى بناء الاشتراكية فى المناطق الريفية . لقد اشار الرئيس ماو الى " **ان الصراع الطبقى والنضال فى سبيل الانتاج والتجربة العلمية هى الحركات الثورية الثلاث العظمى لبناء بلد اشتراكى قوى** . " وفى هذه الحركات بالتحديد تمكن فلاحون عاديون من امثال شى لاى خه من تطوير مقدرتهم وتقديم مساهمات قيمة الى الشعب والدولة .

٥

صناعات الكومونة

عندما قام الرئيس ماو بزيارته التفقدية الى تشيليينغ فى عام ١٩٥٨ زار مصنعين صغيرين تديرهما الكومونة ، احدهما مطحنة ذات اربع طواحين فولاذية تديرها سيور جلدية ، والثانى ورشة لصنع محامل الكرات عبر عمل يدوى باستخدام المطارق الصغيرة .

واليوم تمتلك كومونة تشيليينغ ٣٨ مصنعا صغيرا بادارة فيالق الانتاج بما فيها مصانع متعددة الاغراض لتحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاعمال الجانبية ، مطاحن ومصانع لصنع واصلاح الادوات الزراعية وغيرها . وعلى مستوى الكومونة تطورت ورشة محامل الكرات السابقة ، فأصبحت مصنعا مكونا من خمس ورش لصنع واصلاح الآلات الزراعية . كما ان هناك الآن مؤسسات اخرى وهى محطة للجرارات ملحقة بها ورش للاصلاح ، ومصنع لانتاج الاسمدة الفوسفورية ، ومصنع للغزل ، وفرقة للنقل تشرف على اربع شاحنات . ورغم ان هذه المؤسسات ليست كبيرة الحجم ، بيد ان انشاءها وادارتها امر فوق طاقة فيلق واحد او عدة فيالق . ويزيد الآن عدد العمال والموظفين فيها على ٤٠٠ نسمة .

تطبق هذه المؤسسات بصورة جدية مبادئ الاعتماد على النفس ، وممارسة الاجتهاد والاقتصاد . وعلى سبيل المثال فان معظم المعدات فى مصنع الآلات الزراعية وورش اصلاح الجرارات قد تم شراؤها من دخلها او قام العمال انفسهم بصناعتها ، وفى حالات قليلة جدا حدث ان قدمت الكومونة بعض المال .

اما الارباح العائدة من هذه المؤسسات ، فيما عدا جزءا معينا منها يخصص لتوسيع الانتاج ، فانها تقدم الى الكومونة لاستخدامها اما لتمويل بناء المشاريع على نطاق الكومونة واما لمساعدة الفيالق والفرق على تطوير انتاجها .

ان سمة مؤسسات كومونة تشيليينغ الصناعية هى انها ترتبط ارتباطا وثيقا بحاجيات الانتاج الزراعى على نطاق الكومونة . ففى السنوات الاخيرة انتج مصنع الآلات الزراعية مئات من آلات الدراس والتكسير وآلات قطع الاعشاب وحلج القطن . وبفضل هذه الآلات وبعض الآلات المشتراة اصبحت كل عمليات تحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاعمال الجانبية فى الكومونة آلية من حيث الاساس . كما صارت كافة المنتجات الاسمنتية المستخدمة فى بناء مشاريع الرى من صنع الكومونة . وفى مؤسسات الكومونة تم توسيع الخدمات لاصلاح الآلات حتى اصبح بمقدورها اليوم ان تقوم دون الحصول على مساعدة خارجية باصلاح وصيانة كل الجرارات الـ ٥٦ للكومونة والفيالق بحيث لا تتعطل أية واحدة منها عن العمل ، مما رفع درجة الاستخدام

للجرارات ، وجعل اكثر من ٩٠ بالمائة من اراضى الكومونة تحرث آليا . وبما ان الاصلاح جاء فى حينه فان اكثر من ٩٠ بالمائة من ٥٠٠٠ معدة آلية للكومونة تضم آلات تصريف المياه والرى وآلات تحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاعمال الجانبية واداوات رش مبيدات الحشرات وغيرها تظل فى حالة جيدة على مدار العام .

الاستجابة الدائمة للمتطلبات الجديدة

احرز البناء الاشتراكى فى تشيليينغ تقدما مطردا خلال الخمس عشرة سنة بعد تأسيس الكومونة . وكلما تم انجاز المهمات القديمة برزت مهمات جديدة ، وظاهرة ذلك ان مصانع ومنتجات جديدة حلت محل المصانع والمنتجات القديمة .

ان مصنع السماد الذى ينتج الآن ثلاثة عشر طنا من الاسمدة الفوسفورية فى اليوم الواحد لم يكن فى العام الماضى سوى مصنع منتجات الاسمنت . وخلال الثمانى سنوات المنصرمة قدم مساهمة كبيرة فى اعمال البناء الاساسى فى الزراعة للكومونة كلها . وعلى سبيل المثال فانه قد صنع اعمدة اسلاك الكهرباء ذات الضغط المنخفض ، والانابيب الاسمنتية المستعملة فى بناء الآبار الارتوازية ، وصنع الالواح الاسمنتية لرصف سطوح الجسور فوق قنوات الصرف والرى . وفى عام ١٩٧٢ انجزت هذه الاعمال بالفعل على مستوى الكومونة ، كما استطاعت فيالق الانتاج ان تصنع منتجات الاسمنت بنفسها لسد حاجتها .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت فيالق الانتاج ، وهى تسعى لزيادة مردودها على اساس الحصاد الوافر من القطن والحبوب ، بحاجة الى كمية اكثر من السماد الفوسفورى الذى يجعل القمح ذا سنابل ثقيلة وسيقان قوية لا تنكسر بسهولة ، ويجعل القطن ذا الياف طويلة . وهكذا قررت لجنة الحزب بالكومونة فى صيف ١٩٧٢ تحويل مصنع الاسمنت الى مصنع لانتاج السماد الفوسفورى ، وقد تم انشاؤه وبدأ انتاجه فى مدة لم تتعد الخمسين يوما .

ونظرا للحاجة الماسة لسماد هذا المصنع قدمت له فيالق وفرق الانتاج المساندة لتوسيع الانتاج ، كما ساعدته على شراء معدات جديدة لانتاج الكلسيوم والمغنيسيوم والفوسفور .

وفى عام ١٩٧٣ كان مصنع الآلات الزراعية بالكومونة قد انتج ما يكفى من آلات الدراس والتكسير لسد حاجة كل فيالق وفرق الانتاج . ولكن برزت عقبة جديدة ، الا وهى ان عمل ذرى الحبوب الذى كان يتم باليد لم يعد يساير الزيادة الهائلة المستمرة فى انتاج القمح فى السنوات الاخيرة .

وعليه ، قرر العمال صنع عدد من آلات الذرى لاستخدامها فى موسم حصاد القمح القادم . ومن اجل دعم تربية الخنازير يجربون الآن صنع خلاطة علف تسحق قوالحة الذرة الشامية وسيقان القرع وغيرها.

ولمقابلة حاجة الاصلاح ، بدأت الورش الملحقة بمحطة الجرارات فى الكومونة تصنع قطع الغيار المختلفة بما فيها المضخات المركبة

فى جرارات " الشرق احمر" بطراز ٤٠ ، هذه المضخات التى تتطلب الاستبدال من وقت الى آخر ، وقد استطاعت هذه الورش اليوم ان تصنع ما تحتاجه الكومونة منها وتبيع بعضها خارج الكومونة .

الاصلاح هو المهمة الاولى

فى السنوات الاخيرة ومع تطور المكننة المتزايدة فى الكومونة اصبحت مسألة الاصلاح المهمة الاولى لمصنع الآلات الزراعية . ان قطع الغيار المعطوبة المرسلة من قبل الفرق الانتاجية للاصلاح تحظى بالاولوية فى المصنع بصرف النظر عن الاعمال الاخرى التى يواجهها . وعندما يصعب ارسال الآلة المعطوبة الى المصنع فان مكالمة تليفونية واحدة تكفى لاحضار العمال فورا لاصلاحها .

وكثيرا ما يرسل هذا المصنع العمال الى كافة الفرق الانتاجية فى القرى بغرض تفتيش الادوات والآلات الزراعية واصلاحها . وخلال موسم حصاد القمح يقيم المصنع مراكز مؤقتة فى ست قرى لتلبى كل الحاجيات الطارئة للاصلاح .

وخلال يونيو ١٩٧٣ ظهر فى قرية تشونغتساو شاب فى الثلاثين من عمره ليس من سكان القرية وكان يشارك الفلاحين المحليين منذ الصباح الباكر فى حصد القمح او ازالة الزوائد من شتلات الذرة الشامية او عزق ارض القطن ، ويدعى سونغ جينغ قوه . كان الفلاحون دائما ما يحيونه بحرارة ويمازحونه قائلين : " ها قد جاء خادمنا ! "

انه عامل براد منحدر من اصل فلاحى اوكل اليه مصنع الآلات الزراعية مهمة التفتيش والاصلاح لجميع آلات الدراس فى الـ ٤٨ فرقة انتاجية ، كما كان يساعد الفلاحين فى الاعمال الزراعية اثناء وقت فراغه .

ذات مساء ، عندما عاد من عمله كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة . ولم يكد يأوى الى سريره حتى ايقظه رئيس احدى فرق الانتاج من قرية مجاورة ، اذ اصيبت دراستهم بعطب .

قطع سونغ جينغ قوه مسافة كيلومترين حاملا معه القطعة المعطوبة حتى عاد بها الى المصنع لاصلاحها . ولما انتهى من اصلاحها واعادتها الى مكانها لاح الفجر .

وعندما كان منهمكا فى تركيب الآلة حثه اعضاء الكومونة على تناول الفطور ، الا انه لم يترك المكان ، بل قدم لهم شرحا مفصلا فى كيفية ادارة الآلة الجديدة والعمل بها ، لانه كان يدرك ان خبرتهم لم تكن كافية فى هذا الميدان . وبعد ان انجز هذا كله تناول بسرعة شيئا من الطعام ، ثم حمل صندوق الادوات على كتفه متجولا فى القرى الاخرى للقيام بفحص آلات الدراس واصلاحها .

ان سونغ جينغ قوه ليس سوى واحد من العمال الكثيرين الذين اتجهوا الى الريف لتقديم العون للزراعة ، واعمالهم البارزة كثيرا ما اتخذها كوادر الفيالق والفرق الانتاجية تشجيعا وتحفيزا لاعضاء الكومونة ليتعلموا من الطبقة العاملة . والمعروف ان مصنع الآلات

الزراعية يتلقى كل عام رسائل عديدة من الفلاحين تشيد بالعمال وتكيل لهم المدح .

تدريب سائقى الجرارات تدريبا شاملا

فى السنوات الاخيرة قفز عدد الجرارات فى كومونة تشيليينغ من ١١ جرارا فى سنة ١٩٦٦ التى بدأت فيها الثورة الثقافية الكبرى الى ٥٦ جرارا ، منها عشرة جرارات تملكها الكومونة والباقى تمتلكه فيالق الانتاج . وفى عام ١٩٦٩ ، عندما انشأت محطة جرارات الكومونة ورش الاصلاح الخاصة بها ، وضعت مخططا لتدريب سائقى الجرارات تدريبا شاملا يمكنهم لا من قيادة الجرارات فحسب ، بل من اصلاحها كذلك .

وقد تم حتى الآن تخريج ٦٠ فردا من هؤلاء السائقين ، ومازال ثلاثون آخرون تحت التدريب . وكل سائق محنك يدرب اثنين او ثلاثة من المتدربين ، والى جانب التدريب العملى تدار فصول لهم مرة فى الاسبوع الواحد لاكتساب المعارف الاساسية والنظرية . والجزء الاول من الدراسة متعلق بالقيادة والصيانة والتصليح ، وبعد ذلك يتعلم المتدربون تشخيص الخلل بكل انواعه وازالته . والمعلم دو شيوه شين المسؤول عن الصيانة والتصليح فى المحطة يقدم المحاضرات حول هذه الامور .

ان دو شيوه شين لم يتعد الخامسة والثلاثين من عمره ، الا انه

يلم جيدا بخصائص وفعالية كل انواع الجرارات التى تستخدم فى الكومونة كما يلم بخطوط كفه ، وليس هذا فحسب ، بل يعرف كذلك اى جرار يعانى من " المرض المزمن " ، والغريب فى الامر ان دو شيوه شين لم يكن يعرف حتى شكل الجرار قبل تأسيس الكومونة بعامين ، بل وفى الحقيقة لم يسمع اسمها لاول مرة الا فى عام ١٩٥٥ .

فى ذلك العام كانت وحدة من وحدات جيش التحرير الشعبى تعسكر بصورة موقتة فى قرية باليوشو مسقط رأسه ، وكان صبيا يبلغ من العمر سبعة عشر عاما . وكان كلما انتهى من عمله يذهب ليتجاذب اطراف الحديث مع مقاتلى الجيش الشبان ، واخبره احدهم انه لن يمضى وقت طويل حتى تحرث الجرارات الحقول فى قرى الصين ، وبوسع كل جرار ان يؤدى عمل ٧٠ او ٨٠ ثورا فى اليوم الواحد . . . عندها فكر دو شيوه شين بأن هذا لا بد ان يكون قصة مثيرة وقال فى نفسه : " أتوجد حقا اشياء كهذه ؟ " بعدها سأل قائد السرية الذى كان يسكن فى بيته ، فأخبره اشياء كثيرة عن الجرارات وحثه قائلا : " قد يحدث ذات يوم ان تقود بنفسك جرارا . "

وقد حدث فعلا بعد عامين من ذلك ان ارسل دو شيوه شين الى دورة تدريبية لسائقى الجرارات تشرف عليها المحافظة . وحين اتم الدورة تأسست الكومونة ، فاوكل اليه العمل لقيادة واحد من جراراتها الثلاثة الاولى ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبح سائقا رئيسيا للجرار .

فى عام ١٩٦٩ حضر ٢٥ شابا من مختلف الفيالق الى محطة جرارات

الكومونة لقضاء دورتها الدراسية الاولى ، وقد ذكر حضورهم دو شيوه شين بنفسه قبل اثنى عشر عاما . انه ادرك جيدا رغبتهم الشديدة فى التمسك بزمام استخدام الجرارات فى اقل وقت ممكن ، وفعل ما فى وسعه لمساعدتهم على بلوغ هذه الغاية .

وعندما كانوا يمسكون مقبض القيادة فى بداية التعلم كان يقف الى جانبهم منحنيا الى الامام مستعدا لمعاونتهم فى السيطرة على اتجاه الجرار بغية الحفاظ على نوعية الحراثة او تفادى سقوط سلاسل الجرارات فى الاخاديد الحديثة الحرث .

والآن يشعر دو شيوه شين وغيره من العمال المتمرسين بسعادة لا حد لها عندما يرون عددا متزايدا من تلاميذهم يقودون الجرارات بمهارة فى حقول الكومونة الشاسعة . ومعظم تلاميذهم ، بما فيهم المتدربون الجدد الذين ارسلتهم الفيالق فى عام ١٩٧١ ، قد اصبحوا اليوم سائقين رئيسيين للجرارات .

وعادوا الى قراهم بعد اتمام التدريب ، واصبحوا قادرين على قيادة الجرارات وكذلك على صيانتها بصورة جيدة واصلاحها فى الوقت المناسب ، وهذا ما ينفع تمديد عمر الجرارات . انهم لا يطلبون يد المساعدة من دو شيوه شين او المعلمين الآخرين الا عندما تكون هناك حاجة الى الاجهزة الخاصة لكشف الخلل او تبرز مشاكل معقدة امامهم .

وصار بوسع كل فيالق الانتاج اليوم ان تقوم باصلاح الخلل المتوسط بينما تستطيع الكومونة القيام باصلاح الخلل الكبير . وفى

حالات قليلة فقط ، عندما تكون هناك حاجة الى الادوات الخاصة ، يرسل الجزء المعطب الى مصنع اصلاح الجرارات فى المحافظة من اجل الاصلاح او التبديل ، الامر الذى يؤدى الى توفير الاوقات وتخفيض النفقات .

تخفيف الاعباء عن كاهل النساء

بدأت الكومونة فى سنة ١٩٧٣ بناء مصنع غزل لها . وحسب خطة البناء وقتذاك سيمتلك المصنع ٢٠٠٠ مغزل عندما يتم بناؤه فى ربيع عام ١٩٧٤ . وعند تأليف هذا الكتاب كانت بعض الآلات قد تم تركيبها وبدأ المصنع الانتاج .

كانت المهمة الاساسية لهذا المصنع غزل القطن الخاص لاعضاء الكومونة ، الامر الذى حرر النساء من قيود الشؤون المنزلية الثقيلة .

كانت احدى العادات التقليدية التى تتحلى بها نساء الصين فى مناطق انتاج القطن هى ان يغزلن القطن على مغازل خشبية محلية فى اوقات الفراغ ، ثم ينسجنه كما يروق لهن ، فى اقمشة ملونة بانواع مختلفة ذات صفة تقليدية قومية . ان عمل النسج بواسطة الانوال الخشبية المحلية لم يكن من الصعوبة بمكان ، ويمكن للمرأة المتمرسة ان تنسج فى اليوم الواحد حوالى ١٠ او ٢٠ قدما من القماش الا ان الغزل الذى يكفى للنسج فى اليوم الواحد كان يستغرق اربعة او خمسة ايام ، وهذا عمل متعب جدا بالنسبة للنساء القرويات . ومن اجل

ازالة هذا العبء عن كواهلهن انشأت الكومونة مصنع الغزل هذا .

وفى اشهر قلائل قام المصنع بغزل ١٠ آلاف جين من القطن تقريبا . والنساء الكثيرات بما فيهن من بلغن الستين او السبعين عاما ، حينما يحضرن اقطانهن بأنفسهن الى المصنع من اجل غزلها ، لا يفوتهن ان يتمتعن عند بوابة الورشة بالقاء نظرة على الآلات الدائرة . وقد علقت امرأة شائبة قائلة : " لقد تقدم بى العمر ، ولكن هذه اول مرة فى حياتى اشاهد فيها آلة تغزل القطن ، انها تغزل بصورة جيدة وسريعة . احضروا لنا آلات اكثر ! فسوف لا نحتاج الى مغازلنا الخشبية المحلية " .

وفى حقيقة الامر ان هذه الآلات عبارة عن " عمال متقاعدين " وقد احضرت من مصانع النسيج الكبيرة التى تديرها الدولة . ورغم ذلك فهى تشكل فى الريف تطورا عظيما بالنسبة للمغازل الخشبية المحلية .

جيل جديد من العمال

ومع تطور صناعات الكومونة شكل العمال الاوائل فيها عمودا فقريا للقوى العاملة ، والى جانب هؤلاء ظلت الكومونة تستوعب بصورة مستمرة عددا من الشباب القرويين فى الانتاج الصناعى . وهكذا بدأ يتكون وينمو باطراد فى تشيليينغ صف جديد من الطبقة العاملة .

ان ليو شو هنغ الذى يعمل الآن فى مصنع الآلات الزراعية

هو واحد من الذين شاهدوا الرئيس ماو عام ١٩٥٨ فى مصنع محامل الكرات السابق ، حينذاك كان شابا لم يتمتع بالنضج السياسى بعد ، كما كانت " تقنيته " الوحيدة فى عمله هى استخدام المطرقة ، الا انه اصبح اليوم عضوا فى لجنة فرع الحزب فى المصنع ، ومتمكنا من المهارات العديدة مثل الخراطة والبرادة واللحام بالكهرباء . وفى الوقت الحاضر يشغل منصب التقنى المسؤول عن مراقبة نوعية التصليحات والمنتجات .

ومن بين اصغر العمال وانغ داو شيان الذى يبلغ العشرين عاما من عمره ، وقد تخرج من المدرسة الثانوية فى تشيلبينغ فى عام ١٩٧١ . وبعد ان قضى عامين تقريبا فى احدى ورش الاصلاح لمحطة الجرارات اصبح خراطا ماهرا .

اما وانغ آى هوا البالغة ٢٣ عاما من عمرها – فتاة قروية تحب التعلم من الآخرين وتجد فى العمل – فهى عاملة جديدة من صف العمال ، اذ نقلت من مزرعة البذور فى لينتاى الى مصنع الغزل فى مايو ١٩٧٣ . وفى اليوم التالى بعد وصولها الى المصنع ارسلت مع ١٤ فتاة اخرى الى مصنع غزل كبير للقطن فى محافظة جيشيان على بعد ٤٥ كيلومترا عن تشيلبينغ ليتدربن هناك .

كانت معلمتها عاملة فى حوالى الاربعين من عمرها ، وقد بذلت جهدا عظيما لتدريبها بالامثلة والتوضيحات اثناء العمل ، كما كانت تقوم دائما بالاعمال الشاقة او القذرة مثل اعمال تنظيف الآلات حتى

تقدم لها ما يسع من الوقت لتعلم تقنية الغزل .

ذات يوم اخطأت وانغ آى هوا فى عملها لقلة اكتراث ، فانقطعت بالكاد كافة الخيوط على مغزلها . يا لها من الخسارة ! فتملكها خوف شديد من ان ذلك قد يؤثر فى حصة الانتاج المحددة التى يجب ان تنجزها معلمتها ، بيد ان معلمتها عزتها قائلة : " لا تقلقى ، فليس من الغريب ، وانت مازلت تتعلمين ادارة الآلة ، ان ترتكبى خطأ . ولكنك ، بعد فترة من التعلم ، ستجيدين عملك شيئا فشيئا . " حينئذ تقدم نحوها عمال المغازل القريبة منها ، وساعدوها على اتمام ربط الخيوط المقطوعة فى وقت وجيز . بعد ذلك صارت وانغ آى هوا مطمئنة ، بل تأثرت تأثرا عميقا ، ولاول مرة ادركت معنى الروح الجماعية النبيلة لدى الطبقة العاملة .

ذات مساء عندما استعدت وانغ آى هوا وزميلاتها للذهاب الى العمل انهمر المطر الغزير بصورة مفاجئة . فانتظرن وفقا للعرف السائد فى الريف حيث يمكن للمرء ان يتأخر عن الذهاب الى الحقول اذا صادفته الامطار الشديدة ، ووصلن الى الورشة بعد ان خف المطر ، فوجدن المعلمين قد وصلوها قبل بدء العمل بعشرين دقيقة كما هى عادتهم ، وهيأوا كل شيء . واثناء عودتهن الى بيوتهن عبر بعضهن لبعض عن خجلهن عندما قارن انفسهن بالمعلمين ، وادركن انه يجب عليهن ان يلتزمن بقواعد التنظيم والانضباط للمصنع ، وصممن على تعلم الميزات الممتازة التى تتحلى بها الطبقة العاملة .

ابدى المعلمون اهتماما عميقا بحياة الفتيات وافكارهن . وكثيرا ما دعوهن كضيفات الى بيوتهم فى ايام العطلات والاعياد ، وتحدثوا اليهن عن التغيرات الهائلة فى المصانع والخلاف الشاسع قبل التحرير وبعده . ان هؤلاء العمال المسنين كانوا فى المجتمع المظلم القديم يعملون اثنتى عشرة ساعة فى اليوم الواحد ، وحتى الآن يمكن للفتيات ان يشاهدن ارجلهم المقوسة بسبب وقوفهم الطويل امام الآلات فى ذلك الوقت الشرير .

سارت الفتيات بعملهن فى سعادة ويسر ووئام فى محافظة جيشيان . الا ان مسألة واحدة كن يناقشنها بحماس هى ان كلا منهن كانت تمدح معلمها قائلة : " هو الاحسن . "

وبعد تدريب شهر واحد فقط وبفضل مساعدة معلميهن اصبحت وانغ آى هوا وزميلاتها قادرات على العمل مستقلات . ان الفتيات جادات فى التعلم ، كن دائما ما يبقين فى الورشة لمدة طويلة بعد انتهاء ساعات العمل عاكفات على دراستهن . كانت وانغ آى هوا مكلفة بتعلم عمل الخيط الخشن ، الا انها دائما ما تمكث فى الوردية التالية بعد انهاء عملها لتتعلم عمل الخيط الناعم على يد المعلم الآخر .

بعد تسعة اسابيع عادت الفتيات الى الكومونة ، وهن مشبعات بالمهارات الجديدة والخصال الجيدة للطبقة العاملة . وقد مكنهن كل هذا من تحويل الثلاثين عاملا الذين يعملون فى الورشة الى جماعة كفاحية موحدة يهتم فيها كل منهم بالآخر ويبادله العناية والمساعدة .

كانت وانغ آى هوا وزميلاتها ، عندما يصنعن ما يكفى من الخيط الخشن لامداد قسم الخيط الناعم ، يصرفن باقى الوقت اما بنقل القطن او ربط فتلات الخيط المقطوعة او لف الخيوط . ان عاملة الغزل الرفيع وانغ يو فنغ علمت قوه الصغيرة ، وهى تلميذة جديدة ، بكيفية ربط الخيط فى وردية الليل . وعندما احست بأن تلميذتها لم تعرف تماما كيف تؤدى هذه المهمة عزمت على البقاء فى الورشة بعد وردية الليل مضحية بنومها لكى تعلمها باستمرار . واذا ما مرضت احدى العاملات كانت رفيقاتها يعتنين بها ، ويؤدين عملها من تلقاء انفسهن اثناء غيابها حتى لا يؤثر ذلك بالانتاج .

كانت الفتيات حازمات على الالتزام بانضباط العمل ، واصبحن كمعلميهن يذهبن الى العمل قبل الوقت المقرر بعشرين دقيقة مهما كانت حالة الطقس ، وصرن يركزن انتباها بالغا على رقابة المغازل خلال عملهن ، وقد تخلصن من عادة الثرثرة والضحك التى كن يتصرفن بها فى الحقول . انهن يتطوعن للعمل مدة اضافية بغية ارسال الخيوط الى اعضاء الكومونة قبل الوقت المحدد .

٦

التجارة الريفية

فى احد اعياد عام ١٩٧٣ تدفق آلاف وآلاف من اعضاء الكومونة رجالا ونساء الى بلدة تشيلبينغ من القرى المجاورة . كان الفرح والسرور بهذا العيد يغمر الجميع ، والشوارع تعج بالناس ، وفى السماء كانت تدوى فرقعات الالعاب النارية وتتردد اصوات التهانى الحارة والضحكات السارة .

كان هذا اليوم اكثر الايام نشاطا لدى عاملى التجارة فى تشيلبينغ . كانت الاكشاك المؤقتة التى انشئت لبيع المأكولات والحلويات على جانبى الطريق مزدحمة بالمشترين . وكذلك اكتظت الحوانيت والمطعم بالناس . ولكن المكان الاكثر ازدحاما هو المخزن التجارى العام فى تشيلبينغ رغم انه قد نصب اكشاكا عديدة للبيع فى الخارج لخدمة الزبائن .

وفى ذلك اليوم باع المخزن التجارى العام وحده من الحرير والبوبلين اكثر مما باعه فى شهر اغسطس ١٩٥٧ ، اى العام الذى سبق تأسيس الكومونة . وبالاضافة الى ذلك باع ٩٠٠ و٧١٠ امتار على التوالى من الفلاتين والدكرون اللذين لم يكونا موجودين فى المخزن فى

عام ١٩٥٧ . وفى ذلك الوقت كان هناك نوع من الحرير المنسوج يشبه الدكرون من حيث النوعية والسعر ، ولكن لم يبع الا عشرون مترا منه خلال شهر اغسطس ١٩٥٧ .

الارتفاع المستمر للقدرة الشرائية

لم تكن هذه التجارة المزدهرة غريبة عن عاملى التجارة فى تشيلبينغ ، لأنه خلال السنوات الاخيرة ظلت القدرة الشرائية لاعضاء الكومونة ترتفع باطراد مع تطور الانتاج . واليوم اصبح لدى اكثر من ٦٠٠٠ عائلة من مجموع العائلات الـ ٩١٠٠ ودائع مالية فى البنك او فى تعاونية التسليف . وقد اثبت التقصى الذى قام به عاملو التجارة فى ربيع ١٩٧٣ ان اعضاء الكومونة لم يحتاجوا فقط الى كميات كبيرة من المنسوجات وغيرها من الضروريات ، بل بدأوا يستهلكون مختلف اصناف البضائع الممتازة ايضا .

تشانغ تسه وو ، احد الباعة القدامى فى المخزن التجارى العام فى تشيلبينغ ، يخدم دائما الشباب الذين يوشكون على الزواج ، فيبيع لهم المفارش واغطية الوسائد والترامس والطسوت وكثيرا من الادوات المنزلية الاخرى . وذلك يعود بذاكرة تشانغ الى ايام زواجه قبل ثلاثين عاما : كان مفرش سريره قطعة قديمة من القماش للف القطن اشتريت من احد حوانيت القطن والحبوب وهى كل مهر زوجته . وكان " ثوب عرس " تشانغ جلبابا صينيا من القماش العادى اضطر والده الى الاستدانة

لشرائه . وكانت العادة القديمة ان تحضر العروس الى منزل زوجها محمولة على محفة ، وبصحبة فرقة موسيقية صغيرة ، فقد اضطر والده الى الاستدانة من مالك الارض مرة اخرى ليدفع التكاليف . ولما لم يتمكن والده من تسديد الدين نقدا فى العام التالى اجبره صاحب الدين على قطع شجرتين كبيرتين فى فنائه وتقديمهما له ليسدد الدين . ولم يكن مالك الارض هذا شخصا غريبا عنه بل كان قريبا له وهو زوج عمته . وحتى اليوم يشتعل تشانغ غضبا بمجرد ذكر هذه الامور .

ظل تشانغ يعمل فى المخزن التجارى العام فى تشيليينغ منذ عام ١٩٥٨ ، وهو يلم الماما تاما بالوضع التجارى . والارقام المذكورة ادناه التى قدمها هو مع بعض زملائه ، توضح الزيادة فى عائدات مبيعات المخزن وحجمها .

١ ـ المعدل الشهرى لعائدات المبيعات

(القيمة بيوان)

	موسم كساد (فبراير – يونيو)	موسم رواج (يناير ، يوليو – ديسمبر)
١٩٥٧*	١٢ر٠٠٠	٢١ر٠٠٠
١٩٦٦**	٢٠ر٠٠٠	٤٩ر٠٠٠
١٩٧٣	٤٧ر٠٠٠	٨٤ر٣٠٠

محطة الجرارات فى الكومونة تدرب للفيالق سائقين اكفاء يستطيعون القيام بصيانة الجرارات واصلاحها

عمال فى معمل الآلات الزراعية فى الكومونة يصلحون مذرة لفيلق

وانغ آى هوا (فى الوسط) وزميلاتها ينتمين الى الدفعة الاولى من الفلاحين الذين اصبحوا عمالا فى مصنع الغزل بالكومونة

جانب من محطة شراء القطن فى تشيلبينغ ، التى تزود الكومونة بواسطتها الدولـة بكميات كبيرة من القطن المحلوج كل سنـة

تعاونيات التموين والتسويق كثيرا ما تقيم متاجر مؤقتة
فى شوارع القرى من أجل تقديم التسهيلات للمشترين

*العام الذى سبق تأسيس الكومونة .

**العام الاول من الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

لقد تضاعف المعدل الشهرى لعائدات المبيعات فى عام ١٩٧٣ اربع مرات تقريبا لما كان عليه فى عام ١٩٥٧ ، سواء فى موسم الرواج او الكساد . وكانت عائدات المبيعات فى موسم الكساد عام ١٩٧٣ اكثر بكثير مما كانت عليه فى موسم الرواج عام ١٩٥٧ .

٢ ــ المعدل الشهرى لحجم المبيعات من بعض المنسوجات
(بالامتار)

	قماش عادى جبردين قطنى وتويل قطنى	قماش كاكى	قطيف قطنى ومخمل	اقمشة صوفية وحريرية وغيرها من المنسوجات الممتازة
١٩٥٧	١ر٣٨٠	٩٥٠	٤٢٠	٢٨٠
١٩٦٦	٢ر١٠٠	١ر٨٣٠	١ر١٠٠	٦٢٠
١٩٧٣	٤ر٢٠٠	٥ر٥٠٠	٣ر٠٠٠	٤ر٥٠٠

وتضاعف المعدل الشهرى لحجم المبيعات من هذه الاصناف الاربعة فى سنة ١٩٧٣ من ٣ مرات الى ١٦ مرة بالمقارنة مع عام ١٩٥٧ . وكذلك توضح هذه الارقام ان الزيادة كانت كبيرة فى كل صنف من اصناف المنسوجات الممتازة .

٣ – حجم المبيعات السنوى لبعض الحاجيات اليومية

	الساعات الكبيرة والساعات المنبهة	الصوف	المفارش	الطسوت
	(بالوحدات)	(بالكيلوغرامات)	(بالوحدات)	(بالوحدات)
١٩٥٧	٢٥	١٩	٣٥٠	٢٧٠
١٩٦٦	٤٥	٤٥	٦٢٠	٤١٠
١٩٧٣	١٥٠	٢١٠	٢ر١٠٠	١ر١٥٠

كانت هذه السلع لا تشاهد فى تشيلبينغ قبل التحرير الا فى بيوت ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء ، والآن يتضاعف حجم المبيعات منها باستمرار . اما الدراجات فلم يبع منها فى عام ١٩٦٣ الا عشر ، وفى عام ١٩٧٣ بيعت الـ ١٠٥ دراجات التى كانت توجد فى المخزن، ولكنها لم تكف لسد حاجة اعضاء الكومونة .

شبكة تجارية ريفية

فى سنة ١٩٤٩ ، وقت تحرير تشيلبينغ ، لم يكن فى هذه الناحية الا عدد ضئيل من حوانيت القطن والحبوب وحوانيت البقالة التى ادارها ملاك الاراضى والفلاحون الاغنياء . كانت حوانيت القطن والحبوب تعمل على شراء الحبوب والقطن والمحاصيل الزيتية وغيرها من المنتجات الزراعية من الفلاحين بأسعار رخيصة وبيعها للمستهلكين بأسعار غالية ، وكانت حوانيت البقالة تخدم لسد حاجيات ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء بصورة رئيسية . اما الجماهير الواسعة من الفلاحين الفقراء الذين كانوا يعيشون فى فقر وشقاء فلم يكونوا قادرين على شراء شىء بالفعل ، وحتى الملح العادى عجزوا عن شرائه ، فاضطروا الى ان يبتاعوا من الباعة المتجولين ملحا خشنا مرا ردىء النوعية يستخلص من التربة الملحية . وكان بعضهم معدما عاجزا عن شراء الكبريت يأخذ من الجار ، عندما يريد اشعال النار ، عودا مشتعلا او قدح شرارة بضرب الصخرة بقطعة من الحديد .

بعد الاصلاح الزراعى فى عام ١٩٥٠ تحسنت حياة الشغيلة . وفى ذلك العام تم تأسيس تعاونية التموين والتسويق فى كل قرية . ان هذه التعاونية التى دعت الحكومة الى تكوينها وايدها الفلاحون ببعض الاستثمارات كأسهم كانت تموّنهم فقط ببعض المواد مثل الزيت الغذائى والملح والكبريت والكيروسين .

ومن ثم تطورت التجارة الريفية تطورا سريعا بتأييد الدولة القوى . فى

عام ١٩٥١ اندمجت تعاونيات التموين والتسويق فى القرى المتجاورة فى تعاونية متحدة ، ثم انضمت هذه التعاونيات المتحدة فى عام ١٩٥٦ الى تعاونية كبرى تخدم المنطقة كلها . ومنذ ذلك الحين ازدادت انواع البضائع باطراد حتى بلغت فى الوقت الراهن اكثر من ٣٠٠٠ صنف . وتشرف هذه التعاونية فى بلدة تشيلبينغ الآن على خمسة دكاكين متخصصة لبيع وسائل الانتاج ، الحاجيات اليومية ، المواد الغذائية ، الادوات الكهربائية والاوانى الخزفية ، وعلى مركز لشراء المنتجات المحلية . كما تدير مخزنا تجاريا عاما ومطعما واحدا . وقد انشأت محلا تجاريا تابعا لها فى كل من قرى الكومونة الثمانى الرئيسية ، ووكالات خاصة بالبيع والشراء بادارة الفيالق فى الـ ٢٤ قرية صغيرة .

هكذا يمكن لاعضاء الكومونة شراء الحاجيات اليومية فى قراهم نفسها . وحتى فى اصغر القرى تمونهم الوكالة بمئات الاصناف من البضائع . وفى كل من هذه الوكالات يعمل واحد او اثنان من اعضاء الكومونة تم اختيارهما بواسطة الفيلق ، ويقومان نيابة عن التعاونية ببيع البضائع وشراء منتجات الاعمال الجانبية .

فى تعاونية تشيلبينغ للتموين والتسويق يعمل اكثر من مائة عامل . كان بعضهم باعة فى الحوانيت الخاصة قبل التحرير . ويبدو فى الظاهر انهم يؤدون مهمة البيع كما كانوا يفعلون من قبل ، الا ان الامور تغيرت تغيرا جذريا ، اذ انهم ، بصفتهم عاملين فى الدوائر التجارية الاشتراكية مضمونة اجورهم من قبل الدولة ، لم يعودوا يعيشون فى

خوف من العطالة ، ولا يعملون بأوامر سادتهم الجشعين . ان المبدأ الذى يرشدهم هو " **خدمة الشعب بكل امانة واخلاص** " .

بالاضافة الى الشبكة التجارية التابعة لتعاونية التموين والتسويق فى الكومونة ، تقام اسواق دورية ريفية تحت ارشاد الدولة وادارتها ، حيث يمكن لاعضاء الكومونة او فيالق الانتاج او فرق الانتاج ان يتبادلوا ، فى الحدود التى تحدها الدولة ، الحاجيات من المنتجات الزراعية ومنتجات الاعمال الجانبية .

كيف تقود الكومونة التجارة

قبل تأسيس الكومونة كانت تعاونية التموين والتسويق تحت قيادة دائرة التجارة للمحافظة . واليوم ما زالت خاضعة لقيادة هذه الدائرة ، الا انها شأنها شأن كل النشاطات فى تشيلبينغ تقع تحت قيادة لجنة الحزب الموحدة فى الكومونة ايضا . ويساعد هذا على تخطيط التجارة ، ويدفع عمل التعاونية ليتكيف تكيفا اكثر مع زيادة الانتاج الزراعى وحاجة الميادين الاخرى . ونتيجة لذلك تتمكن التعاونية من تقديم خدمات افضل للانتاج الزراعى ولاعضاء الكومونة .

ان رئيس اللجنة الثورية للتعاونية هوعضو فى لجنة الحزب فى الكومونة . انه يقدم للجنة الحزب فى اوائل كل عام تقريرا حول اعمال التعاونية فى السنة السابقة وبرنامجها للتموين والتسويق فى العام الحالى ، الذى تضعه بناء على خطة لجنة الحزب لتطوير الانتاج وعلى الارقام

التى يتم الحصول عليها بواسطة التحقيقات . وتعقد لجنة الحزب كل عام اجتماعا خاصا لمناقشة خطة ادخال البضائع وعرضها فى عيد الربيع بحيث تضمن لاعضاء الكومونة البضائع الوافرة لكى يقضوا هذه العطلة الكبرى فى هناء وسعادة بعد انتهاء عام كامل من عملهم الشاق .

القطن هو احد المحاصيل الرئيسية فى تشيليينغ . وطوال مدة نموه تشكل عملية مكافحة الحشرات امرا فى اقصى درجات الاهمية . وتفحص لجنة الحزب فى الكومونة دائما عمل تعاونية التموين والتسويق ، وتطلب منها ان تقدم فى الوقت المطلوب الرشاشات والمذرات ومبيدات الحشرات .

فى بداية عام ١٩٧٣ ، لاحظت التعاونية ان الرشاشات لم تكن كافية فى فرق الانتاج ، فابتاعت منها ما يزيد عن ٥٠٠ قبل زراعة القطن .

وفى اغسطس ١٩٧٣ ، فقس الجيل الثالث من دود القطن بيضه قبل وقته المعتاد بعشرة ايام . وكان عدد البيض قد وصل الى الذروة فى تاريخ الكومونة . ومواجهة لهذا الخطر الطارئ على حصاد القطن الوافر حشدت لجنة الحزب فى الكومونة كل طاقاتها للمعركة .

عرف امين لجنة الحزب جيو ، الذى كان يتردد الى التعاونية للوقوف على ظروفها ، ان مبيدات الحشرات فيها لم تكن كافية . فقرر العمل بسرعة . وبموافقة السلطات الاعلى قاد عددا من عاملى التعاونية وسافر معهم الى مدينة تشنغتشو لابتياع المبيدات . وبعد يومين

نقلت الى تشيليينغ ٥٠ طنا من مبيدات الحشرات محمولة فى ١٢ جرارا وشاحنة واحدة . ومن ذلك المساء نفسه بدأت فيالق الانتاج تتلقى ما تحتاجه من المبيدات .

وبالاضافة الى ذلك طلبت لجنة الحزب فى الكومونة من التعاونية ان تساعد الفيالق على تنويع الانتاج طبقا لظروفها الخاصة . قبل التحرير لم يكن واحد من الناس يزرع التفاح فى منطقة تشيليينغ ما عدا احد ملاك الاراضى فى قرية نانشيتشوانغ الذى امتلك حوالى مائة شجرة تفاح ، ولم ير تسعة من كل عشرة اشخاص هنا تفاحة ، ناهيك عن تذوق طعمها . ولكن منذ تأسيس الكومونة فى سنة ١٩٥٨ قامت تعاونية التموين والتسويق بشراء اعداد كبيرة من شجيرات التفاح والدراق والاجاص من السلالات الجيدة تبعا للخطة العامة لتوسيع زراعة الفاكهة . والآن يمتلك كل من الـ ٣٨ فيلقا انتاجيا فى الكومونة بستان الفاكهة .

وفى السنوات الاخيرة بدأت الدوائر التجارية التابعة للدولة تعمل على شراء مسحوق قوالحة الذرة الشامية لتصديره . وقام عاملو تعاونية تشيليينغ باجراء تجارب عديدة لمعرفة اى نوع من آلات التكسير يمكنه انتاج احسن صنف من هذا المسحوق . واخيرا اشترت التعاونية ستا من آلات التكسير المتعددة الفوائد من صنع مقاطعة شاندونغ وباعتها لبعض الفيالق . ونتيجة لذلك ، تمكنت التعاونية من انجاز مهمة شراء الكميات المحددة من هذا المسحوق وتقديمها الى الدولة للتصدير ، وفى الوقت نفسه ساعدت الفيالق على تطوير عمل جانبى جديد وزيادة دخلها .

وقد اشترى فيلق تشونغتساوتسون جرارا واحدا بدخله السنوى من بيع مسحوق قوالحة الذرة الشامية .

ان لجنة الحزب فى الكومونة تتبع فى قيادتها للعمل التجارى مبدأ " **تنمية الاقتصاد وضمان التموين** " ، هذا المبدأ الذى وضعه الرئيس ماو قبل الثلاثين عاما . ان التعاونية لا تسعى وراء الارباح رغم انها تربح كثيرا كل عام . ولاكثر من عشرين سنة ظلت توزع جزءا صغيرا من صافى ربحها على اعضاء الكومونة بينما تستخدم الجزء الاعظم منه كأموال متداولة لتوسيع نطاق عملياتها .

رباط قوى لتحالف العمال والفلاحين

منذ مدة بعيدة ظلت اسعار البضائع التى تقدمها الدولة الى المناطق الريفية مستقرة . وتنخفض اسعار بعضها تدريجيا نتيجة لزيادة الانتاج وتخفيض تكاليفه . ويظهر هذا الانخفاض بصفة خاصة فى اسعار مبيدات الحشرات والاسمدة الكيماوية والجرارات ومحركات الديزل وغيرها من وسائل الانتاج الزراعى . وفى نفس الوقت ترفع الدولة اسعار شراء المنتجات الزراعية .

الجداول ادناه توضح انخفاض اسعار بعض البضائع الصناعية وارتفاع اسعار شراء القطن .

١ – التخفيض فى اسعار مبيدات الحشرات والاسمدة الكيماوية

(عام ١٩٦١ = ١٠٠)

	١٩٦٤	١٩٧٠	١٩٧١–١٩٧٣
المبيدات العالية الفعالية			
رقم ١٠٥٩	٧١	٢٦	٢٢
مسحوق " ٦٦٦ "	٩٢	٧١	٦٣
يوريا	٧٦	٧٦	٦٨
نترات الامونيوم	٨١	٨١	٧٥
سلفات الامونيوم	٩١	٩١	٨٢

وبالمقارنة مع عام ١٩٦١ هبطت هذه الاسعار بنسبة ١٨٪ الى ٧٨٪ فى عام ١٩٧٣ .

٢ – التخفيض فى اسعار الجرارات ومحركات الديزل

(عام ١٩٥٣ او عام ١٩٦٠ = ١٠٠)

	١٩٥٣	١٩٦٠	١٩٧٣
الجرار البسيط بطراز " عامل – فلاح ٧ "	–	١٠٠	٤٨
الجرار بطراز " الشرق احمر – ٢٨ "	–	١٠٠	٥٠
محرك الديزل بقوة ٢٠ حصانا	١٠٠	–	٢٥

كان سعر هذين النوعين من الجرارات فى عام ١٩٧٣ نصف سعرهما فى عام ١٩٦٠ . وكانت محركات الديزل فى عام ١٩٧٣ ارخص بمقدار ٧٥٪ مما كانت عليه فى عام ١٩٥٣ .

٣ ـ الزيادة فى اسعار شراء القطن المحلوج القياسى

(عام ١٩٦٣ = ١٠٠)

١٩٦٤	١١٢
١٩٦٨	١٢٤
١٩٧٠	١٢٨
١٩٧٣–٧٢	١٢٩

وقد زاد سعر شراء القطن المحلوج القياسى فى تشيلينغ اليوم بنسبة ٢٩٪ بالمقارنة مع سعره فى عام ١٩٦٣ ، وزاد سعر القمح بنسبة ٩٪ بالمقارنة مع سعره فى عام ١٩٦١ .

ان التخفيضات المتكررة فى اسعار المبيدات والاسمدة الكيماوية خلال العشر سنوات الماضية قد مكنت سكان تشيلينغ من توفير ٦٠٠ الف يوان على الاقل من تكاليف الانتاج كل سنة . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، زادوا من دخلهم بسبب ان الدولة رفعت اسعار شراء

المنتجات الزراعية فى نفس الفترة ، وفى عام ١٩٧٣ بلغت هذه الزيادة حوالى ٩٠٠ الف يوان بعد ان باعوا للدولة القطن وحصتهم المحددة من الحبوب (لا تشمل الحبوب الفائضة المبيعة) .

ان التخفيض فى اسعار البضائع مع الزيادة فى اسعار شراء المحاصيل الزراعية قد اضاف ٢٨ يوان بالمتوسط الى الدخل السنوى لكل عضو من اعضاء الكومونة ـ هذا المبلغ الذى يعادل الدخل الشهرى لرجل سليم الجسم يعمل فى الزراعة .

ان الدولة عندما تخفض اسعار البيع لبعض المنتجات الصناعية وترفع اسعار الشراء للمحاصيل الزراعية انما تهدف من وراء ذلك الى تغيير الفوارق غير المعقولة بين الاسعار المرتفعة للمنتجات الصناعية والاسعار المنخفضة للمحاصيل الزراعية ، تلك الفوارق التى خلفها المجتمع القديم ، وتهدف الى تغيير علاقة الضدين القديمة بين المدينة والقرية تغييرا جذريا ومساعدة الفلاحين على تطوير الانتاج وتحسين احوال معيشتهم وتقليل الفوارق بين المدن والمناطق الريفية تدريجيا . ومن اجل تقديم المزيد من العون الى الزراعة تضع الدولة اسعارا مفضلة لزيت الديزل والطاقة الكهربائية التى تستخدم فى الانتاج الزراعى . وعلى سبيل المثال فان سعر زيت الديزل المستخدم فى الزراعة يقل بمقدار ٣٠٪ عن سعر نفس الزيت المستخدم فى الصناعة .

لقد دعمت هذه الاجراءات التحالف بين الطبقتين الشغيلتين ، العمال والفلاحين تدعيما كبيرا .

بين الدولة واعضاء الكومونة

ان جزءا هاما من تجارة تشيلبينغ بين الدولة واعضاء الكومونة وبين الدولة والمنظمات الجماعية التى تمثل الاعضاء لا يجرى بواسطة تعاونية التموين والتسويق ، بل بواسطة محطتين للشراء احداهما للقطن والثانية للحبوب والمحاصيل الزيتية . وتقع هاتان المحطتان مثل التعاونية تحت القيادة المزدوجة – قيادة الكومونة ومكتب التجارة لمحافظة شينشيانغ .

قبل عام ١٩٦٥ لم تكن تشيلبينغ قادرة على زراعة ما يسد حاجتها من الحبوب ، وكان الفلاحون يبيعون للدولة القطن والمحاصيل الزيتية فقط ، ويشترون منها كميات كبيرة من الحبوب . فى سنة ١٩٦١ العصيبة اشترت الدولة ٥ر٩٨ مليون جين من الذرة الشامية من المناطق الاخرى وباعتها لاعضاء كومونة تشيلبينغ بثمن اقل من تكاليفها . وقد قدر الاعضاء هذه الخسارة فوجدوها مساوية لمعونة تبلغ ١ر٤٧ مليون يوان من قبل الدولة بحيث شعروا بتأنيب ضمائرهم لما القوه على كاهل الدولة من الاعباء الثقيلة . فبذلوا جهودا جبارة لتغيير هذا الوضع ، وتمكنوا فى عام ١٩٦٥ من انتاج ما يكفيهم من الحبوب . ومنذ عام ١٩٦٦ فصاعدا بدأوا يبيعون كل سنة جزءا من الحبوب للدولة .

ان القطن والحبوب والمحاصيل الزيتية هى منتجات مخصصة لشراء الدولة . وتبيع كومونة تشيلبينغ كل القطن للدولة ما عدا الكميات

التى تبقى للاستخدام فى الانتاج ولسد حاجة اعضاء الكومونة . وفيما يتعلق بالحبوب تحدد الدولة لكل منطقة وكومونة على اساس ظروفها الواقعية حصة الحبوب التى تريد شراءها منها . وفى السنوات العادية تشترى الدولة الحبوب وفقا لهذه الحصة المحددة . والغرض من ذلك هو انجاز عمل شراء الحبوب وتموين السكان بها حسب خطة مرسومة . ومن اجل تشجيع اعضاء الكومونة لبيع مزيد من الحبوب على اساس زيادة الانتاج ، تشترى الدولة بالسعر الاعلى تلك الحبوب المبيعة التى تفيض عن الحصة المحددة . وينطبق نفس النظام على شراء المحاصيل الزيتية .

ان اعضاء كومونة تشيلبينغ يعرفون من خبرتهم الذاتية ان الدولة التى تقودها الطبقة العاملة تمثل مصالحهم الحيوية ، فيبذلون كل ما فى وسعهم لزيادة الانتاج وبيع مزيد من القطن والحبوب والمحاصيل الزيتية لها من اجل دعم المناطق المدنية وتغطية حاجة البناء الاشتراكى والشعب . والارقام المذكورة ادناه توضح مساهمات تشيلبينغ المتزايدة خلال السنوات الاخيرة .

الزيادة فى حجم مبيعات تشيلبينغ من الحبوب والقطن
والمحاصيل الزيتية الى الدولة
(الوحدة : جين)

	الحبوب	القطن	المحاصيل الزيتية
١٩٦٧	٢ر٣٠٠ر٠٠٠	٢ر٩٥٣ر٣٠٠	٢٩٠ر٠٠٠
١٩٦٩	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٤ر١٠٠ر٠٠٠	٣٧٠ر٠٠٠
١٩٧٣	١١ر٧٠٠ر٠٠٠	٤ر٦٥٠ر٠٠٠	٤٥٠ر٠٠٠

فى صيف ١٩٧٢ باع فيلق سونغتشوانغ للدولة زيادة عن الحصة المحددة له من القمح بمقدار ١٠ آلاف جين ، فدفعت له محطة الشراء مبلغا مفضلا يزيد على ٤٠٠ يوان بالاضافة الى ما دفع له حسب السعر العادى ، وهذا يعتبر نوعا من التشجيع .

ولكن امين فرع الحزب تشى جيو وانغ رفض قبول هذا المبلغ عملا بالرأى الاجماعى لكومونيى سونغتشـوانغ وهو يقـول " فى الماضى استهلكنا نحن اهالى سونغتشوانغ كميات ضخمة من الحبوب باعتها الدولة لنا بثمن منخفض . والآن لم نبع لها الا كمية ضئيلة من الحبوب الفائضة فكيف يمكننا ان نتسلم منها نقودا اكثر ؟ " فأعاد النقود الى محطة الشراء .

اثنى الرفاق القياديون من المحافظة على فيلق سونغتشوانغ لروحه الشيوعية السامية . ولكنهم فى الوقت نفسه اصروا على ان يقبل سونغتشوانغ هذا المبلغ لأن ذلك سياسة الدولة لتشجيع بيع الحبوب الفائضة ، وهم يشرحون قائلين : " ان لم تقبلوا هذه النقود فانكم تخالفون سياسة

الدولة . " هكذا اقتنع فيلق سونغتشوانغ بقبولها اخيرا .

فى الصين الجديدة يؤيد ويشجع الحزب والحكومة الافكار والروح الشيوعية ، غير انهما يلتزمان فى المجال الاقتصادى بالسياسات المعلنة لمرحلة التطور الاشتراكية ، بما فيها مبدأ " من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله " والمكافأة المادية الملائمة على اساس وضع السياسة فى مقام القيادة ، ذلك لأن الصين ما زالت دولة نامية فى المرحلة الاشتراكية ، بعيدة جدا عن الشيوعية – هذا الهدف النهائى الذى تسعى لتحقيقه .

يهتم اعضاء كومونة تشيليينغ اهتماما كبيرا بضمان النوعية العالية للحبوب والقطن والمحاصيل الزيتية التى يبيعونها للدولة . فى عام ١٩٧٣ احرزت تشيليينغ حصادا وافرا من القمح ، ودعت لجنة الحزب فى الكومونة كل فرقة من فرق الانتاج ان تبيع للدولة احسن ما عندها من الحبوب . وعندما سمع امين لجنة الحزب جيو ان الفرقة الحادية عشرة لفيلق ليوديان الانتاجى قد باعت بعض القمح الردىء النوعية فوجئ بذلك كثيرا ، اذ ان جميع كوادر كومونة تشيليينغ واعضائها فهموا منذ مدة بعيدة حقيقة ان نوعية المبيعات تعكس موقف المرء تجاه الدولة الاشتراكية .

واستعلم الامين جيو هذا الامر بالهاتف فورا ، وعرف ان هذه الفرقة الانتاجية قامت بالزراعة المتداخلة بين القطن والقمح فى قطعة من حقولها ، وعندما وجدت ان القطن لم ينم جيدا مثل القمح الذى كان يمتص كثيرا من الماء والسماد ، حصدت القمح قبل ميعاده

المقرر ببضعة ايام لكى ينمو القطن نموا احسن ، ثم اخذت هذا القمح الى محطة الشراء راجية انجاز مهمة البيع بسرعة . ولكن نوعيته كانت رديئة بسبب حصاده المبكر ، وهذا ما حدا فرع الحزب لفيلق ليوديان على القيام بالنقد الذاتى امام محطة الشراء وهو يصر على استبدال القمح العالى النوعية بذلك القمح الردىء النوعية .

ان النوعية تكون اكثر اهمية بالنسبة الى القطن . ويقسم القطن حسب مقاييس الدولة الحالية الى سبع درجات تستخدم للاغراض المختلفة ، لهذا يختلف سعر كل درجة اختلافا كبيرا عن سعر الدرجة الاخرى .

منذ عام ١٩٧٠ ، ظلت محطة شراء القطن تعمل على هدى مبدأ " تحديد الدرجات بواسطة الفيلق والفحص من قبل المحطة " . وهذا يعنى ان المحطة تدرب عددا من اعضاء الكومونة فى كل فيلق يتكلفون عمل تحديد درجات القطن ووزنه . وبعد ذلك تقوم المحطة بفحص جزء صغير منه فقط . ومن شأن هذا ان يضاعف من سرعة شراء القطن . وقد برهنت الخبرة على ان تحديد الدرجات والوزن بواسطة الفيالق نفسها امر يعتمد عليه بصورة عامة .

كانت كل التجارة فى الصين القديمة باستثناء عمليات المبادلة المباشرة بين الشغيلة ، عبارة عن الاستغلال والاضطهاد والخداع ازاء الشعب الكادح . اما فى الصين الجديدة فقد تم استئصال نظام استغلال الانسان للانسان من جذوره . ورغم ان عملية البيع والشراء لا تزال

موجودة الا ان طبيعتها قد تغيرت تماما . والارباح التى تجنيها المؤسسات الاشتراكية تستخدم لمصلحة الشعب . وفى ارياف الصين اليوم ، تجسد التجارة بين الدولة واعضاء الكومونة وبين الدولة والمنظمات الجماعية التى تمثل الاعضاء ، علاقاتهم الجديدة المتصفة بروح الاعتماد والعون والثقة المتبادلة ، والقائمة على اساس مصلحتهم المشتركة .

يانغ تسنغ مى المحاسب لمحطة شراء القطن فى تشيلينغ عمل لمدة عامين قبل التحرير فى حانوت للقطن والحبوب ، وما زال يتذكر حتى الآن كيف كان صاحبه ، من اجل الحصول على مزيد من الارباح ، يخفض سعر القطن الذى اشتراه من الفلاحين ، ويستخدم الحيل المتنوعة فى تحديد درجاته ووزنه . بيد انه عندما باع القطن لزبائنه امر يانغ تسنغ مى وغيره من الاجراء برش القطن بالماء وخلط بذور القطن به لزيادة وزنه .

عندما قارن يانغ تسنغ مى الاستغلال والخداع اللذين كان الفلاحون يتعرضون لهما فى مجال التجارة فى المجتمع القديم بالثقة العميقة التى تبديها الآن محطة شراء القطن تجاه الجماهير ، قال بتأثر : "كيف يمكن للمرء ان يضع المجتمع الجديد والمجتمع القديم فى نفس المقام ؟ ان الفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا ! "

٧

مدرسة تقنية زراعية

فى حجرة درس متواضعة جلس خمسون طالبا وراء مكاتب خشبية غير مدهونة يستمعون الى درس تلقيه شابة . ويمكن للمرء ان يعرف بمجرد لمحة عن عضلاتهم المفتولة وبشرتهم السمراء بسبب لفحة الشمس انهم من الفلاحين الشباب . كانوا يستمعون الى كلمات المعلمة بانتباه شديد ويدونون ملاحظاتها بعناية فائقة .

هذه المعلمة هى ليوى شيوه رونغ ، لم يزد عمرها عن ٢٣ عاما ولم تكن تكبر طلابها كثيرا ، انها فتاة ذات شعر قصير ترتسم على وجهها الاسمر ابتسامة مشرقة ، وتجيب على اسئلتهم بوضوح واختصار . كان موضوع محاضرتها فى ذلك اليوم هو « ادارة شجيرات القطن فى مرحلة نموها الاخيرة » . الا ان اكثر شيء اهتم الطلاب بالسؤال عنه كان تجربة اجرتها فى عام ١٩٧١ واحرزت بها حصادا شاذا بلغ انتاجه ٣٥٨ جين من القطن المحلوج على بقعة تجريبية مساحتها مو واحد .

رغم ان حجرة الدرس هذه بسيطة جدا ــ النصف الاعلى من حيطانها مبنى من اللبن ــ الا انها تستخدم كذلك كقاعة للطعام ،

كما تكدست فى احد اركانها عشرات العوارض الخشبية المعدة لبناء الابنية الجديدة . وخارج حجرة الدرس ميدان لكرة السلة تقف على كل طرف من طرفيه شجرتان من الصفصاف ثبتت عليهما الواح خشبية محلية الصنع .

هذه هى المدرسة التقنية الزراعية التابعة لكومونة تشيليينغ . والطلاب الملتحقون بها فى الوقت الحاضر والبالغ عددهم ٦١ جاء ثلثاهم من كومونات اخرى فى هذه المحافظة . وكانت ليوى شيوه رونغ نفسها واحدة من الدفعة الاولى من الخريجين فى هذه المدرسة . وبعد تخرجها عملت اربع سنوات كتقنية زراعية فى حقل " العلم الاحمر " التجريبى الذى تفقده الرئيس ماو فى عام ١٩٥٨ .

بالاضافة الى الاشخاص الذين يدعون للتدريس فى المدرسة لفترات قصيرة مثل ليوى شيوه رونغ ، يوجد فيها ثلاثة عشر معلما غير متفرغ ، احدهم ليوى شو موه امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيليينغ ، والذى ظل يقود الفلاحين لاكثر من عشرين عاما فى السير بحزم على الطريق الاشتراكى وهو قائد جيد تقبله الجماهير بالاجماع . كان ليوى شو موه مندوبا فى كل من المؤتمرين الوطنيين التاسع والعاشر للحزب الشيوعى الصينى . وتدور معظم محاضراته فى اغلب الاحيان حول مسألة الصراع الطبقى والنضال بين الطريقين الاشتراكى والرأسمالى فى الريف .

والآخر من هؤلاء المعلمين غير المتفرغين هو لى آن رن الخبير

الفلاح الملقب بـ "عدو الحشرات الضارة" فى قرية ليوتشوانغ . وموضوع محاضراته هو زراعة القطن ومكافحة الحشرات .

والثالث تشى جيو وانغ امين فرع الحزب فى فيلق سونغتشوانغ وهو مشهور بمهارته فى تربية سلالات القمح الجيدة . ومنذ وقت بعيد يرجع الى عام ١٩٦١ ، حين احضر من خارج الفيلق ثلاثة جين من بذور القمح الجيدة ، ظل يسير فى المقدمة فى تربية سلالات القمح الجيدة وتكثيرها وتعميمها وتجربة زراعتها . انه لا يعلم الطلاب تربية وزراعة سلالات القمح الجيدة وحسب ، بل يعلمهم كذلك كيفية الاستعانة بأفكار ماو تسيتونغ فى ارشاد الزراعة بالطرق العلمية .

ان تشى تشاو شنغ ، وهو باحث من معهد الابحاث العلمية الخاصة بوقاية النباتات التابع لاكاديمية العلوم الزراعية الصينية ، يبلغ عمره ٦٣ سنة ويدعى الى المدرسة التقنية الزراعية لالقاء المحاضرات كل عام . وقد تبنى هذا المعهد تشيليينغ كواحدة من قواعده لاجراء البحوث العلمية . ان تشى تشاو شنغ يدرس الطلاب القوانين التى تتحكم فى حياة دود القطن ودود اللوز ، وكيفية السيطرة الكيماوية على هذه الحشرات .

غير ان معظم الحصص يقوم بالتدريس فيها المعلمان المتفرغان فى المدرسة . واكبرهما سنا خريج فى كلية الاحياء بجامعة بكين للمعلمين فى عام ١٩٣٧ ومتخصص فى البحث الزراعى والتدريس ، يحاضر حول زراعة القطن والقمح وتربية سلالاتهما الجيدة بالطرق العلمية .

والثانى كان باحثا لمعهد الابحاث العلمية الزراعية فى ولاية شينشيانغ ، ويقوم الآن بالتدريس حول وقاية النباتات .

ان مواضيع المحاضرات التى يدرسها المعلمون المتفرغون وغير المتفرغين لا تختلف كثيرا فى معظم الحالات ، مع الفرق بأن المعلمين غير المتفرغين يركزون على التقنية والخبرة المحلية المتقدمة ذات الفائدة العملية المباشرة للطلاب ، بينما المعلمون المتفرغون يركزون على معارف العلوم الزراعية وقوانينها ويقدمون الدروس النظرية لتكملة ما يدرسه المعلمون غير المتفرغين .

تبعا للمقاييس العرفية القديمة تبدو هذه المدرسة "غير نظامية" ، لكنها دربت التقنيين الزراعيين الذين يشكلون حاجة ملحة لدى هذه المناطق . وكان الفلاحون المسنون يرددون انه بالرغم من ان الطلاب لم يمكثوا فى المدرسة سوى مدة قصيرة غير انهم تعلموا كثيرا ، وعليه فان المدرسة ناجحة ؛ وكان الكوادر يمدحون الخريجين قائلين بأنهم جيدون يعلمون بالمعرفة النظرية والممارسة العملية وينشطون متقدمين فى ممارسة الزراعة بالطرق العلمية .

وليدة الثورة الثقافية الكبرى

حالما يتحدث الناس عن تاريخ المدرسة الزراعية يربطونه بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . وفى حقيقة الامر فان هذه المدرسة انما احدى ثمارها .

عندما حل ابريل ١٩٦٧ قدمت الى تشيليينغ جماعة صغيرة من الحرس الاحمر من جامعة بكين الزراعية . وهى جماعة ضئيلة من بين ملايين افراد الحرس الاحمر الذين كانوا يجوبون البلاد طولا وعرضا لبذر بذور الثورة وتبادل الخبرات . ومكثوا فى تشيليينغ فترة قصيرة ثم واصلوا مسيرتهم . ولكن عادوا اليها فى نوفمبر من نفس العام ومعهم اكثر من ثلاثين طالبا ومعلما متخذين هذه المنطقة كنقطة تجريبية للثورة التعليمية . وعلى وجه التحديد كانوا يبحثون عن الوسائل الملائمة لتغيير نظام التعليم القديم اللامعقول المتمثل فى اقامة المدارس والمعاهد الزراعية فى المدن الكبرى بعيدا عن الريف ، وانعزال المواد الدراسية عن التطبيق والممارسة ، وابتعادها عن تأمين الحاجيات الملحة لتطوير الزراعة ، وسيطرة المثقفين البرجوازيين على المدارس ... لقد صمموا ، طبقا لسياسة الرئيس ماو التعليمية ، على السير فى طريق انشاء مدارس زراعية من نوع جديد فى تشيليينغ .

وقد منحهم ليوى شو موه امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيليينغ تأييده الحار ، اذ كانت هذه المنطقة بحاجة ملحة الى تدريب تقنيين وكوادر ملمين بالمعارف النظرية يعتمد عليهم فى تعميم الزراعة بالطرق العلمية . وبعد التشاور تقرر تأسيس مدرسة

تقنية زراعية يديرها الفلاحون الفقراء والادنى متوسطين (١) ، ويقوم بالتدريس فيها كوادر الكومونة والفيالق والفلاحون المسنون المحليون وبعض المعلمين من جامعة بكين الزراعية .

بعد اجراء بعض الاستعدادات فتحت المدرسة ابوابها فى يناير ١٩٦٨ . كانت الدفعة الاولى من الملتحقين بها تضم نحو ستين طالبا ، نصفهم من الفلاحين الشباب الذين تلقوا التعليم الابتدائى او الاعدادى ورشحتهم الفرق الانتاجية التابعة لفيلق تشيليينغ . اما النصف الآخر فقد كان يتشكل من طلاب جامعة بكين الزراعية . وكانت الفترة الدراسية سنة واحدة يتسلم خلالها الفلاحون الطلاب نقاط العمل التى تحدد دخلهم فى فرقهم الانتاجية .

كان الاسبوعان الاولان مخصصين لخلق الدوافع الضرورية للدراسة ، حيث تحدث الى الطلاب امين فرع الحزب العام ليوى شو موه حول هدف المدرسة ومبادئها ، وقدم لهم مندوبو الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين محاضرات للمقارنة بين الآلام الماضية والسعادة

---

(١) المقصود هنا الانتماء الطبقى لأعضاء الكومونة الذى تم تحديده فى اثناء الاصلاح الزراعى وتأسيس التعاونيات الزراعية ، وليس الوضع الاقتصادى الحالى لهم . ان الاعتماد على الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين والاتحاد مع الفلاحين المتوسطين يشكل الخط الطبقى الذى يطبقه الحزب الشيوعى الصينى فى كافة ارياف الصين لمدة طويلة .

الحاضرة ، وقام الطلاب بزيارة معرض التثقيف الطبقى فى قرية باليوشو ، وعقب كل نشاط من هذه النشاطات كانت تجرى المناقشات بين الطلاب على شكل فرق .

ما زال افراد تلك الدفعة يتذكرون بوضوح كيف كان ليو فانغ ون وهو واحد من الفلاحين الفقراء المسنين يحثهم على الدراسة بجد واجتهاد والدموع تنهمر من عينيه وهو يتطرق فى حديثه للمحن والمصائب التى عانى منها فى المجتمع القديم ، فقد اخبرهم ان الشغيلة فى الماضى لم تكن لديهم اية فرصة للتعليم ، وانه هو نفسه لم يدخل مدرسة فى حياته حتى ليوم واحد . وعندما صار امينا للمخزن فى فيلقه الانتاجى بعد التحرير ، كان يرسم على الجدار علامات يتذكر بها عدد الادوات الزراعية لانه لم يكن يعرف الكتابة .

بعد نصف عام من ذلك قررت الكومونة ان تضع المدرسة تحت قيادتها بغية تدريب تقنيين زراعيين لكل المنطقة . فأضيف الى المدرسة اكثر من سبعين طالبا من مختلف الفيالق . بعد ذلك استدعى طلاب ومعلمو الجامعة الزراعية الى بكين لينخرطوا فى عمل المرحلة القادمة من الثورة الثقافية الكبرى .

الاعتماد على النفس والعمل الشاق

كانت المدرسة فى البدء تتخذ الابنية العامة المستعارة من فيلق تشيليينغ حجرات درس وغرفا سكنية لها ، فى ذلك الوقت لم يكن للمدرسة ان

تملك الحجرة ولا الارض ولا الدخل الخاص بها ، فلا يمكنها ان تحل مشكلة المصروفات بنفسها . وكان عدم وجود قاعدة للمدرسة يشكل عائقا فى الدراسة والتدريس والتجربة العلمية .

غير ان ليوى مينغ دينغ وتشانغ قوى لين مندوبى الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين فى مجلس ادارة المدرسة وبعض المبادرين من المعلمين والطلاب قد استلفتت نظرهم منذ مدة من الزمان قطعة ارض بور قرب قرية سونغتشوانغ . فقرروا تحت تأييد قيادة الكومونة ان يحذوا حذو روح الكلية الحربية والسياسية ضد اليابان فى يانآن ايام حرب مقاومة اليابان ، فنظموا الطلاب والمعلمين لاستصلاح هذه الارض وبنوا فيها " قاعدة دراسية " بسواعدهم .

فى اوائل ربيع ١٩٦٩ ، بعد فترة قصيرة من ذوبان الجليد ، بدأت المعركة الزراعية فى هذه الارض الجرداء . وعبر العمل الشاق لمدة اسبوعين استصلح جميع المعلمين والطلاب بأدوات مستعارة من الفيلق حوالى ٣٠ مو من الاراضى البور ثم زرعوا القطن والذرة الشامية . وفى اغسطس بذلوا جهودهم لحفر بئر ارتوازية وبناء عشر حجرات للمدرسة ، وقد استغرق هذا العمل اسبوعين كذلك . قبلها كان معظمهم يعسكرون فى ثلاث خيام كبيرة استعيرت من محطة شراء القطن التابعة للدولة فى مقر الكومونة ، وكان المعلمون يلقون الدروس تحت ظلال الاشجار عندما كان الطقس جيدا .

ان العمل الشاق والظروف القاسية اختبار للجميع . كان بعض

الطلاب يخامرهم الشك فيما اذا كانت هذه هى الطريقة الصحيحة لادارة المدرسة ، فشكوا بأن المدرسة كان ينقصها معظم الاشياء اللازمة للدراسة وانهم صرفوا اياما اكثر من اللازم فى العمل الجسمانى ، وكان الشبه قليلا بين مدرستهم والمدارس الحقيقية . وظنوا انه من الافضل ان يعودوا الى العمل فى فيالقهم الانتاجية . بيد ان اغلبيتهم كانت لا توافق على هذه الآراء ، اذ رأت ان اتجاه المدرسة صحيح لأنها نشأت على نسق الكلية الحربية والسياسية ضد اليابان بالاعتماد على نفسها وعملها الشاق ، وان المدرسة من هذا النوع هى ، بالنظر الى المستقبل ، سوف تدرب التقنيين الزراعيين الذين يحتاج اليهم ريف الصين الاشتراكى وتسهم فى رفاه السكان لاجيال قادمة فى هذه المنطقة . وقد قدمت قيادة المدرسة عن عمد وجهتى النظر هاتين للمناقشة العامة وسط الطلاب بالكلام والصحف الحائطية الكبيرة المقاطع "داتسبياو" . لقد عبر عدد كبير من الطلاب عن اخلاصهم وحماستهم قائلين : "نود ان نكون حجارة يرصف بها الطريق الى الامام" ، "نريد ان نكون روادا للثورة التعليمية" . واقسم تشانغ قوى لين بتأثر بالغ فى احد الاجتماعات بأن يكرس كل حياته حتى تواصل المدرسة تقدمها الى الامام .

فى عام ١٩٧٠ وفيما عدا بعض المنشآت الاساسية التى لا تزال تمول من مال الكومونة ، استطاعت المدرسة ان تعتمد على نفسها . كان دخلها يأتى من غلال الخمسين مو من الارض التى تملكها .

وبدخلها الذى حصلت عليه من محصولها الوافر من القطن فى سنة ١٩٧١ ، بنت حجرة الدرس الكبيرة الحالية .

الدراسة والعمل والتجربة العلمية

تم توطيد المدرسة بالتدريج خلال السنوات القلائل الماضية . وظل ليوى شو موه امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيلبينغ وتيان شيو تشينغ الامين الاول للجنة الحزب فى الكومونة يتوليان منصب مدير المدرسة ونائب مديرها ، كما ان شى لاى خه وتشى جيو وانغ امينى فرعى الحزب فى ليوتشوانغ وسونغتشوانغ نائبان آخران للمدير . ويتحمل تشانغ قوى لين مندوب الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين وكادر آخر مسؤولية ادارة العمل اليومى .

وان نسبة ما يخصص من الوقت للدروس المختلفة هى : للسياسة ٢٠ ٪ وللعمل الجسمانى ٢٥ – ٣٠ ٪ وللعلوم الزراعية ٥٠ – ٥٥ ٪ .

فضلا عن ذلك فان المواد الدراسية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالانتاج تدمج النظرية فى الممارسة العملية . وبرنامج الدراسة والعمل يتوقف تحديده على الموسم الزراعى . مثلا ، بغرض التحضير لنثر بذور القطن فى ربيع ١٩٧٣ اصطحب المعلمون طلابهم الى ليوتشوانغ حيث طلبوا من امين فرع الحزب شى لاى خه وهو المشهور بزراعة القطن ان يحدثهم حول هذا العمل . وبعد عودتهم الى المدرسة قدم لهم المعلمون المتفرغون اربعة دروس حول معالجة بذور القطن ، وفحص رطوبة التربة الفوقية

وتسوية الحقول ، ونثر البذور ، والخطوات الواجب اتخاذها لضمان الانبات التام لشتلات القطن . ثم انغمس الطلاب فى التحضير والبذر فى الـ ٥٠ مو من الارض التى تملكها المدرسة وفى حقول الفيالق .

هذا ويشرف المعلمون المتفرغون على تحرير المواد الدراسية فى المدرسة ، اذ ان هؤلاء المعلمين يأخذون طلابهم الى فيالق انتاج متقدمة حيث يناقشون بعض الفلاحين المسنين ذوى الخبرة والكوادر التقنيين فى هيكل عام للمواد الدراسية . وبعد انتهائهم من تأليف المسودة يأخذونها الى هذه الفيالق لطلب مزيد من الرأى حولها . ولا يتم وضع المواد الدراسية فى صيغتها النهائية الا بعد المناقشة فى اجتماع يحضره الفلاحون المجربون المسنون والكوادر التقنيون ، حيث تقرأ المواد للجميع وتجرى دراستها ومراجعتها والموافقة عليها فقرة فقرة . وفى عام ١٩٧١ ، تم تأليف وطبع ثلاثة كتب مدرسية حول زراعة القطن والقمح ووقاية النباتات ، ثم اعيد طبعها فى عام ١٩٧٣ بعد تنقيحها على ضوء التقنية والخبرة المحلية الجديدة .

وتقوم المدرسة بتوجيه وتشجيع الطلاب فى اجراء التجربة العلمية . فى حقل القطن التجريبى للمدرسة زرعت اكثر من ٩٠ نوعا من القطن ، منها ست سلالات جديدة رباها وهجنها الطلاب بأنفسهم . وانواع القمح الذى زرعوه على سبيل التجربة لا يقل عددها عن مائة نوع . اما دروس وقاية النباتات فتتركز على مكافحة وابادة حشرات القطن باستعمال الوسائل المتعددة كمبيدات الحشرات والاساليب البيولوجية

وصيد الحشرات بفخ وقبضها باليد . ومن شأن هذه الاجراءات ان تسهم فى خفض تكاليف هذا العمل فى الفيالق الى اكثر من النصف .

تدريب فلاحين من نوع جديد

تسعى المدرسة التقنية الزراعية الى تنفيذ المبادئ التالية :

١ – خدمة الانتاج الزراعى وبناء ريف اشتراكى جديد .

٢ – التركيز على التربية السياسية والايديولوجية ووضع الاتجاه السياسى الثابت الصحيح فى المقدمة فى جميع الاعمال .

٣ – ربط النظرية بالممارسة العملية ، وتنفيذ الاندماج الثلاثى بين الدراسة والعمل والتجربة العلمية .

٤ – المثابرة على التقليد الثورى – تقليد الاعتماد على النفس والعمل الشاق ، وممارسة الاجتهاد والاقتصاد فى ادارة المدرسة .

ولان المدرسة نفذت هذه المبادئ فقد نجحت فى تدريب اعداد كبيرة من الفلاحين المثقفين والتقنيين الزراعيين والكوادر المسلحين بالوعى الاشتراكى والمعرفة العلمية وذلك بصورة اعظم واسرع وافضل واكثر اقتصادا . وحتى سنة ١٩٧٣ تخرج منها ٢٠٤ طلاب يتولون الآن المناصب التالية :

كوادر قياديون لفيالق الانتاج وعددهم ٣٩

رؤساء لاقسام التقنية الزراعية فى الفيالق وبيطريون وعددهم ٦٦

رؤساء لفرق الانتاج وعددهم ٢١
تقنيون زراعيون فى الفرق الانتاجية وعددهم ٣١
منضمون الى جيش التحرير الشعبى الصينى وعددهم ٢٠
تقنيون زراعيون يعملون فى الكومونات الاخرى وعددهم ١٣
مشتغلون بأعمال اخرى وعددهم ١٤

وليوى شيوه رونغ المعلمة المذكورة آنفا هى واحدة من هؤلاء الـ ٢٠٤ خريجين . انها لم تكن تعرف قبل التحاقها بالمدرسة الا قليلا من المعارف الزراعية ولا تفعل اكثر مما يقول لها رئيس الفرقة . فلنأخذ رش شجيرات القطن بمبيدات الحشرات على سبيل المثال : كانت تعرف ان ذلك من اجل مكافحة الحشرات ، ولكن لا تعرف ما هى الحشرات التى تكافحها ، وما هو قانون حياة هذه الحشرات ، واى وقت مناسب لاستخدام المبيدات . واحيانا لاحظت انها استخدمت قدرما استخدمته الفرق المجاورة من المبيدات ، بيد ان الحشرات لم تتأثر بل دمرت المزيد من النباتات . فصارت حائرة من ذلك دون ان تعرف سببه .

وبعد الدراسة فى المدرسة اصبحت ليوى شيوه رونغ تفهم ما كان غامضا لها ، فقد وجدت الوسائل لحل المسائل التى كانت مستعصية عليها . ولم تكتف بذلك بل جمعت ما بين النظرية التى تعلمتها فى المدرسة وبين خبرة الفلاحين المسنين الغنية ، فأدخلت بعض الابتكارات والتجديدات فى زراعة القطن والقضاء على آفات القطن . لقد ابتكرت على

سبيل المثال طريقة "حفر الاخدود لكشف الجذور" فى حل مسألة ذبول النباتات .

فى ربيع ١٩٦٩ اى بعد التخرج من المدرسة بفترة قصيرة وجدت ليوى شيوه رونغ بعض شتلات القطن فى الحقل التجريبى ذابلة عندما بلغ ارتفاعها حوالى ثلاث بوصات . فاستفسرت بعض الفلاحين المسنين عن ذلك وربطت بين آرائهم وما تعلمته حديثا من المعرفة فى المدرسة وتأكدت من ان هذا هو مرض الذبول . كان هذا المرض يحدث عند جذور القطن ويهدد نمو الشتلات بشدة . وبغية العلاج تتخذ طريقة الحراثة المتكررة فى فترة نمو القطن ، الا انها لم تحظ بنتيجة مرضية .

بدأت ليوى شيوه رونغ تمحص هذا الامر ، وعادت بذاكرتها الى شىء تعلمته فى المدرسة وهو ان الحراثة فى المرحلة الاولى للنمو من شأنها درء خطر امراض القطن وحشراته ، وذلك يرجع الى رفع درجة حرارة التربة وتقليل كمية الرطوبة للتربة السطحية . فأصبح هذا مدخلا لها ، وتساءلت : الا يكون من الافضل ازالة التربة السطحية من حول جذور الشتلات المريضة ؟

حاولت هذه الطريقة فى مجموعة من شجيرات القطن المريضة بدرجات متفاوتة ، فأزالت التربة السطحية من حول كل واحدة منها الى ان ظهرت جذورها . وفى اليوم التالى انتعشت الشجيرات التى كانت اوراقها ذابلة . وبعد عدة ايام راحت الشجيرات ذات الاصابة الخطيرة تنتعش ايضا ، مما جعل طريقة ليوى شيوه رونغ هذه تعمم فى

فيالق عديدة من كومونة تشيليينغ .

فى يوم من ايام الربيع عام ١٩٧٣ استخدم رجال حقل "العلم الاحمر" التجريبى للكومونة هذه الطريقة للقضاء على مرض الذبول فى بقعة مساحتها عشرة مو . وفى مساء اليوم ذاته هبت فجأة رياح شديدة . ولم يغمض جفن لليوى شيوه رونغ طول الليل خوفا من ان تقلع الرياح الشجيرات قبل ان تتعش ، وهذا ما حدث بالفعل . ومن هنا كشفت عن نقطة ضعف فى طريقتها .

وبمساعدة الفلاحين المسنين وجدت ليوى شيوه رونغ اخيرا طريقة لعلاج المرض وحماية الشجيرات من الرياح فى آن واحد . وتتلخص الطريقة فى ضرورة حفراخدود ضحل ملاصق للجذور فى احد جانبى كل صف من صفوف شجيرات القطن حتى تصبح مكشوفة للشمس ، بينما تترك التربة فى الجانب الآخر باقية تحمى الشجيرات من الرياح . بلغت هذه الطريقة المحسنة الى الكومونة ، ففى صباح اليوم التالى عقد امين لجنة الحزب تيان فى حقل "العلم الاحمر" التجريبى اجتماعا يضم الرؤساء والتقنيين من الفيالق والفرق من اجل تعميمها . واليوم اصبحت هذه الطريقة تطبق فى المحافظة كلها .

احرزت ليوى شيوه رونغ تقدما سريعا فنيا وسياسيا فى آن واحد . فقد اصبحت ماهرة فى جذب الناس حولها فى العمل ولاسيما الشباب . وهى الآن عضوة فى لجنة فرع عصبة الشبيبة الشيوعية العام فى فيلق تشيليينغ وتتقلد مناصب قيادية فى تنظيمات عصبة الشبيبة فى المقاطعة والولاية

والمحافظة ايضا .

تدريب البيطريين

فى اواخر عام ١٩٧١ ووفقا لقرار من قيادة الكومونة انشأت المدرسة دورة دراسية لتدريب البيطريين . كان بالكومونة كلها وقتذاك ثلاثة عشر بيطريا فقط ، وهذا العدد اقل بكثير عما يفى بحاجتها للاسراع فى تطوير تربية الحيوانات ، التى كانت مركزة على تربية الخنازير .

ارسل الشباب للتدريب من كل الفيالق الـ ٣٨ فى الكومونة . ومنهم دوان لاى بنغ من قرية شيتساوتسون ، كان خريجا من احدى المدارس الثانوية يأمل فى الالتحاق بالجامعة ، لكنه فشل فى ذلك . وفى بداية الامر لم يظهر رغبة فى تعلم البيطرة بالدورة الدراسية . وكان كلما عاد الى قريته فى نهاية الاسبوع يمازحه بعض اعضائها وهم يلقبونه بـ "طبيب الخنازير" و "صاحب المريض ذى الاربع ارجل" ، فاستشاط لذلك غضبا .

لسع هذا النعت دوان لاى بنغ وجرحه ، ذلك لان الناس فى ريف الصين القديمة كانوا يحتقرون الاطباء البيطريين الذين كانوا لا يملكون شبرا من الارض او منزلا يقيهم من الحر والبرد ، وكانوا يمارسون مهنتهم متنقلين من قرية لاخرى لكسب بضعة دراهم ، ولهذا نادرا ما كانوا يقدرون على الزواج . ليس هذا وحسب بل كانوا يعتبرون اناسا احط مكانة لا حق لهم فى ان يدفنوا فى مقابر اسلافهم اذا ماتوا . وبعد

التحرير ، تغير وضعهم السياسى والاجتماعى وسادت فى المجتمع الروح الجديدة واصبح الناس يحترمون مهنتهم . غير ان احتقار البيطرة الذى كان ينتاب الناس فى المجتمع القديم لم يضمحل نهائيا ، بل ما زال يحتل مكانا فى عقول بعض القرويين بدرجات متفاوتة .

بدأ دوان لاى بنغ يشعر بالتدريج فى المدرسة بأنه كان مخطئا فى رضوخه لهذه الافكار . واستعرض فى ذهنه كلمات امين لجنة الحزب تيان التى القاها فى حفل افتتاح المدرسة حين قال : فى الصفوف الثورية لا تقسم الاعمال بأن هذا "راق" وذاك "منحط" ، هذا "شريف" وذلك "ذليل" ، وكل ما هناك هو تقسيم للعمل . وغرض الالتحاق بالمدرسة ليس اكتساب المهارة فقط ، فالشىء المهم هو صهر التفكير لكى يصبح تفكيرا صحيحا . وعلى الثورى ان يناضل ضد كل الافكار الخاطئة لدى الآخرين وفى رأس نفسه ، و "**ان ينفصل عن الافكار التقليدية انفصالا كاملا** " كما ذكر ماركس وانجلز فى « بيان الحزب الشيوعى » . ومن هنا ادرك دوان لاى بنغ ان حساسيته للقب "طبيب الخنازير" لم تكن سوى دلالة على ان بقايا الافكار التقليدية ما تزال كامنة فى رأسه .

ولم يمض وقت طويل على هذا حتى وقع حدث فى المدرسة ترك اثرا لا ينسى فى نفس دوان لاى بنغ .

ذات يوم اتصل احد اعضاء الكومونة فى قرية تشونغتساوتسون بالهاتف بتشانغ شيان تشى وهو طالب جاء من تلك القرية ، يطلب منه تقديم يد

العون لعلاج خنزير مريض . ولما كان تشانغ شيان تشى مشغولا بالدروس فى النهار قرر ان يذهب فى المساء . وعندما حل المساء هبت فجأة عاصفة ثلجية قوية . عندئذ قال لنفسه : "كان الدكتور نورمان بيثيون عضوا فى الحزب الشيوعى الكندى وقد اتى الى الصين غير مبال بمشقة السفر الطويل ليخدم الشعب الصينى ، فلماذا لا استطيع انا عضو الحزب الشيوعى الصينى ان اسير مسافة قصيرة لاخدم زملائى فى القرية ؟" فحمل بحزم بعض الادوية التى يستخدمها فى الممارسة العملية وخرج فى العاصفة وعاد الى قريته بعد قطع عدة كيلومترات على الاقدام.

كانت درجة الحرارة غير منخفضة كثيرا ، والثلج المتساقط على الارض قد حول الطريق الى بحر من الطين . وعندما وصل تشانغ شيان تشى الى القرية تبللت ملابسه وحذاؤه القطنى . ولما شاهده عضو الكومونة قادما بهذه الحال فى ليلة كهذه اهتزت مشاعره حتى لم يستطع ان يعبر عما فى قلبه . فأخذه الى الحظيرة حيث رقد الخنزير المريض يلهث ويرجف من المرض . فقام ، بالاستناد الى ما تعلمه عبر الاختبار المعملى فى المدرسة ، بتشخيص المرض فوجد الخنزير مصابا بالتهاب رئوى . فعالجه بأسلوب الوخز بالابر ثم حقنه بحقنة من "الترامايسين" .

وبالرغم من الحاح عضو الكومونة هذا على تشانغ شيان تشى بأن يقضى الليل فى بيته ، الا انه اصر على العودة الى المدرسة . وخلال فترة الراحة فى ظهر اليوم التالى قام برحلة سريعة الى القرية ليفحص

الخنزير . ولما وجد الخنزير منهمكا فى الشرب والاكل ادرك ان كل شىء على ما يرام .

فى ذلك اليوم اثنى المعلم تشانغ قوى لين بكل حماس فى اجتماع الفصل على الروح العالية التى اظهرها هذا الشاب فى خدمة الشعب ، ودعا الطلاب الآخرين الى التعلم منه . فناقشوا هذا الامر بحرارة . وبعد ذلك ظهرت اعمال رائعة كثيرة ، كما انبثق عدد كبير من الاشخاص المبرزين بينهم . فجمعت قيادة المدرسة هذه الامثلة واثنت عليها مرة اثر اخرى امام الطلاب لتشجيعهم .

ان كل هذا قد الهم وعلم دوان لاى بنغ وزملاءه فى المدرسة . فقد ادركوا بوضوح اكثر ان اعضاء الكومونة بأمس حاجة اليهم ، وانهم يستطيعون الوفاء بهذه الحاجة ماداموا يجدون فى الدراسة من اجل خدمة الشعب . "كل ما هو فى منفعة الشعب سوف نتعلمه بجد واجتهاد ونعمله على نحو حسن ." كان هذا ما توصلوا اليه .

كانت الدروس الاختصاصية فى الدورة الدراسية يقدمها معلم مرسل من مكان آخر وبعض البيطريين من الكومونة نفسها ، وهى تشتمل على الوخز بالابر ، والعلاج بالعقاقير التقليدية الصينية ، واحداث العقم ، والتدريب فى العيادة على استخدام البيطرة التقليدية الصينية والبيطرة الغربية معا ، والتشريح ، وتربية المواشى وادارتها . ومثل زملائه صارت رغبة دوان لاى بنغ فى هذه المسائل تشتد على مر الايام . وبعد درس الوخز بالابر راح يجرب فى وقت الفراغ ما حصله على فرس سلس مخصص لهذا

العمل فى الاسطبل ، مستذكرا الـ ٢٥ نقطة رئيسية لغرس الابرة كما بين لهم المعلم فى الفصل . وكان هو واصحابه ، عندما يخرجون للنزهة فى نهاية اليوم ، يمتحنون بعضهم البعض حول المعارف الاساسية من البيطرة والادوية . وخلال العام الدراسى تعلم الطلاب فى المدرسة اربعة اشهر على مرحلتين . اما الاشهر الثمانية الاخرى فقد كانوا يقضونها فى ممارسة الخدمة الطبية المتجولة فى القرى ، ثم عادوا لقضاء فترة نهائية فى المدرسة لتلخيص ما درسوه ومارسوه خلال كل العام .

عاد دوان لاى بنغ الى قريته بعد تخرجه من المدرسة . واصبح عمله الاساسى وقاية الحيوانات والدواجن من الامراض وعلاجها ، واما ما يتبقى من وقته فهو يقضيه مشتركا فى العمل الجسمانى . وصار فى مقدوره ان يعالج كل الامراض العادية للحيوانات ، ولا يطلب عون البيطريين فى الكومونة الا فى حالات نادرة . وخلال العامين الماضيين عالج بنجاح اكثر من ١٠٠ خنزير و ٣٠ رأسا من حيوانات الجر . هذا وقد زادت الخنازير فى القرية من ٤٠ رأسا فى عام ١٩٧١ الى ٤٠٠ رأس فى عام ١٩٧٣ . والآن مازال بعض الناس يلقبونه بـ "طبيب الخنازير" ، الا انهم يطلقون هذا النعت انطلاقا من حبهم له . اما هو فلم يعد يشعر بالعار بل اصبح فخورا بعمله هذا .

الخريجون يتجهون الى المحافظات الاخرى

احرزت المدرسة بعض المنجزات خلال الست سنوات منذ تأسيسها ،

واصبحت معروفة تدريجيا . ففى عام ١٩٧٢ جاء طالبان من مقاطعة شنشى للدراسة فيها ، وفى عام ١٩٧٣ انضم اليها ثلاثة طلاب من محافظة فانغتشنغ .

وتلبية للدعوة ارسل بعض الخريجين الى المحافظات الاخرى ليعملوا هناك كتقنيين زراعيين ، واحدهم سونغ مينغ رن عضو الفرقة الـ ٢٧ التابعة لفيلق تشيلبينغ ، لقد سبق له ان ارسل الى خارج الفرقة لتأدية عمل كهذا قبل دخوله المدرسة وبعده . وقد عرف بخبرته الذاتية ان التعلم فى المدرسة اوجد فرقا كبيرا فى مقدرته بالمقارنة مع الماضى .

المرة الاولى التى ارسل سونغ مينغ رن فيها الى الخارج للعمل كانت فى فبراير ١٩٦٦ ، حيث طلبت محافظة شينتساى من كومونة تشيلبينغ ان ترسل لها عشرين تقنيا فى زراعة القطن ، فاختارته فرقته ليكون واحدا منهم ، غير انه كان مترددا يحس بأنه لا يعرف كثيرا ، اذ انه لم يتعلم سوى عامين فى المدرسة الاعدادية ، ولم يبدأ زرع القطن الا قبل خمسة اعوام . وكان رئيس الفرقة يحثه على ان يتحمل المهمة ويتعلم ويصقل نفسه اثناء تأديتها ، وهكذا ذهب اخيرا .

وفى ذلك العام احرز بعض النجاح فى الاعمال التى اوكلت اليه فى فيلق انتاجى تابع لكومونة هانجى الشعبية . فطلبت منه قيادة الكومونة ان يعرض خبرته على كوادر كل فرقها وفيالقها الانتاجية ، فلم يقبل ذلك متذرعا بحجة انه يعرف فقط ماذا يفعل ، دون ان يعرف لماذا يفعل . وكان هذا النقص كثيرا ما يحرجه ، وكم كان يتمنى

ان يجد شخصا يعلمه !

وفى يوم من ايام الربيع المبكر عام ١٩٦٨ ، بعد ان عاد سونغ مينغ رن الى بيته ، خاطبه رئيس فرقته الانتاجية قائلا : "يا مينغ رن ، سوف تنشئ القرية مدرسة زراعية ، لقد قررت قيادتنا ان تبعث بك اليها . فما هو رأيك ؟"

"شىء جميل ، ومتى اذهب ؟ " اجاب متسائلا .

لم يمض وقت طويل حتى ذهب الى المدرسة . ودرس هناك بتعطش وتعلم كثيرا من المعارف النظرية ، وبدأ يفهم الاسباب التى تكمن وراء الاشياء التى كان بوسعه ان يقوم بها فى الماضى دون ان يعرف مبادئها . واهم من هذا انه عرف ما معنى خدمة الشعب .

وبعد اشهر قلائل من تخرجه ، طلبت محافظة ويشى من تشيلبينغ ان ترسل لها بعض التقنيين فى زراعة القمح . وعندها قال له رئيس الفرقة : "ان الفيلق يود ارسال شخص بارع فى تقنيته ، وانت قد عملت فى الخارج وتخرجت من المدرسة ، اذن فأنت اهل لذلك !"

فى محافظة ويشى الحق سونغ مينغ رن بأحد فيالق الانتاج . ومنذ البداية اخذ يطبق اسلوب العمل الذى كان المدير ليوى شو موه يعلم الطلاب اياه فى المدرسة : اولا ، يجب على المرء حيثما ذهب ان يقوم بدراسة الظروف والمواسم المحلية ، وان يعمل تبعا لها . ثانيا ، عليه ان يتبع الخط الجماهيرى ويقيم علاقة حسنة مع الجماهير ، والا فلا يمكن ان تعمم اية تقنية ومهارة ولا تحرز اية نتيجة مهما تكن متقدمة.

قبل بذر البذور دعا سونغ مينغ رن بعض الفلاحين المسنين والكهول والشباب الى جلسة للتحرى فى اسباب انخفاض محصول القمح، واستنتج ان السلالات الجيدة من البذور التى كانت تستخدم فى هذه المنطقة قد تدهورت بعد استخدامها لخمسة او ستة مواسم ، وان حقول القمح فيها كانت لا تروى فى الشتاء ولا الربيع .

بدأ سونغ مينغ رن عمله باقناع كوادر الفيلق وجماهيره بأن يستبدلوا جزءا من بذور قمحهم بعشرة اطنان من سلالة "فومو" الالبانية الجيدة من مزرعة للدولة تقع على بعد خمسين كيلومترا ، ثم حثهم على رى القمح "خمس مرات" (مرة قبل ان تتجمد الحقول فى الشتاء ، ومرة عندما تخضر الشتلات فى بداية الربيع ، ومرة فى كل مرحلة من مراحل نمو السيقان وظهور السنابل والنضج) . وعندما شعر بأن هناك شكوكا قوية حول الرى فى ايام الشتاء المبكر دعا الى عقد اجتماع عام كى يعرض فيه المبادئ العلمية لذلك ، فأوضح ان شتلات القمح المروية فى الفترة التى تتجمد فيها المياه على سطح الحقول فى المساء وتذوب فى النهار لا يقتلها الجليد ، بل على النقيض من ذلك سوف تكون محمية من البرد . وبعد ان اقتنعت اغلبية الناس تم الرى الشتوى للقمح بعناية .

فى تلك السنة قفز متوسط انتاج القمح فى حقول الفيلق التى مساحتها ٥٠٠٠ مو من ٢٨٩ جين الى ٤٠٠ جين فى مو الواحد . وفى الـ ٢٠ مو من البقعة التجريبية التى كان يشرف عليها سونغ مينغ رن ، بلغ متوسط الانتاج ٦٠٠ جين . والفلاحون القلائل الذين كانوا متشككين فى الرى

الشتوى صاروا مقتنعين بالحقيقة ، وقال احدهم : "لا يمكن ان نسير فى الطريق القديم بأحذية بالية بعد الآن ، والسبيل لاحراز محصول وافر هو الزراعة العلمية ."

* * *

ان السلالات الجيدة من البذور التى انتقتها وربتها المدرسة التقنية الزراعية تنبت وتزهر وتثمر اليوم فى اماكن عديدة . كما ان الفلاحين الجدد الذين تدربوا فى هذه المدرسة يمدون جذورهم الى اعماق اراض اكثر اتساعا حيث ينشرون العلوم الزراعية والتقنية الحديثة ، كما ينشرون الافكار السليمة والروح الحميدة التى تعلموها فى المدرسة .

٨

ميليشيا الكومونة

تقدمت "دبابة" مندفعة الى الامام وسط سحابة من الدخان . ومن خلف اكوام التراب التى على جانبى الطريق برز فجأة تسعة شبان يرتدون ملابس الفلاحين وهم يحملون بنادق رشاشة وبنادق شبه اوتوماتيكية . تقدموا زحفا بسرعة الى الامام ، ثم اندفعوا الى "الدبابة" عندما اقتربوا منها . وبعد ان وضعوا عددا من عبوات المتفجرات فى مواقعها الرئيسية غادروها متدحرجين بسرعة ، فدوت انفجارات متتالية تم معها نسف "الدبابة" .

لم يكن ذلك معركة بل كان تدريبا تقوم به كتيبة الميليشيا التابعة لفيلق تشيلبينغ فى بداية ربيع ١٩٧٣ . "الدبابة" لم تكن سوى جرار على هيئة الدبابة ، أما عبوات المتفجرات فقد كانت العابا نارية كبيرة صنعها رجال الميليشيا . ان كل شيء فى العملية ليس حقيقيا ما عدا الناس . الا ان التدريب بدا حقيقيا الى درجة ان المشاهدين من رجال الميليشيا الآخرين ومن اعضاء الكومونة كانوا فى غاية الدهشة والانفعال . وعندما انتهى التدريب اثنوا على القائمين به لجرأتهم ولرباطة جأشهم وحسن تصويبهم ورشاقة حركتهم ولدقتهم التى ادوا بها مهمتهم .

تقليد ثورى مجيد

تتمتع ميليشيا تشيلبينغ بتقليد ثورى مجيد . فى اواخر عام ١٩٤٨ ، اثناء حرب التحرير ، جاءت الى هذه المنطقة فرقة عمل مسلحة بقيادة الحزب الشيوعى ، وقدمت يد العون لشبيبة الفلاحين الفقراء لتأسيس وحدة سرية من الميليشيا . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى راح رجال الميليشيا ينشطون فى اعمال كثيرة لدعم الجبهة كنقل الحبوب والعلف وحمل النقالات . وبعد ذلك بادروا الى القضاء على قطاع الطرق والى الاطاحة بالطغاة المحليين . كانت اسلحتهم الوحيدة فى ذلك الوقت هى السيوف العريضة والرماح وبعض البنادق القديمة . ولكن لما كان هؤلاء الفقراء منظمين ومتضامنين يتمتعون بمؤازرة الحزب الشيوعى وجيش التحرير الشعبى اصبحوا فى الريف قوة مانعة انخلعت لها قلوب قطاع الطرق والطغاة المحليين وملاك الاراضى وغيرهم من الرجعيين .

وفى الاجتماعات الجماهيرية خلال الاصلاح الزراعى ، اخذ رجال الميليشيا المبادرة الى محاسبة ملاك الاراضى على جرائمهم فى استغلال الفلاحين ، وكانوا يكافحون ضدهم بحجج دامغة . كما كانوا يسيرون فى المقدمة فى توزيع ثروات ملاك الاراضى من الحيوانات والحبوب والممتلكات المنقولة على الفلاحين الفقراء . اما الشيء الذى كانوا يبحثون عنه بدقة شديدة فهو السلاح ، لكونه اكثر الاشياء قيمة و أهمية لذا فقد جردوا طبقة ملاك الاراضى من السلاح تجريدا تاما وسلحوا انفسهم فأصبحوا اقوى من اى وقت مضى .

وفى فترة الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، استجاب رجال الميليشيا لنداء الحزب وسلكوا بحزم الطريق الجماعى . كما لعبوا دورا هاما فى الحفاظ على الامن المحلى وتدعيم دكتاتورية البروليتاريا وكذلك فى تطوير الانتاج .

واليوم اصبحت لكل من الـ ٣٨ فيلقا والمؤسسات والمدارس فى الكومونة منظمة من الميليشيا وهى تتخذ شكل كتيبة او سرية او فصيلة تبعا لعدد افرادها وقد شكلت هذه المنظمات كلها فوجا واحدا تحت القيادة الموحدة للكومونة التى لها دائرة خاصة مسؤولة عن عمل الميليشيا تسمى بهيئة الشؤون العسكرية . وتنتمى اغلبية الشباب من الجنسين فى الكومونة الى الصفوف الاساسية من الميليشيا . اما الرجال الكهول والنساء بين الـ **٢٥** والـ **٣٥** من العمر فهم يعدون افرادا من الصفوف العادية فى الميليشيا . واما الرجال المسرحون من جيش التحرير الشعبى فانهم يشكلون العمود الفقرى لهذا التنظيم بأكمله . ومن بين اعضاء لجنة الحزب فى الكومونة عدد غير قليل كانوا يقاتلون كرجال فرقة العصابات فى ايام الحروب الثورية ، او يباشرون اعمال الميليشيا فى فترة الاصلاح الزراعى ، وهم يلقبون اليوم افراد الميليشيا بـ "الاكتاف الحديدية للكومونة" .

اضافة الى مناقشة عمل الميليشيا فى اجتماعات لجنة الحزب الدورية يقوم اعضاؤها مع قادة الميليشيا والاعضاء المسؤولين للحزب فى الفيالق بفحص اعمال الميليشيا مرة واحدة لكل عام .

التدريب العسكرى

ان التدريب العسكرى فى وقت الفراغ هو احدى المهمات الرئيسية لأفراد الميليشيا . وبهذا النشاط الذى يمارسونه فى وقت السلم يتمكنون من رفع مستواهم القتالى لتأدية المهمات فى حالة اى هجوم يقوم به العدو ، بما فى ذلك مباشرة الحراسة المسلحة لنقل الحبوب والعلف والذخائر ، واصلاح الطرق والكبارى ، وشن حرب العصابات تدعيما للقوات النظامية فى ابادة العدو ، كما انهم يشكلون قوات احتياطية منيعة لجيش التحرير الشعبى . ان انشاء ميليشيا جبارة هو جزء هام من نظريات الرئيس ماو حول الحرب الشعبية .

فى **٢٩** سبتمبر **١٩٥٨** عقب قيام مئات الملايين من الفلاحين الصينيين بتعميم الكومونات الشعبية استجابة لنداء الرئيس ماو ، اوضح الرئيس ماو قائلا : **"يتحتم علينا ان نواجه الامبرياليين بجد بعد ان بلغوا هذا المبلغ فى تطاولهم علينا . يجب ان يكون لدينا جيش نظامي قوى ، والى جانب ذلك يجب ان ننظم فرقا من الميليشيا الشعبية على نطاق واسع . وعلى هذا النحو سيصعب على الامبرياليين ، اذا ما غزوا ارض بلادنا ، ان يتحركوا فيها ولو خطوة واحدة ."**

وقد اضحى توجيه الرئيس ماو هذا دافعا قويا لبناء قوات الميليشيا . فتأسس فى ذلك الوقت بالضبط فوج الميليشيا لكومونة تشيلينغ الذى توسع من **٢٥** فريقا قرويا الى **٤٥** كتيبة وسرية ، وقد ارتفع عدد افراده من **١٠٠٠** فى سنة **١٩٥٨** الى **١٥٫٠٠٠** اليوم .

وتنفيذا لتعاليم الرئيس ماو المتعلقة بالاستعدادات لمواجهة الحرب، استمر هذا الفوج طيلة السنوات العشر الماضية فى تنشيط التدريبات العسكرية كالرماية ورمى القنابل اليدوية والقتال بالسلاح الابيض والسير فى تشكيلات . . . الخ وهو يركز هذه التدريبات على افراد الصفوف الاساسية من الميليشيا . وعادة ما يقوم كثير من الكتائب والسرايا بالتدريب فى ساحة الرماية التى تقع فى جنوب شرقى قرية قووانغ ، حيث قامت كتيبتا الميليشيا التابعتان لفيلقى ليوتشوانغ وتشيلينغ الانتاجيين فى ٧ اغسطس ١٩٧٣ بمناورة عسكرية مشتركة كجزء من احتفالات الذكرى السنوية الخامسة عشرة لزيارة الرئيس ماو التفقدية للكومونة .

فى ذلك اليوم وتحت ضوء شمس الصباح الساطع ، قامت الوحدتان من الميليشيا باستعراض فى ساحة التدريب ، وقد كانت صفوفهما منسقة منتظمة والروح المعنوية لافرادهما عالية . ومن بين افراد ميليشيا ليوتشوانغ ابنا عم هما وانغ تشينغ تشوان ووانغ تشينغ شوى اللذان انخرطا فى صفوف الميليشيا منذ ايام الاصلاح الزراعى ، والاخوات ليو الثلاث ، وشى لان قوى احد رجال الجيش المسرحين حديثا وعروسه ليو تسوى لان . اما الذين لفتوا الانظار بصورة خاصة فقد كانوا مجموعة من صغار الحرس الاحمر يسيرون فى مؤخرة الصف . كان اكبرهم فى الرابعة عشرة من العمر ، واصغرهم شى شى كوى كان فى التاسعة وهو اطول بقليل من البندقية التى يحملها . ونزولا على رغبة صغار الحرس

الاحمر وبموافقة ذويهم ، سمحت لهم كتيبة الميليشيا فى قرية ليوتشوانغ بالاشتراك فى التدريب على الرماية بالذخائر الحية ، وذلك من اجل تشجيع اطفال القرية لحب الميليشيا منذ صغرهم .

وفى الرماية على بعد ١٠٠ متر من الهدف ، التى قام بها خمسة رجال وخمس نساء من ميليشيا ليوتشوانغ بالبنادق شبه الاوتوماتيكية ، حقق كل واحد منهم تسع اصابات بتسع طلقات .

وعندما بدأوا الرماية على البالونات الملونة التى كانت تترجح فى الفضاء كتم المشاهدون انفاسهم قلقين عليهم ، الا ان النتيجة كانت ممتازة ايضا ، اذ انهم اصابوا الثلاثين بالونا كلها بـ ٣٥ طلقة فقط . ثم عرض صغار الحرس الاحمر الثمانية الرماية من بعد ١٠٠ متر على ٢٤ هدفا من الصفائح الفولاذية فى حجم صدر رجل ورأسه ، واصابوا جميعها فى اقل من دقيقتين ولم تخطئ طلقة واحدة . كما قام عشرة من رجال الميليشيا من فيلق تشيلينغ بالمباراة فى القاء القنابل اليدوية ، فكسبوا اعجاب المشاهدين ، وكان متوسط بعد الرمى ٥ر٥٢ متر ومسافة احسنهم ٥ ر ٦٩ متر .

كان معظم المساهمين فى الاستعراض العسكرى بارزين من افراد الميليشيا فى فيلق ليوتشوانغ وتشيلينغ ، يقومون بدور المعلمين العسكريين فى الحضائر والفصائل . ولدى المقايسة على مستوى الكومونات نالت ميليشيا كومونة تشيلينغ درجة "ممتاز" فى الرماية بالذخيرة الحية فى السنوات الاربع المتتالية منذ عام ١٩٧٠ .

الى جانب هذا فان ميليشيا تشيلبينغ جادة فى الدراسة السياسية . تخصص كل كتيبة اوسرية أمسيتين او ثلاث امسيات لهذا الغرض كل شهر . وقد صرفت كتيبة ميليشيا ليوتشوانغ وقتا طويلا قبل الايام الاخيرة لدراسة مقتطفات من ثلاثة كتيبات وهى : « انجلز حول ماركس » ، « لينين حول ماركس وانجلز » ، « ستالين حول لينين » . اما وحدات الميليشيا فى الفيالق الاخرى فقد كانت متركزة على دراسة مؤلفات الرئيس ماو ، ولا سيما نظريته المتعلقة بالحرب الشعبية وتعاليمه حول الميليشيا . وعند زيارتنا كانت الوحدات كلها تدرس باهتمام وثائق المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى الصينى وتباشر نقد ودحض جرائم طغمة لين بياو المعادية للحزب .

ان ميليشيا تشيلبينغ تهتم غاية الاهتمام بالوضع فى داخل البلاد وخارجها وهى شديدة الحرص على سماع المحاضرات حول الموضوعات فى هذا المجال . فى اغسطس ١٩٦٩ ، اى بعد مرور عدة اشهر على غزو القوات السوفياتية لجزيرة تشينباو الصينية ، عاد ليوى ين لينغ الذى كان احد افراد ميليشيا تشيلبينغ ويخدم فى جيش الحدود فى شمال شرقى الصين الى قريته لقضاء عطلته . فدعى مرات عديدة لالقاء المحاضرات حول عمليات المعارك هناك ولا سيما حول المساهمات الباسلة التى قدمتها الميليشيا المحلية هناك جنبا الى جنب مع حرس الحدود دفاعا عن الوطن . وقد استمع اليه حوالى ١٠٫٠٠٠ من الناس وتأثروا غاية التأثر بما سمعوا منه .

معلمون وطلاب فلاحون فى المدرسة التقنية الزراعية لكومونة تشيلبينغ يتناقشون حول طريقة شاملة لمكافحة حشرات القطن . ودراستهم وثيقة الارتباط بحاجات الانتاج

معلمون وطلاب فى المدرسة التقنية الزراعية يخرجون لزيارة قناة العلم الاحمر فى محافظة لينشيان الشهيرة فى كل انحاء البلاد

ليوى شيوه رونغ (فى الوسط)، وهى من اوائل الخريجين من المدرسة التقنية الزراعية للكومونـــة ، تعمل الآن معلمة زائرة بها ، وتساعد طلبتهـــا بعد انتهاء الدروس

جيش التحرير الشعبى يدرب ميليشيا الكومونة التى يزيد عدد افرادها الآن على ١٥٫٠٠٠ عضو

احد كوادر الكومونة يحدث وحدة من الميليشيا عن الوضع الداخلى والخارجى

تأييد جماهيرى

ذات يوم من ايام الشتاء فى عام ١٩٦٩ ، نظمت قرية ليوتشوانغ حفلة وداع لثلاثة شباب انخرطوا حديثا فى جيش التحرير الشعبى . فى وسط الفرحة العارمة والتصفيق الحار علق احد قادة الميليشيا زهرة حمراء كبيرة على صدر كل من هؤلاء الشباب الثلاثة فى زى عسكرى جديد . وكانت امرأة تدعى دوان جى مى تجلس بين الحاضرين فى تفكير عميق . ان اولادها الستة كلهم بنات لم تجند واحدة منهن ، لهذا السبب اصابها الحزن لبعض الوقت .

فى يوم من ايام الشتاء التالى ، عادت اثنتان من بناتها لبو جيون تشينغ وليو جيون رونغ الى البيت فى فرح ومرح بعد ان انتهتا من التدريب العسكرى للميليشيا ، وكانت كل منهما تحمل بندقية شبه اوتوماتيكية زوعت عليها حديثا . وقالت احداهما : "اماه لطالما كنت نادمة لاننا لم نكن نحمل البنادق ، انظرى الى هذا !"

غمر الفرح دوان جى مى لدى رؤيتها هاتين البندقيتين اللامعتين . فقد ادركت ان قائد كتيبة الميليشيا لم يكن يقصد تهدئة روعها فقط حين قال لها "ان رجال الميليشيا هم ايضا جنود فى جيشنا برغم انهم لا يرتدون الزى العسكرى ."

وبعد ذلك بدأت تفكر دائما : ان بناتى يعددن انفسهن للدفاع عن وطننا الاشتراكى ، فكيف اساعدهن انا ؟ فألصقت ورقة على حائط فى جانب فناء دارها وجعلتها هدفا ، ثم صنعت فى الجانب الآخر منه

ثلاثة اجيال فى الميليشيا – ما شيوه رانغ (فى المقدمة) مع والده وابنة اخيه فى ميدان الرمى ، وكلهم ينتمون الى كتيبة ليوتشوانغ

مصطبة صغيرة من الطوب لتسند اليها البندقية مما وفر لبناتها ظروف التدريب على التصويب فى البيت . اضف الى ذلك انها تعهدت بمزيد من العمل المنزلى حتى تمكن بناتها من صرف مزيد من وقت الفراغ فى التدريب العسكرى . كانت تساعدهن فى الغسل وترقيع الملابس ، وتحضر لهن ما كن يشتهين من صحاف الطعام بعد العمل المنهك .

ذات مرة وبعد قضاء عشرة ايام من التدريب العنيف ، شعرت ليو جيون تشينغ الشابة بالوجع والفتور من التعب الشديد . فقد انسلخ الجلد عن كرعيها حينما كانت منبطحة للرماية من موقع حجرى ، كما اصابت مؤخرة بندقيتها عظمة خصرها اليمنى واحدثت كدمة عندما كانت تتدرب على الطعن بالحربة . بعد ان عادت الى بيتها انفجرت قائلة : "قبل ان احمل البندقية كم كنت اتمنى ان احملها ، ولكن التدريب الآن متعب جدا" لزمت امها دوان جى مى الصمت لحظة ، ثم خاطبتها بلهجة تنم عن مغزى بعيد قائلة : "عليك انت يا جيون تشينغ ان تفكرى مليا فى غرض هذا التدريب ! ان الرئيس ماو والحزب الشيوعى هما اللذان انقذا الفقراء من امثال والديك من محيط الشقاء ، فلن تصبحى ابدا زوجة طفلة كما كنت انا . لا تنسى الجراح القديمة بعد ان برأت !"

ولدت دوان جى مى فى عائلة فلاح فقير فى تشيليينغ قبل التحرير . وذات يوم حدث ان نهب قطاع الطرق بيت احد ملاك الاراضى فى القرية ، واتهم هذا المالك والد دوان جى مى زورا بالتآمر معهم ، فزج

به فى السجن وقتل فى السنة التالية . وفى احدى المجاعات اضطرت امها الارملة الى الهجرة من القرية والتسول طوال الطريق حتى مقاطعة خبى . اما دوان جى مى نفسها فقد صارت وهى فى الثانية عشرة من عمرها ، زوجة طفلة فى عائلة كانت تجبرها على القيام بالاعمال المنزلية كالطبخ والتنظيف فى النهار والغزل حتى ساعة متأخرة من الليل . بعد عام من ذلك اختطفت الى محافظة اخرى ، وبيعت لمالك ارض فى الستين من عمره كحظية . ومن حسن الحظ ان ساعدتها احدى الوصيفات الطيبة القلب على الهرب ، فعادت الى مسقط رأسها حيث بقيت مع جدتها وعمها . وعندما بلغت الخامسة عشرة من عمرها تزوجت بليو ديان تشين الفلاح الفقير فى قرية ليوتشوانغ . ولم يعيشا حياة البشر الا بعد التحرير ، وبدأت تتحسن حياتهما يوما بعد يوم .

كانت دوان جى مى كثيرا ما تعلم بناتها بتلك المعاناة الماضية حتى تساعدهن على فهم الغرض من حمل السلاح والتدريب العسكرى . بعد ان سمعت ليو جيون تشينغ كلام امها اطرقت رأسها من الخجل وفكرت مليا ، ثم عزمت على اجهاد نفسها فى التمرين من اجل الثورة . منذ ذلك الوقت صارت تزداد نشاطا وحماسة فى التدريب العسكرى . ألهم موقفها اختها الصغيرة جيون رونغ ، فأصبحت مثلها فى هذا الصدد . وحتى اصغر اخواتها جيون تينغ التى كانت لا تزال فى المدرسة الابتدائية ، صنعت لنفسها بندقية خشبية ، وركبت عليها قطعة من الصلب ومسمارا اتخذته "شعيرة" لتصويب الهدف ، وكانت تحملها كل يوم

الى المدرسة حيث كانت تتدرب بعد نهاية كل حصة من الدروس . ولقد اثار حماسها هذا امها ، فخاطبت قائد الميليشيا بالفيلق وهى تبتسم : "ارجو منك ان تأخذ معك هذه الجندية الصغيرة لتتدرب !"

وهكذا ظهرت "الاخوات ليو الثلاث" على ساحة التدريب فى قرية ليوتشوانغ .

لقد انغرست فكرة الرئيس ماو حول الحرب الشعبية عميقا فى عقول اعضاء كومونة تشيليينغ . الكبار والصغار يحبون الميليشيا ويعيرون الاهتمام من أجل تطويرها .

تدعيم دكتاتورية البروليتاريا

فى دجى ليلة من ليالى صيف ١٩٧٣ ، كانت ليو جيون تشينغ وامرأة اخرى من الميليشيا تقومان بدوريتهما فى شوارع ليوتشوانغ وهما تحملان بندقيتيهما . وعند نهاية دوريتهما التى لم تتخللها اية حادثة جاءتا الى مخزن حبوب الفيلق فى الطرف الغربى من القرية . وبعد ان تبادلتا بعض الكلمات بصوت خفيض مع احدى نساء الميليشيا ، وكانت تؤدى دورها فى غرفة الحراسة التى أنشأتها كتيبة الميليشيا فى فناء المخزن ، نظرتا الى ساعة منبهة على الطاولة وايقظتا ثلاث نساء كن ينمن على الاسرة . وقبل ان تستلقى ليوجيون تشينغ وزميلتها للراحة خرجت هؤلاء الثلاث للدورية .

عادة ما يباشر رجال الميليشيا النوبات الليلية للدورية . أما فى فترة

حصاد القمح فتوكل هذه المهمة الى النساء ، لان الرجال مكلفون بحراسة القمح من النيران وغيرها من الاخطار فى بيدر الدرس .

منذ التحرير ، اصبح النظام الاجتماعى العام فى منطقة تشيليينغ حسنا . ومع ذلك فان لجنة الحزب فى الكومونة ومنظمات الحزب فى الفيالق تعلم افراد الميليشيا مرارا بأن يضاعفوا يقظتهم ولا ينسوا ابدا الصراع الطبقى .

عندما طرحنا السؤال التالى "كيف تؤدون عملكم فى الحفاظ على الامن ؟" اجاب الرفيق تشن ، وهو كادر فى الكومونة مسؤول عن شؤون الامن العام ، باسما : "لا تعتقدوا بأننا نحن القلائل فى هذا المكتب نقوم بهذا العمل وحدنا ، ان العمل يسير بسهولة ، لان الـ ٩٠٠٠ شخص من الصفوف الاساسية للميليشيا فى الكومونة هم جميعا يقومون بهذا العمل ."

هذا مثال : فى سكون ليلة من ليالى اكتوبر ١٩٧٢ ، عندما كان ليو مينغ تشينغ قائد الفصيلة الاولى التابعة لميليشيا ليوتشوانغ يقوم بالدورية مع رجل آخر من الميليشيا ، شاهدا شخصا مشبوها مارا فى اقصى الطرف الغربى من القرية . ولدى استجوابه وجدا ان اجاباته متضاربة . واخيرا اجبر على كشف شخصيته الحقيقية وما كان يرمى اليه . فقد كان احد ملاك الاراضى فى قرية غير بعيدة ، وقد رفض العمل تحت رقابة الجماهير وحاول الهروب فى ظلام الليل ، الا انه ضل الطريق من الفزع . فقاده ليو مينغ تشينغ ورجلا الميليشيا الآخران الى مكتب

الكومونة ، ثم سلموه الى الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين فى قريته .

ان منظمة الميليشيا فى تشيليينغ لها جهاز قيادى كامل على مختلف المستويات . وعندما تدعو الحاجة يمكن لهيئة الشؤون العسكرية فى الكومونة ان تحشد كل افراد الميليشيا عن طريق اشارات ترسلها الشبكة الاذاعية للكومونة ، كما يمكنها ان تصدر الاوامر بطرق اخرى . ومهما كان العدو ماكرا فانه لا يستطيع الهروب من شبكة الميليشيا المحكمة .

قبل اربعين عاما ، عندما شن رجعيو الكومينتانغ حملة " التطويق والابادة " المسعورة ضد القواعد التى كان يقودها الحزب الشيوعى فى مقاطعة جيانغشى ، سخر الرئيس ماو من قلاع العدو وتحصيناته مشيرا الى انها لم تكن حصنا حديديا لا يمكن تحطيمه . وقال فى ثقة تامة : " **ما هو الحصن الحديدى الحقيقى ؟ انه الجماهير ، ملايين الجماهير الذين يؤيدون الثورة بصدق واخلاص .** "

كان الشعب الصينى قبل يقظته الثورية يوصف من بعض الناس بأنه " طبقة من الرمال المفككة " ، وكان هذا الوصف يطلق بصفة خاصة على جماهير الفلاحين الغفيرة غير المنظمة . اما الآن فقد انتهى ذلك الوضع الى غير رجعة . واليوم ليس من المبالغة ان يطلق لقب " حصن حديدى " على ميليشيا تشيليينغ .

فرقة الصدام فى الانتاج

لقد تشكل قانون غير منصوص عليه فى كومونة تشيليينغ ، فالعمل

اليومى فى الحقول يوزعه فيلق او فرقة الانتاج على كافة الاعضاء ، بينما الاعمال الملحة والشاقة توكل الى افراد الميليشيا لتأديتها ، نظرا لانهم مفتولو العضلات يتمتعون بدرجة عالية من التنظيم والكفاح . وعلى سبيل المثال فان الكومونة تنظم كل عام فيالقها الانتاجية للقضاء على الحشرات ولبناء مشاريع الرى الكبيرة نسبيا ، وتكلف الميليشيا عادة بانجاز هذه الاعمال كمهمة الصدام .

خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، شن ابناء تشيليينغ اربع حملات كبيرة من اجل تغيير ملامح الطبيعة . وفى كل من هذه الحملات سجلت الميليشيا المآثر ، ولعبت دور فرقة الصدام فى الانتاج .

فقد استمرت الحملة الاولى لثلاثة فصول شتوية من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٠ . واثناء هذه الفترة نظمت الكومونة جيش عمل يبلغ عدد افراده ١٠٫٠٠٠ شخص لبناء مشاريع الرى ، وكانت الميليشيا تشكل فيه العمود الفقرى . وحفر هذا الجيش ١٧٠ ترعة فرعية كبيرة وصغيرة جلبت مياه النهر الاصفر الى حقول اكثر من ٣٠ فيلقا وقدمت ضمانا اساسيا ضد الجفاف .

ثم حفر هذا الجيش ١١٠ ترع لتصريف المياه ، فحلت مشكلة الفيضان الى حد كبير . وقد انجز هذا العمل فى ايام الشتاء والربيع لثلاث سنوات .

بدأت الحملة الثالثة فى عام ١٩٦٤ . لقد تكونت فرقة خاصة

بحفر الآبار قوامها الميليشيا بقيادة كوادرها . وعملت هذه الفرقة على ذلك خلال ايام الشتاء والربيع لخمسة اعوام وحفرت مئات الآبار الارتوازية .

اما الحملة الرابعة التى بدأت فى عام ١٩٦٩ فلا تزال جارية حتى الآن . لقد شكلت الميليشيا التابعة للفيالق الانتاجية فرق الصدام لكى تقوم بأعمال البناء الاساسى المختلفة فى الحقول الزراعية كتسوية الارض ، وتحويل الترع السطحية الى ترع تحتأرضية ، وتبطين الترع الطينية بالاسمنت .

قدمت بعض الكتائب او السرايا من الميليشيا حسب ظروف فيالقها اقتراحات كثيرة لتحويل الطبيعة وتغييرها . ولم تكتف بذلك بل تطوعت ايضا فى تأدية اشق المهمات . وعلى سبيل المثال فقد حول فيلق لوتان الانتاجى المستنقع الذى كان مليئا بالقصب فى شمالى القرية الى حقل للرز تبلغ مساحته ٦٠ مو ، وذلك بناء على اقتراح سرية الميليشيا فيه . وبعد قبول الاقتراح ، تسابق رجال الصفوف الاساسية من الميليشيا الى تقديم الطلب لتنفيذ المشروع . فعين الفيلق اربعين شابا من نخبة الميليشيا لانجاز المهمة تحت قيادة قائدى الفصيلة .

بدأوا عملهم ، فى اطراف المستنقع ووسطه ، بحفر بضعة خنادق لتصريف المياه بلغ عرضها مترين وعمقها مترا ونصف متر ، حتى يمكن تصريف مياه الامطار المتجمعة فى المستنقع . فقد تم هذا العمل فى باكورة ربيع ١٩٧٢ . كانت الارض متجمدة لعمق عدة بوصات

وصلبة الى درجة ان ضربة المعول لم يكن لها سوى اثر ابيض على سطح الارض . واسفرت محاولات افراد الميليشيا العديدة عن وسيلة اكثر فعالية ، وهى ان نحتوا بالمعول الارض المتجمدة فى شكل قوالب مربعة ، ثم قلعوها قطعة قطعة بخطاف كبير وزنه ٩ كيلوغرامات . وكان من الاعمال الشاقة ايضا حفر التربة من تحت الطبقة المتجمدة حيث كانت عروق القصب الغليظة مثل الاصابع متأصلة الى عمق قدمين او ثلاثة اقدام . وفى الوقت الذى تم فيه حفر ترعة تصريف المياه البالغ طولها ٨٠٠ متر ، كانت عشرات المجارف اما تكسرت واما اعوجت اطرافها . وعند نهاية هذا العمل غرس افراد الميليشيا على جانبى الترعة ٢٠٠٠ شجرة من اشجار الحور .

فى مستهل ربيع عام ١٩٧٣ ، عاد الى العمل فى نفس المشروع حوالى مائة من افراد الميليشيا ، وقاموا خلال عشرة ايام باستئصال جذور القصب كلها التى كانت فى المستنقع . وبعد اشهر من ذلك ، زرعت شتلات الارز التى تغطى ٦٠ مو من الارض وهى تنمو نموا جيدا .

واليوم ، عندما يسير افراد الميليشيا فى لوتان تحت ظلال الاشجار التى تحيط بتلك الحقول الخضراء ، تسرى فى قلوبهم سعادة وسرور .

التعلم من جيش التحرير

وكما اطرت قيادة الكومونة على سرية ميليشيا لوتان فقد اطرت على

سرية ميليشيا تشنتشوانغ منذ وقت قريب . فقد ظلت هذه السرية تحت قيادة فرع الحزب تتعلم من جيش التحرير خلال السنوات الثلاث الماضية ، حتى اصبحت واحدة من السرايا المتقدمة فى كرمونة تشيلينغ .

ومنذ وقت يعود الى شتاء عام ١٩٧٠ ، مرت بتشيلينغ وحدة من وحدات جيش التحرير كانت فى طريق التدريب على مسيرة طويلة المدى ، ومكثت فيها لاسبوع ، وعسكرت سرية منها فى تشنتشوانغ . وقد اوكل وانغ جينغ تينغ امين فرع الحزب الى عدد من كوادر الميليشيا مهمة استقبالها ، واوصى افراد الميليشيا بأن ينتهزوا هذه الفرصة للتعلم من جيش التحرير بصورة جدية .

منذ اللحظة التى دخل فيها رجال جيش التحرير الى القرية بدأوا يؤدون خدمات رائعة للجماهير . كانوا يقومون كل يوم بتنظيف الشوارع ويساعدون الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين على نقل الماء العذب واشعال النيران والطهى . اما الجنود المشتغلون بالطب فقد عملوا على التعرف على من اصابهم المرض ، وذهبوا لمعالجتهم فى بيوتهم . وقام المقاتلون بمساعدة الفلاحين على نقل السماد ، كما اصلحوا شارعا كان متعرجا مليئا بالحفرات فجعلوه مستقيما ممهدا . ان كل هذه الاعمال انجزوها اثناء الفترات التى تخللت تمارينهم العسكرية او اثناء اوقات الراحة .

ذات يوم ، وكان الثلج يتساقط ، عندما اخرج رجال جيش

التحرير القدور وادوات الطبخ وحفروا حفرا كمواقد الطبخ دهش بذلك افراد الميليشيا ، فسألوهم : " لماذا تطبخون طعامكم خارج الغرف فى هذا اليوم ؟ " فأجابهم احد المقاتلين مبتسما : " وهل يمكن ان نطبخ فى الغرف اذا افترضنا اننا فى ميدان القتال ؟ "

كما لاحظ افراد الميليشيا ان هؤلاء المقاتلين كانوا يخلعون قفافيزهم ، رغم شدة البرد ، عندما يشرحون لهم كيف يتدربون على السلاح الابيض .

ادرك افراد الميليشيا بالتدريج ان مقاتلى الجيش حين يؤدون هذه النشاطات انما يهدفون الى ان يحملوا فى ذهنهم ظروف القتال الفعلية ، وان يتشددوا مع انفسهم فى التدريب .

وعند رحيل هؤلاء المقاتلين ، ودعهم أفراد الميليشيا فى تشنتشوانغ واعينهم تترقرق بالدموع . وظلوا يستعيدون الى ذاكرتهم الاعمال المؤثرة العديدة التى قدمها هؤلاء المقاتلون ، وصمموا على التعلم من افكارهم الرائعة واسلوب عملهم الجيد .

ظل تشياو تشينغ تشانغ قائد الفصيلة الثالثة للميليشيا يفكر فى الكيفية التى يؤدى بها اعمالا اكثر روعة للشعب كما فعل جيش التحرير . فى ربيع عام ١٩٧١ ، قام افراد الميليشيا للفصيلة الثالثة بقيادته ، فى وقت الفراغ ، باستصلاح قطعة من الارض البور قرب القرية ، وزرعوها بالقطن ، وباشروا ادارة الحقول . ولما نضج قدموا المحصول كله الى فيلق الانتاج . حذا حذوهم كثير من افراد الميليشيا الآخرين

واعضاء الكومونة حتى العجائز والاطفال فى القرية لاستصلاح الاراضى البور . وفى عام ١٩٧٢ ، كان المردود من هذه الاراضى المستثمرة حديثا قد بلغ ٢٠٠٠ جين من القطن المحلوج .

وكذلك راح افراد الميليشيا فى تشتشوانغ يتعلمون بجد من روح مقاتلى جيش التحرير المتجلية فى التدريب العسكرى الشاق . فى الصيف الحار كانوا يثابرون على التدريب بالرماية تحت الشمس اللاهبة ، رغم ان البقاء هناك لعدة دقائق يجعل الجسم يتصبب عرقا .

وفى الشتاء كانوا يختارون الاماكن التى تكسوها الثلوج كى يتدربوا فيها على السير فى تشكيلات والانبطاح والزحف .

ومن بين تمريناتهم الشاقة حشد طارئ يعقبه السير فى الظلام .

فى ليلة من ليالى الشتاء ، بينما العائلات فى تشتشوانغ كلها فى نوم عميق اذ انطلقت صفارة حادة من مكبر الصوت . بعد ثلاث دقائق من ذلك وقف ١١٠ افراد من الصفوف الاساسية من الميليشيا مصطفين فى ساحة القرية . فأعلن نائب المرشد قائلا : " تلقينا امرا مستعجلا تلفونيا من دائرة الشؤون العسكرية بالمحافظة . علينا ان نتجه فورا الى نقطة تجمع تقع على الطريق بين تشتشوانغ وقووانغ لتأدية مهمة طارئة . " ولم تمض سبع دقائق حتى قطعوا مسافة ٦٠٠ متر فى الظلام ، ووصلوا الى المكان المحدد .

كان احد الكوادر فى دائرة الشؤون العسكرية بالمحافظة قد ابلغهم هذا الامر بالهاتف من مكتب فيلق قووانغ الانتاجى . وبعد ان وضع

السماعة هرع الى نقطة التجمع . الا ان الميليشيا كانت قد وصلت قبله ، فأسرع اليه قائد السرية وخاطبه بسرعة : " سرية الميليشيا فى تشتشوانغ قد وصلت فى انتظار امر . "

" اين هم ؟ " سأل الكادر .

" اصطفوا ! " هتف القائد ، وما هى الا لحظة حتى ظهر واصطف على الطريق افراد الميليشيا الـ ١١٠ اشخاص الذين كانوا مختبئين فى الحقول ، كانت صفوفهم منتظمة ومعنوياتهم مرتفعة . فارتضى الكادر بذلك واثنى عليهم بأن النظام والسرعة فى التدريب جيد جدا ، ثم اعلن انتهاء هذا التدريب الناجح .

عندما عادوا الى القرية اضاء القائد المصباح عند مدخل مكتب الفيلق الانتاجى ، وامر رجاله بالاصطفاف مرة اخرى . وعندها رأوا امين فرع الحزب وانغ جينغ تينغ الذى كان مريضا وقتها ، بين الصفوف .

فى تشتشوانغ ، ظل كل فرد من افراد الميليشيا ، من امين فرع الحزب الى رجل الميليشيا الجديد فى سن السادسة عشرة ، ينفذ الشعار النضالى " تعلموا من جيش التحرير ، واعتبروا ساحة التدريب ميدان القتال ! "

٩

"قرية سونغتشوانغ الصغيرة" لم تعد فقيرة

يان فنغ مى ، هذه الفتاة المفعمة بالحيوية والنشاط ، تزوجت وانتقلت الى قرية سونغتشوانغ فى عام ١٩٦٨ . وشعرت فى بادئ الامر بأنها غريبة عنها . كانت القرية صغيرة جدا بحيث امكنها ، عندما وقفت فى شارعها الوحيد ، ان ترى الحقول فى كلا طرفى القرية . وذات يوم ، شاهدتها احدى العمات العجائز تقف مستغرقة فى التفكير فخاطبتها مازحة : " ان قريتنا لا تشبه مسقط رأسك ، وليس بها سوى هذا الشارع الوحيد الذى يمكن لهبة واحدة من الريح ان تجتازه من اوله لآخره . "

رغم ان الناس سموه شارعا الا ان طوله ، فى حقيقة الامر ، لم يزد عن مائة متر . كان عدد عائلات سونغتشوانغ ثلاثين عائلة تفلح ٣٢٠ مو من الارض ، وهى اصغر فيلق من الفيالق الانتاجية الـ ٣٨ فى كومونة تشيليينغ . وفى الماضى سماها الناس بشىء من الازدراء " سونغتشوانغ الصغيرة " .

كانت يان فنغ مى من الاوليات القلائل اللائى جئن من القرى الاخرى ليتزوجن رجالا فى سونغتشوانغ ، اذ ان القرية لم تكن صغيرة الحجم وحسب بل كانت معروفة بفقرها ايضا . وحتى سكانها الاصليون ارادوا هجرها الى مكان احسن ، فلا عجب ان كانت الفتيات فى القرى الاخرى لا يرغبن فى الزواج والانتقال اليها .

قبل التحرير ، كانت سونغتشوانغ عبارة عن قطعة من اراضى الخضراوات امتلكها احد كبار ملاك الاراضى فى بلدة تشيليينغ ، وسماها الناس " بستان الخضراوات الشرقى " ، وتجمع فيها بعض الفلاحين الاجراء حتى اصبحت قرية صغيرة . وفى بداية حركة الاصلاح الزراعى عام ١٩٤٩ كانت القرية متكونة من تسع عشرة عائلة من عائلات الفلاحين الاجراء الذين استغلهم مالك الارض دون شفقة ، فأطلق عليها الناس اسما آخر – " قرية الفلاحين الاجراء " .

فى المجتمع القديم كانت القرية فى فقر مدقع . والسبيل الوحيد الذى لجأ اليه اهاليها من اجل الحفاظ على الحياة هو الهروب . وفى عام ١٩٤٢ ، عام القحط الشديد ، غادرت القرية ثمانى عائلات هربا من المجاعة ، واضطرت اربع عائلات اخرى الى بيع اطفالها ، فلم يبق فى القرية الا اقل من عشر عائلات .

بعد التحرير ، تقدمت سونغتشوانغ ببطء شديد بالمقارنة مع غيرها من القرى . ولكن تغير هذا الوضع بعد تأسيس الكومونة ولا سيما بعد عام ١٩٦١ . وعاد بعض القرويين الذين كانوا قد رحلوا

عنها ، فأصبحت فيها الآن ٣١ عائلة تضم اكثر من ١٩٠ فردا .

اليوم ، صارت قرية سونغتشوانغ اول فيلق فى كومونة تشيليينغ الشعبية من حيث معدل انتاج الحبوب فى مو الواحد ، وكمية القطن والحبوب المقدمة للدولة من كل فرد بالمتوسط . وقد شاعت شهرتها فى ارجاء محافظة شينشيانغ .

الخط البيانى المرتفع

ان فرع الحزب لفيلق سونغتشوانغ هو الذى قاد القرية حتى اصبحت قرية اشتراكية جديدة يرتفع انتاجها فى كل من الحبوب والقطن . وصار امينه تشى جيو وانغ اليوم خبيرا محليا معروفا فى زراعة القمح ، ومدرسا غير متفرغ فى المدرسة التقنية الزراعية التابعة لكومونة تشيليينغ وفى مدرسة بايتشيوان الثانوية التقنية الزراعية لمقاطعة خنان ، وهو يدعى دائما لالقاء المحاضرات فى المقاطعات الاخرى . وقبل وقت قريب القى محاضرة فى اجتماع حضره الف شخص من كومونة شوانغتشياو الشهيرة فى بكين حول سبل الحصول على الانتاج العالى للقمح .

عندما عاد الرفيق تشى جيو وانغ الى سونغتشوانغ فى عام ١٩٦١ من معمل اصلاح وصنع الآلات الزراعية للكومونة ، كان نجارا لايعرف سوى ابجديات الزراعة . وبعد ان لاحظ التقدم السريع الذى حققه فيلق ليوتشوانغ وفيلق تشيليينغ وغيرهما من الفيالق بعد تأسيس الكومونة ، طلب العودة الى قريته باختيار . " لماذا لا تحرز قريتنا الصغيرة

سونغتشوانغ ما احرزته سائر القرى ؟ " سأل تشى جيو وانغ نفسه وهو متلهف الى بذل نفسه لمساعدة قريته على التقدم . فطنت لجنة الحزب فى الكومونة الى ما جال فى خاطره واعجبت بتصميمه ، فوافقت على طلبه .

تحت قيادة لجنة الحزب فى الكومونة وبالاعتماد على مبادرة كل اعضاء الحزب واعضاء عصبة الشبيبة فى القرية ، قاد تشى جيو وانغ كومونييها ليبذلوا اقصى جهودهم لمدة اكثر من عشر سنوات حتى غيروا ملامح سونغتشوانغ المتخلفة تغييرا تاما . وفى هذا النضال زاد الكوادر والكومونيون من مقدرتهم وكفاءتهم . لنأخذ يان فنغ مى الفتاة الآنفة الذكر مثلا ، فقد اصبحت الآن نائبة لأمين فرع الحزب وعاملة سياسية جيدة ، تقود النساء فى الانتاج الزراعى وتهتم اهتماما كبيرا بحل مشاكل القرويين اليومية . وتعزى لها الى حد كبير النتائج الجيدة التى احرزها فيلق سونغتشوانغ فى تحديد النسل .

يرتفع باطراد انتاج فيلق سونغتشوانغ من الحبوب والقطن من عام لآخر .

وفى السنوات الثلاث عشرة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٧٣ تضاعف معدل انتاجه من القطن فى مو الواحد ثلاثة اضعاف ، ومن الحبوب ستة اضعاف ونصف . وما يجدر ذكره على وجه الخصوص هو القفزة الرائعة فى معدل انتاجه للقمح من ١٠٠ الى ١١٢٠ جين فى مو الواحد .

الزيادة فى انتاج الحبوب والقطن فى سونغتشوانغ من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٧٣

(الارقام مقدرة بجين فى مو الواحد)

	القطن	القمح	الحبوب الغذائية (بما فيها القمح)
١٩٦١	٦٠	١٠٠	٢٩١
١٩٦٢	٨٠	١٥٥	٣٥٤
١٩٦٣	٤٠	٢٣٠	٣٣٠
١٩٦٤	٨١	٢٨٠	٦١٠
١٩٦٥	١٣٠	٣٠٣	٨٠٧
١٩٦٦	١٤٣	٣٥٥	٨١٢
١٩٦٧	١٣٢	٥٠٣	٩٠٢
١٩٦٨	١٧٦٫٨	٦١٣	١٣٢٢
١٩٦٩	١٨٣	٥٧٣	١٣٠١
١٩٧٠	١٩٠	٧٥١	١٣١٨
١٩٧١	٢٠٨	١٠٠٠	١٥١٣
١٩٧٢	١٤٥	١٠٥٠	١٥٠٠
١٩٧٣	١٨٠	١١٢٠	١٩١٠

ان الخط البيانى المرتفع هو دليل مقنع على روح الثورة المتواصلة التى يتمتع بها اهالى سونغتشوانغ . ان الثورة هى صراع متعدد الجوانب ضد الاعداء الطبقيين وضد الخطوط والافكار الخاطئة وكذلك ضد الطبيعة . وبالرغم من انه لا يوجد مالك ارض ولا فلاح غنى فى سونغتشوانغ الا ان الصراع بين الطبقتين والخطين ما زال باقيا ، وهو يجرى فى اشكال مختلفة ويصبح فى بعض الاحيان عنيفا جدا .

يتقن فرع الحزب فى سونغتشوانغ عمل تثقيف الفلاحين بالماركسية – اللينينية – افكار ماو تسيتونغ ، ويقودهم فى تقدم مستمر على الطريق الاشتراكى بهدى الخط الثورى للرئيس ماو .

الخطوة الاولى

فى خريف ١٩٦١ عاد تشى جيو وانغ الى قريته ، وما لبث ان اجتمع مع اعضاء الحزب الآخرين لعدة امسيات فى كوخ صغير ، واستعرضوا معا الطريق الذى سارت عليه سونغتشوانغ ، وتوصلوا اخيرا الى رأى واحد : ان السبب الرئيسى فى تخلف سونغتشوانغ يرجع الى تقصير منظمتها الحزبية عن تنفيذ الخط الثورى للرئيس ماو تنفيذا جديا .

فى ربيع نفس السنة ، بعث ليو شاو تشى بعض الناس الى كومونة تشيليينغ لترويج خطه التحريفى . وتحت ستار رفع حماس اعضاء الكومونة فى الانتاج ، وزعوا جزءا من احسن الاراضى التى هى ملك

للجماعة على بعض العوائل المتفرقة ، ودفعوا بكل قواهم لتسيير ما يدعى بـ " الحافز المادى ووضع نقاط العمل فى المقام الاول " ، وحثوا الناس على استصلاح الاراضى البور لأنفسهم . لقد هبت هذه الريح الشريرة نحو سونغتشوانغ ايضا ، واثرت فى توطيد الاقتصاد الجماعى وتطويره تأثيرا خطيرا . مثلا ، كان فى القرية عضو من اعضاء الكومونة يرفض ، بتأثير هذه الريح ، الاشتراك فى عمل الانتاج الجماعى ، بل استصلح لنفسه ٥ مو من الارض البور .

وقف فرع الحزب فى فيلق سونغتشوانغ ، بقيادة امينه تشى جيو وانغ ، بصلابة فى وجه هذه الريح الشريرة . ونظم اعضاء الحزب والفلاحين الفقراء والادنى متوسطين لدراسة تعاليم الرئيس ماو القائلة " **لا تنسوا الصراع الطبقى ابدا** " و " **الاشتراكية وحدها هى التى تستطيع انقاذ الصين .** " وبواسطة الدراسة واستعراض الماضى المرير ، ادركوا جميعا ان فيلق سونغتشوانغ لا يمكنه التخلص نهائيا من فقره وتخلفه الا بالمثابرة على السير فى الطريق الاشتراكى . وبعد ذلك عاد الى الطريق الجماعى اولئك الكومونيين القلائل الذين كانوا قد تخلوا عنه ، كما سلم بعض الكومونيين الى الفيلق باختيار الاراضى التى استصلحوها لانفسهم .

وبالاضافة الى ذلك طلب فرع الحزب من اعضائه زيارة عائلات القرويين الآخرين ، حيث يخالطونهم وينشرون بينهم بجهود جبارة افكار الرئيس ماو حول الاعتماد على النفس والنضال الشاق ، وتعاليمه

القائلة " **ان الفقر يولد الرغبة فى التغيير والرغبة فى العمل والرغبة فى القيام بالثورة .** "

وضرب لهم اعضاء الحزب مثلا بفيلقى ليوتشوانغ وتشيليينغ وقالوا : " انهما من فيالق الكومونة ونحن منها ايضا . فكيف استطاعا هما خلال السنوات العديدة منذ تأسيس الكومونة ان يجنيا كل خير من مميزاتها ويغيرا احوالهما تغييرا جذريا بينما نحن لم نحرز شيئا كهذا ؟ من المؤكد ان مميزات الكومونة فى صالح كل فيلق . ولا شك انها ستثمر ثمرا غنيا شريطة ان يبذل الناس اقصى جهودهم فى العمل وينفذوا بحزم الخط الثورى للرئيس ماو .

ولكن بتأثير خط ليو شاو تشى التحريفى وقع بعض القرويين فريسة للفكرة الخاطئة المتمثلة فى الاعتماد كليا على عون الكومونة والدولة ، وهم غير واثقين من قوة فيلقهم ، اذ سأل احدهم : كيف نعمل للتغيير ، ونحن فى ظروف لا نملك معها سوى ٤٠ يدا عاملة و٧ حيوانات للجر وليس لدينا اية آلة ؟

اجابه تشى جيو وانغ :

– علينا الا ننحنى امام الفقر . رغم اننا لم نمتلك الا اربعين زوجا من الايدى لكننا نستطيع بالتأكيد ان نفعل شيئا ما دمنا نعمل وفقا لتعاليم الرئيس ماو . ان جرارات الفيالق الاخرى لم تسقط من السماء . وما نحتاج اليه هو مزيد من المعنوية . ولا يفيدنا شيئا الاعتماد على الآخرين ، بل علينا ان نعتمد على انفسنا . اذا كنتم متشككين

فى ذلك فدعونا نحاول لنرى النتيجة !

ارتفعت همة الجماهير الثورية واستعدت لخوض المعركة . فقرر فرع الحزب ان يتخذ ٤٨ مو من الارض البور فى شمال القرية هدفه الاول فى المعركة . ولسنين عديدة لم يستطع اهالى سونغتشوانغ تجنيد القوى الكافية لاستصلاح هذه الارض المليئة بالاعشاب العميقة الجذور . ومن البديهى انه لا يمكن زراعة المزروعات فيها ان لم تستأصل جذور الاعشاب .

فى بداية عام ١٩٦٢ شن كومونيو سونغتشوانغ معركة عليها ، فأخذوا يقتلعون جذور الاعشاب متحدين البرد القارس وثابروا على عملهم حتى فى الوقت الذى ثارت فيه الرياح الهوجاء وتجمدت الارض كالصخر . وفى هذه المعركة كان دونغ فو يون وتشى جيو فا ، عضوا الحزب ، يعملان دائما فى مقدمة الآخرين . ولم يتردد احد ولم يشك حتى عندما تورمت اصابع قدميه من شدة البرد وانفلعت يداه فلعا عميقا من فعل الضرب القوى بالفؤوس على الارض التى كانت فى صلابة صخر الغرانيت . ليوى يان مى كومونية فى حوالى الخمسين من عمرها ، كانت ضعيفة البنية ، ولكنها قوية العزم ، واعلنت انها لن تتوقف عن العمل قبل ان تقتلع جذور الاعشاب كلها . فكانت صادقة صدق كلمتها اذ واصلت عملها منذ الفجر حتى الغسق لمدة تزيد عن اربعين يوما .

وبفضل هذا المجهود الدؤوب تم اقتلاع ٢٥ طنا من الجذور .

وزرعت الارض المستصلحة بالقطن فى نفس العام وانتجت محصولا جيدا بلغ انتاجه ٧٠ جين فى مو الواحد . واستفاد فرع الحزب من هذا الوضع خير استفادة ونظم القرويين المفعمين بالحماس لاصلاح اكثر من عشرة مو من الاراضى القلوية ، وللقيام بالحراثة الدقيقة والاشراف الجيد على كل اراضيهم .

لقد حققوا اول نجاحاتهم فى عام ١٩٦٢ . فارتفع معدل انتاج فيلق سونغتشوانغ فى مو الواحد الى ٨٠ جين من القطن ، و٣٥٤ جين من الحبوب . وغنى عن القول ان هذه الارقام منخفضة جدا فى نظر اهالى سونغتشوانغ اليوم . ولكنها كانت تشكل تقدما حقيقيا فى ذلك الوقت بالنسبة لهذا الفيلق المتمهل فى سيره لفترة من السنين ، فاشتعلت آمال فى قلوب الناس . ومنذ ذلك الحين تمكن الفيلق من ادخار المال وشراء بعض الآلات وحيوانات الجر .

وفى السنوات القلائل التى تلت ذلك ، بذل فيلق سونغتشوانغ جهودا عظيمة لبناء مشاريع الرى وتسوية الارض وغير ذلك من البناء الاساسى للحقول الزراعية ، واصبحت القرية تنبض بالحركة والنشاط .

الثقة بالنفس والتواضع

بالرغم من ان فيلق سونغتشوانغ اخذ يتقدم بسرعة اكبر من الماضى الا انه ظل بعيدا خلف ليوتشوانغ .

وبغرض دفع الفيالق العادية ولا سيما الفيالق المتخلفة الى التقدم ،

رفعت لجنة الحزب فى كومونة تشيليينغ شعار "تعلموا من داتشاى والحقوا بليوتشوانغ" ، ونظمت الكوادر لزيارة داتشاى – الفيلق النموذجى فى الزراعة على نطاق الوطن ، كما دعت اعضاء الكومونة الى زيارة ليوتشوانغ حتى يتعلموا منه ما يمكن تطبيقه من التجربة فى فيالقهم .

اخذ اغلبية سكان سونغتشوانغ الذين كسبوا خبرتهم الناجحة فى استصلاح الارض البور يستجيبون لنداء الكومونة بحماسة . ولكن عددا ضئيلا منهم كانت تنقصهم الثقة وهم يسألون : "كيف يمكننا ان نتطلع الى اللحاق بليوتشوانغ ؟ واذا ما استطعنا ان نسير خلفه على بعد معين ، يكون الحال حسنا ، لأنه حتى الفلاح العادى هناك يفوق كوادرنا ."

كانت هذه الكلمات خشنة جدا ، الا انها مضبوطة لحد ما ، اذ ان فيلق ليوتشوانغ ظل يقف فى الصفوف المتقدمة للسنوات العديدة ، واعضاءه يتمتعون بالوعى الاشتراكى المرتفع والحماسة الثورية العظيمة ، ويدعى كل عام عشرة او اكثر منهم الى المحافظات المجاورة ليعملوا كتقنيين ، حيث يقدمون خبراتهم فى زراعة الحبوب والقطن . اما كوادر سونغتشوانغ فلم يكتسبوا فى ذلك الوقت خبرات ناجحة للانتاج الزراعى .

وقال تشى جيو وانغ :

– حقيقة ، ظللنا فى المؤخرة طوال هذه السنوات ، فلا غرابة فى ان يشك بعض الناس هنا فى مقدرتهم الذاتية . غير اننا لن نكون جبناء وكسالى . طبعا ، هناك اشياء لا نعرفها ، ولكن يمكن ان نتعلمها ولا

سيما اذا تحلينا بالتواضع مثل تلامذة المدرسة الابتدائية .

لحسن الحظ يقع ليوتشوانغ على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف عن سونغتشوانغ . فكان تشى جيو وانغ وغيره من الكوادر الحزبيين يذهبون اليه دائما ليتعلموا منه بجد . اما كوادر ليوتشوانغ وسكانه فقد لقنوهم خبراتهم بحماسة . وثابر كوادر سونغتشوانغ على دراستها باستمرار وطبقوا منها ما يصلح لظروفه الخاصة . وخلال السنوات القلائل التى تلت ذلك ، ارتفع انتاج سونغتشوانغ من الحبوب والقطن بسرعة . ولما حل عام ١٩٦٧ بلغ معدل انتاجه من الحبوب فى مو الواحد ٩٠٢ جين ، اى اعلى من معدل انتاج ليوتشوانغ بـ ٧ جين .

ان تقدم فيلق سونغتشوانغ الصغير من المؤخرة الى المقدمة قد احدث هزة كبيرة فى كل الكومونة . فاتخذ قادة الكومونة نجاحه مثلا لتشجيع الفيالق المتخلفة الاخرى الى الاقتداء به .

توافد الناس على سونغتشوانغ فى سيل متدفقة ليشاهدوا ما يجرى فيه . وغطت حائط مكتبه الاعلام والجوائز التقديرية التى قدمتها له الكومونة ومحافظة شينشيانغ وولاية شينشيانغ .

تغلب سونغتشوانغ على عقدة الدونية . ولكن نزعات من الغرور والاعتداد بالنفس بدأت تساور بعض الناس ، اذ قالوا : " ان محصولنا من الحبوب لا يتقدم على محصول ليوتشوانغ وحسب ، بل ليس بأقل من محصول داتشاى . وكذلك زادت حصة القطن المقدمة للدولة من كل فرد منا بالمتوسط على ليوتشوانغ ." كانت نغمتهم هذه مزيجا

من الغرور والتبجح .

عندها نظم فرع الحزب مناقشة عامة بين اعضاء الفيلق حول مسألة ما اذا كانت اعمالهم " للتعلم من داتشاى واللحاق بليوتشوانغ " قد تمت ام لا .

وبعد المناقشة اجمعوا رأيا على : ان داتشاى يقع فى المنطقة الجبلية وسونغتشوانغ يقع فى السهول ، والفترة الخالية من الصقيع فى داتشاى قصيرة ، فلا يمكنه الزرع فى السنة الواحدة الا مرة واحدة . اما جو سونغتشوانغ فيسمح له بالزرع مرتين كل سنة . ولكن محصوله من الحبوب للمرتين فى كل مو من اراضيه لم يزد على داتشاى الا بحوالى عشرة جين . اذن ليس هناك اى داع للغرور ، بل العكس هو الصحيح . وبالاضافة الى ذلك ، فان الشئ الاساسى الذى يجب ان يتعلمه من داتشاى هو مثابرته على التمسك بالخط الثورى للرئيس ماو ، وروحه الحميدة . وفى هذا الصدد كيف يمكن للمرء ان يتوقف عن التعلم ؟

وبالمقارنة مع ليوتشوانغ ، ما زال هناك كثير مما يجب التعلم منه من عمله الاكثر فعالية ودقة فى زراعة القطن وادارة الحقول . الحقيقة ان سونغتشوانغ متخلف عنه بمقدار ٣٠ جين من القطن بمعدل الانتاج فى مو الواحد .

وقال امين فرع الحزب تشى جيو وانغ فى ختام المناقشة :

ـ لا داعى مطلقا لأن نكون مغرورين . يعلمنا الرئيس ماو " **ان**

التواضع يساعد المرء على التقدم بينما الغرور يجعله يتخلف . وهذه حقيقة يجب ان نتذكرها دائما وابدا . " ويمكننى القول بأن كل واحد منا قد حفظ هذا المقتطف عن ظهر قلبه . فلنجعله الآن مرشدا لنا فى اعمالنا .

لم يمض وقت طويل على هذه المناقشة حتى ذهبت جماعات من كوادر سونغتشوانغ واعضائه لمشاهدة حقول القطن فى ليوتشوانغ . فوجدوا ان متوسط عدد اللوزات فى كل شجيرة هناك اكثر منه فى حقولهم . ولما كانت كثافة الزرع فى كل من القريتين ٥٠٠٠ شجيرة فى مو الواحد فطبيعى اذن ان يكون محصول ليوتشوانغ اعلى .

وتبين من خلال التحليل ان ما يسبب قلة عدد اللوزات لكل شجيرة فى سونغتشوانغ الذى استخدم نفس الاسلوب الزراعى لليوتشوانغ ، هو انخفاض خصب تربته . ومن اجل تقليص الفرق ، قرر اهالى سونغتشوانغ ان يسمدوا الارض اكثر ويزيدوا عدد شجيرات القطن من ٥٠٠٠ الى ٦٨٠٠ شجيرة فى كل مو .

فى اغسطس ١٩٦٨ ، عندما اصبح القطن فى مرحلة النضوج نظمت الكومونة زيارات متبادلة بين الفيالق المختلفة للمقايسة . فوجد الناس ان كل شجيرة فى ليوتشوانغ حملت اكثر مما كانت عليه فى سونغتشوانغ بلوزتين بالمتوسط . ولكن الاخير زرع القطن اكثر من الاول بـ ١٠٠٠ شجيرة ونيف فى كل مو . لذلك بلغ معدل الانتاج لمو الواحد فى كل من القريتين فى ذلك الخريف ١٧٦ جين من القطن

المحلوج . وبالتحديد ، كان معدل انتاج سونغتشوانغ اكثر من معدل انتاج ليوتشوانغ بأربعة اخماس جين .

ومنذ تلك السنة ، التحق سونغتشوانغ بليوتشوانغ من حيث انتاج الحبوب والقطن ، الا انه ظل يبحث عن نقاط ضعفه فى اوجه تخلفه الاخرى ويتخذ الاجراءات اللازمة لاحراز مزيد من التقدم .

تفاؤل ثورى

تشى جيو وانغ رجل مرح لا يراوده الغرور عند النجاح ولا تصيبه خيبة الامل امام النكسات ، ولا تعلو وجهه ابدا سحب القلق . وكلما تشاورت لجنة الحزب فى الكومونة عن كيفية مجابهة صعوبة من الصعوبات قدم تشى جيو وانغ اقتراحات ايجابية اليها . ويصف الناس تفاؤله الثورى قائلين : " ان المشاكل تنكمش امام جيو وانغ " . وشاع هذا التعليق اثناء المعركة ضد الموجة الباردة التى وقعت فى عام ١٩٦٩ .

فى عام ١٩٦٨ جنت كومونة تشيليينغ حصادا وافرا ، ولكن فى اوائل ربيع ١٩٦٩ جاءت موجة باردة قوية من سيبريا ، فنزلت درجة الحرارة الى ١٥ درجة سنتيغراد تحت الصفر ، الامر الذى اضر معظم قمح الكومونة بصورة خطيرة .

وبعد مضى الموجة الباردة ركب جيو جى يوى امين لجنة الحزب فى الكومونة الدراجة ، وطاف بكل فيالق الكومونة يتفقد الاحوال . وقد اصيب بقلق شديد على المزروعات التى لحق بها الضرر الكبير .

ولكنه ما لبث ان اشرق وجهه عندما رأى اعضاء فيلق سونغتشوانغ يعزقون حقول القمح بنشاط كبير .

تقدم الامين جيو نحو امين فرع الحزب فى الفيلق تشى جيو وانغ الذى كان يعمل جنبا الى جنب مع الفلاحين الآخرين ، وسأله :

– هل اضرت الموجة الباردة بقمحكم كثيرا ؟

– نعم ، لقد ماتت بعض شتلاته .

– ولكن تبدو معنوية اعضاء الكومونة عالية !

– حقا ، لقد دعا فرع الحزب الى اجتماع عام للفيلق لرفع روحهم المعنوية .

– حسنا ! اخبرنى كيف جرى ذلك !

وهذه هى القصة : بعد ان هجمت الموجة الباردة على سونغتشوانغ ، انتاب التشاؤم بعض الناس ، ولكن اغلبيتهم احتفظوا برباطة جأشهم . اما تشى جيو وانغ فقد ظل فى معنوية عالية كعادته . وعندما اجتمع فرع الحزب ليناقش ما يجب ان يعمل ، كان اقتراحه هو رفع الروح المعنوية لدى الجماهير واتخاذ الخطوات الصحيحة لتغيير الاحوال .

وفى الاجتماع الجماهيرى الذى اعقب ذلك ، تحدث تشى جيو وانغ الى الفلاحين عن كيفية تغلب دانشاى على كارثة البرد فى عام ١٩٦٨ : وقتها تخربت الشتلات من الدخن نصفها . ومع ذلك لم ييأس الفلاحون هناك مطلقا ، بل ثابروا على النضال حتى وجدوا السبل الملائمة للتغلب على الازمة . ولم يسمع احد من قبل نقل شتلات الدخن

لغرسها ، غير ان اهالى داتشاى جربوا ذلك بشجاعة مستخدمين الشتلات التى اقتلعتها الكومونات الاخرى من حقولها خلال تخفيف كثافة المزروعات . ونتيجة لذلك بلغ معدل انتاج الدخن فى تلك السنة ٨٠٠ جين فى كل مو ، اى زاد بنسبة ٣٠ ٪ عما كان عليه فى اى سنة وافرة الحصاد . بالاضافة الى ذلك ، استفاد اهالى داتشاى من هذه التجربة وبدأوا يتخذون طريقة نقل شتلات الدخن الى الحقول التى حصد منها القمح حديثا ، الامر الذى جعل هذه الحقول تنتج مرتين كل عام بدلا من مرة واحدة . فقال تشن يونغ قوى ، امين فرع الحزب السابق فى داتشاى : "علينا ان نشكر البرد ، لانه اجبرنا على اصلاح نظام زراعتنا القديم ."

فسأل تشى جيو وانغ الجميع :

– استطاع اهالى داتشاى ان يحولوا الشىء السىء الى شىء حسن ، فلماذا لا نستطيع نحن ؟ فى رأيى ، كلما عظمت الصعاب ، توجب علينا ان نتعلم من روح داتشاى الصلبة .

ثم تذكر تشى جيو وانغ مع اعضاء الكومونة الآخرين كارثة حدثت فى سونغتشوانغ فى عام ١٩٥٣ . وقتها تعرض القمح ايضا للبرودة القارسة . بيد ان بعضه اخرج فروعا جانبية جديدة فى شهر مايو . وذلك يدل على انه طالما بقيت جذور الشتلات حية ظل بعض الامل فيها .

فقرر الاجتماع بذل اقصى الجهود لانقاذ النباتات المصابة عن طريق تفتيت التربة ووضع سماد سريع الفعالية .

كان امين لجنة الحزب فى الكومونة جيو جى يوى مرتاحا للغاية لما سمعه فى سونغتشوانغ . فركب الدراجة عائدا الى مكتب الكومونة فى روح عالية . وحالما وصل اليه دعا الى اجتماع تلفونى نشر فيه خبرة سونغتشوانغ راجيا ان تتعلم الفيالق الاخرى من داتشاى كما فعل سونغتشوانغ .

فى تلك السنة (١٩٦٩) بلغ معدل انتاج سونغتشوانغ من القمح فى مو الواحد ٥٧٣ جين ، اى اقل بأربعين جين فقط عما كان عليه فى عام ١٩٦٨ . كما حصلت الكومونة كلها على حصاد جيد نسبيا . وتحدث تشى جيو وانغ عما تعلمه من ذلك النضال قائلا :

– رغم ان الناس يقولون اننى متفائل لكننى ايضا ظننت ان حالنا سيكون لا بأس به اذا استطعنا بعد موجة باردة كتلك ان نجنى من الحبوب بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ جين فى كل مو لسد حاجة انفسنا . ولكن الامور اصبحت احسن بكثير . فى الحقيقة ان الجماهير هم الابطال الحقيقيون . وطالما كنا نحن الكوادر قادرين على السير فى طريقنا دون ان نتزعزع فى العاصفة فما من شك فى ان الجماهير ستتحدى الزوابع والامواج وتتقدم معنا الى الامام .

القوة الدافعة لصعود قمم جديدة

يعرف متسلق الجبال من خبرته انه كلما صعد الى اعلى اصبح التسلق اكثر صعوبة . ويكون الشىء نفسه فى الزراعة ، فعندما يرتفع

الانتاج الى نقطة معينة فلا بد من بذل جهود اكبر وتحمل مشقات اكثر لرفعه الى درجة اعلى .

فى عام ١٩٧٠ بلغ معدل انتاج سونغتشوانغ فى مو الواحد ١٩٠ جين من القطن و٧٥١ جين من القمح و ١٣١٨ جين من الحبوب (بما فيها القمح والذرة الشامية والدخن . . . الخ) . كانت هذه الارقام عالية جدا . بيد ان اعضاء فيلق سونغتشوانغ لم يقنعوا بها ، بل ارادوا رفعها الى مستوى اعلى . ومن اجل بلوغ ذلك يجب عليهم ان يبذلوا جهودا اكبر ، وان يقيموا اولا كما يفعل متسلقو الجبال معسكرا لانفسهم ، حيث يقومون بالاعمال التحضيرية ثم يندفعون بكامل قواهم الى الصعود الجديد .

وعليه ، وقبل ان وضع فرع الحزب فى سونغتشوانغ خطته للحصول على حصاد اوفر فى عام ١٩٧١ ، دعا الى اجتماع حضره اعضاء الحزب واعضاء عصبة الشبيبة الشيوعية . وفى ذلك الاجتماع طلب منهم ان يعبروا عن آرائهم بصراحة وان يعرضوا الصعوبات والمشاكل التى سيواجهونها فى طريق تقدمهم وان يناقشوا كيفية معالجتها .

كانت احدى المشاكل هى ان الارتفاع المستمر فى الانتاج يحتاج الى مزيد من الايدى العاملة . رغم ان سونغتشوانغ قد اشترى بعض الآلات الزراعية – الجرار الواحد وآلات الدراس وآلات التكسير وناثرات "المطر الصناعى" . . . ، غير ان كمية العمل فى حصد القمح وتشميسه ودرسه وتخزينه قد تضاعفت نظرا لأن محصول القمح صار

الآن ضعف ما كان عليه قبل اربع سنوات .

والى جانب ذلك ، يقتضى اى ارتفاع جديد فى الانتاج التقنية الزراعية الجديدة والادارة الاكثر دقة . كان سكان سونغتشوانغ يدققون فعلا فى زراعة القمح . ومن عادتهم ان يسلفوا التربة عشرين مرة قبل البذر وهذا الامر لم يسمع فى مكان آخر . فلا بد اذن من عمل اكثر دقة ومزيد من الايدى العاملة اذا ارادوا رفع الانتاج الى درجة اعلى .

وبعد المناقشة ادرك اعضاء الحزب وعصبة الشبيبة الشيوعية انه من اجل تحقيق الانتاج المرتفع المستمر ، يجب ان يبذلوا اقصى جهودهم ، وليس هذا فحسب ، بل الشىء الاهم ان يعرفوا بوضوح هدف الزراعة الذى هو تقديم مساهمات اعظم للوطن الاشتراكى وللثورة ، وليس بتحسين معيشتهم فقط .

بعد ذلك عرضت قيادة الفيلق خطة زيادة الانتاج فى عام ١٩٧١ – ٢٠٠ جين من القطن و ٩٠٠ جين من القمح فى كل مو . ثم ناقش ذلك كومونيو سونغتشوانغ فى خمس جماعات . وكان النقاش ناجحا الا فى جماعة واحدة تكون معظم افرادها من الشباب الذين كان بعضهم سريع الانفعال .

انفجر تشى جيو كوان ، وهو رجل متوسط العمر فى هذه الجماعة ، بعد ان سمع تلك الارقام المحددة وقال : "لماذا نرفع الارقام بهذه الصورة ؟ الا يعنى ذلك اننا نسعى الى المتاعب ؟ "فناظره الشباب حتى كادوا يتشاجرون . وحينئذ جاء امين فرع الحزب تشى جيو وانغ اليهم ،

واقترح تأجيل الاجتماع الى يوم آخر . ثم طلب من تشى جيو كوان ان يرافقه الى بيته ليناقشه بروح اخوية .

عرف تشى جيو وانغ ان تشى جيو كوان كان مجتهدا فى عمله ، غير ان افكاره لم تتمش مع تطور الوضع . فأثنى على عمله الجيد ، وفى نفس الوقت ساعده بصبر على رؤية الآفاق البعيدة .

واستذكرا معا ما جرى فى الماضى . كانت قرية سونغتشوانغ فقيرة قبل تأسيس الكومونة . فليس عجيبا ان كان بعض الناس يهدفون برفع الانتاج الى تحسين معيشتهم . "ولكن الامور تختلف الآن" قال تشى جيو وانغ ، "اذ ان محصولنا فى العام الواحد يضمن لنا طعام العامين ، وسوف لا نموت جوعا حتى اذا لم نعمل لعام كامل . اذن ما هو دافعنا فى سعينا الى انتاج اعلى ؟ اننا ، شأننا شأن اخواننا العمال ، نعمل لبناء وطننا العظيم حتى يصبح بلادا اشتراكية قوية تمد يد العون لجميع الشعوب الكادحة فى العالم ، التى لم تتحرر بعد . فيجب على قريتنا سونغتشوانغ ، مع صغرها ، ان تقدم نصيبها من المساهمة . . ."

فى ذلك الليل اوضح تشى جيو وانغ اشياء كثيرة لهذا الفلاح ، وساعده على توسيع رؤيته من عائلته الصغيرة حتى الكومونة والدولة والعالم قاطبة . وعند وداعه خاطبه تشى جيو وانغ : "يعلمنا الرئيس ماو : ' **يجدر بالصين ان تسهم بنصيب اوفر فى خدمة البشرية** . ' فادرس هذا التعليم جيدا بعد عودتك الى البيت ."

فى ذلك العام لم يحقق فيلق سونغتشوانغ هدفيه من الحبوب والقطن

فحسب ، بل تجاوزهما ايضا .

ان فكرة الزراعة من اجل الثورة تنغرس جذورها اعمق فأعمق فى قلوب سكان سونغتشوانغ ، وهم يعملون بلا انقطاع لاحتلال قمم اعلى فى انتاج الحبوب والقطن ، مدفوعين بالهدف السامى هدف تقديم مساهمات اعظم للوطن ولكل البشرية .

١٠

قائد فرقة شاب ينضج تدريجيا

ذات يوم قبل اربع سنوات ولمعالجة امر من الامور ، جاء ليوى شو موه امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيليينغ الانتاجى الى فرقة الانتاج الـ ٢٩ حيث قابل صدفة ليو وان تشن البالغ من العمر ٢١ عاما ، مسجل نقاط العمل . وعندما دار الحديث بينهما عن شؤون هذه الفرقة وجد الامين ان هذا الشاب غير راض بأوضاعها القائمة . وعند فراقهما قال ليو وان تشن : "لا اصدق ابدا ان فرقتنا لا تستطيع ان تفعل احسن مما فعلت !" القى ليوى شو موه نظرة خاطفة على هذا الشاب النحيل الملىء بالحيوية وابتسم له ابتسامة تنم عن الرضى ، وظهرت على زوايا عينيه تجاعيد عميقة .

كان ليوى شو موه ، وهو فى الخمسين من عمره ، متوسط الطول يرتدى سترة من القماش المحلى ويتناول غليونا بين اسنانه . . يبدو فلاحا عاديا مستقيما مخلصا ، الا ان الذين الفوه جيدا يعرفون انه نفاذ فى المجال السياسى . فقد ظل كادرا منذ حركة الاصلاح الزراعى التى اعقبت التحرير وهو من اوائل حداة حركة التعاون الزراعى فى هذه المنطقة ، وعمل كأول رئيس لكومونة تشيليينغ عندما اسست فى عام ١٩٥٨ .

وخلال ربع القرن الماضى منذ التحرير ، تمسك بحزم بخط الرئيس ماو البروليتارى الثورى وقاد الاهالى المحليين فى الصراع ضد الاعداء الطبقيين وضد الخطوط الخاطئة والكوارث الطبيعية ، واكسبه كل هذا مكانة رفيعة بين اعضاء الكومونة . انه الآن نائب لامين لجنة الحزب فى كومونة تشيليينغ وعضو فى اللجنة الدائمة التابعة للجنة الثورية فى مقاطعة خنان . وكان مندوبا للمؤتمرين الوطنيين التاسع والعاشر للحزب الشيوعى الصينى فى عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٣ .

وبالرغم من ان ليوى شو موه يتقلد عدة مناصب فى وقت واحد بيد انه يوجه اكبر اهتمامه لعمل فيلق تشيليينغ الذى يحتل مكانة هامة فى كل الكومونة ، اذ انه اكبر فيلق فيها حيث يشكل سبعا من مجموع اراضيها وسكانها ، ومن الطبيعى ان يكون انتاجه من الحبوب والقطن عاملا هاما فى مجمل انتاج الكومونة .

ان ادارة فيلق كبير كهذا ليست بالشىء السهل ، ولا يمكن مباشرتها بدون مجموعة من الكوادر القادرين والنفاذين سياسيا . وكان احد النجاحات الهامة التى احرزها فيلق تشيليينغ فى السنوات القلائل الماضية هو النضج السريع لكوادر جيدين من هذا النوع ولاسيما الكوادر الشباب . ومن بين نواب امين فرع الحزب العام فى الفيلق شاب لم يزد عمره على ٢٥ سنة ، وهو ايضا اصغر اعضاء لجنة الحزب بالكومونة سنا . وفى معظم فروع الحزب التى تباشر القيادة على الـ ٣٤ فرقة عدد يتراوح بين واحد وثلاثة شبان اعمارهم دون الثلاثين ويعملون كأمناء

او نواب امين . وان الكوادر فى الهيئات القيادية على مستوى الفيلق والفرقة الانتاجية يشكل الشبان حوالى ثلث منهم . وبارشاد ليوى شو موه وامثاله من الكوادر قفز فيلق تشيليينغ الى الصفوف المتقدمة على نطاق الكومونة فى عام ١٩٦٩ .

ومع ذلك فان "الواحد ينقسم الى اثنين" فى جميع الاشياء ، واى شيء متقدم له ايضا جوانب متخلفة . هناك مثل صينى يقول : "اصابع الانسان العشر لا يمكن أن تكون بنفس الطول" . وبين الـ ٣٤ فرقة انتاجية فى فيلق تشيليينغ قلة قليلة من الفرق المتخلفة ، والفرقة الـ ٢٩ التى ينتمى اليها ليو وان تشن هى واحدة منها . كان انتاجها منخفضا بسبب افتقارها لمدة طويلة الى هيئة قيادية قوية ولا سيما قائد جيد . فى عام ١٩٦٩ كان متوسط انتاج القطن فى الفرق الاخرى يتراوح بين ١٥٠ و ١٦٠ جين فى مو الواحد واعلى رقم هو ٢٠٠ جين ، لكن الفرقة الـ ٢٩ جنت فقط ٩٧ جين فى مو الواحد .

وكثيرا ما كان ليوى شو موه يذهب الى الفرقة الـ ٢٩ املا فى ان يساعدها على تغيير اوضاعها المتخلفة . وقابل فى رحلته هذه ليو وان تشن ، وفى طريقه الى البيت كانت كلمات هذا الشاب الطامح "لا اصدق ابدا ان فرقتنا لا تستطيع ان تفعل احسن مما فعلت !" تتردد فى اذنيه . كم كان حماسه الثورى المتمثل فى حرصه الشديد على تغيير الاوضاع القائمة قيما ثمينا اذا ما قورن بالخمول والفتور لدى بعض الكوادر ! كان ليوى شو موه يمشى ويعود بذاكرته الى مقابلاته الاولى

مع ليو وان تشن : كان الشاب الصغير يتعلم فى المدرسة الثانوية ، الا ان ملاحظاته حول الاشخاص والاحداث اثناء الثورة الثقافية الكبرى كانت تدل على انه لم يضل اتجاه طريقه خلال الصراع الطبقى المعقد ، وذلك يوضح انه شاب ذو وعى سياسى مرتفع .

وفى اوائل عام ١٩٧٠ طرح فرع الحزب قائمة بأسماء المرشحين لمناصب كوادر الفرقة وذلك بعد الدراسة على اساس التحرى الدقيق الذى قام به ليوى شو موه واستشارة الجماهير ، وكان اسم ليو وان تشن اول اسماء القائمة هذه ، لان معظم اعضاء الفرقة كانوا يعتبرونه صريحا منكرا لذاته وجريئا فى تفكيره وعمله . ولكن كان هناك قليل من الناس لا يطمئنون اليه خشية ان تنقصه التجربة كقائد فرقة الانتاج وهو لم يتخرج من المدرسة الا قبل سنة واحدة فقط . بيد ان ما يحتل مركز الصدارة فى تفكير ليوى شو موه هو المبدأ الذى يؤكده الرئيس ماو مرارا وتكرارا منذ زمان بعيد – مبدأ اختيار واعداد الكوادر الجدد والخلف الثورى من بين الشباب . واذا كان الشتل جيدا يجب ان يحف بالعناية حتى تكبر مقدرته وينمو وعيه السياسى اثناء ممارسته العملية .

وعندما لاحظ ليوى شو موه ان الشاب متردد يشك فى اهلية نفسه لقيادة الفرقة راح يشجعه بحرارة قائلا : "انك الآن احسن بكثير مما كنت عليه عندما اصبحت كادرا اثناء الاصلاح الزراعى . كنت لا اعرف القراءة والكتابة ، ولا افهم ما كان يقوله المتحدثون فى اجتماعات

المحافظة او المركز ، وبعد استماعى اليهم لنصف يوم لم يزد ما نقلته للناس اثر عودتى على جملتين . وانت اقدر منى فى هذه الناحية . اذن عليك ان تتعلم خلال الممارسة ، وكن على استعداد لاصلاح خطأ قد ترتكبه . وما الذى يبعث فى نفسك الخوف ؟"

قال ليو وان تشن انه يخشى فقط دفع الفرقة الى حالة من الفوضى نتيجة عدم الخبرة لديه . وابتسم ليوى شو موه قائلا : "ان عدم الخبرة يمكن التغلب عليه بالتعلم فى تواضع من الآخرين . ولا تقلق اذا اصابتك بعض العثرات فى البداية . أ تصبح حالة الفرقة أسوأ مما تكون عليه ؟"

عندما تسلم ليو وان تشن قيادة الفرقة كانت ممتلكاتها الجماعية ضئيلة يرثى لها – ستة ثيران شائخة وبغلان مريضان وعربتان قديمتان . ولم تكن لها مدخرات من الاموال مطلقا . واضافة الى ذلك كانت قد استدانت ٧٠٠٠ يوان من تعاونية التسليف .

حضر ليوى شو موه شخصيا ليترأس اول اجتماع للجنة الفرقة الجديدة ومعه نسخة من « مقالات ومقتطفات من مؤلفات ماو تسيتونغ (طبعة خاصة رقم ١) » ، وطلب من ليو وان تشن ان يقرأ للجميع مقالة « تعريف تعاونية زراعية » . فى هذا المقال مدح الرئيس ماو تعاونية ينغجيوى الزراعية من محافظة فنغتشيو فى مقاطعة خنان والتى اعتمدت على جهودها الذاتية واستفادت خير استفادة من حكمة الجماهير فى النضال المرير ضد الكوارث الطبيعية واحرزت تغيرا جذريا عن وضعها المتخلف السابق فى مدة قصيرة لا تتجاوز العامين .

عندما اتم ليو وان تشن قراءة المقال سأله ليوى شو موه : "ما هى النقطة الاساسية ؟"

أجاب الشاب مستشهدا بأحد مقتطفات الرئيس ماو : "**ان الفقر يولد الرغبة فى التغيير والرغبة فى العمل والرغبة فى الثورة** ."

"صحيح !" قال ليوى شو موه مادحا ، ثم دعا الجميع الى المناقشة . فجرت المناقشة فى جو من الحماسة ، وكان الرأى العام فى النهاية : ان تلك التعاونية قد غيرت وضع نفسها بعد عامين ، فهل من الممكن ان نغير وضعنا فى ثلاث سنوات اوخمس ؟

فى الختام اوصى ليوى شو موه اللجنة الجديدة بأن تعتمد على الجماهير وان ترحب بتعبير الجماهير عن ملاحظاتها وآرائها وان تباشر النقد الذاتى على الدوام ، كما طلب من الاعضاء الاكبر سنا ان يساعدوا ليو وان تشن لانه كان صغير السن تنقصه الخبرة . وقد مد هذا الاجتماع اعضاء اللجنة بالثقة والحماس .

تطوير الديمقراطية والاعتماد على الجماهير

عند موعد رى القمح فى الربيع كان ليو وان تشن ، وهو يفيض حيوية ، يقود جماعة من اعضاء الكومونة لرى الحقول . وبالاضافة الى اداء النوبة الليلية كان يساعد اعضاء الفرقة فى النهار ، بعد توزيع الاعمال عليهم ، فى جر العربة ونقل الاسمدة وتسوية الحقول . وفى الشهور المتتالية كان يقف دائما فى المقدمة ويؤدى اشق الاعمال ، كما كان

صارما مع الآخرين فى العمل . ولكنه وجد بعض اعضاء الكومونة غير متحمسين ، كما طرقت اذنيه شكاوى عديدة .

ما الخطأ الذى ارتكبه ؟ وبغرض اكتشاف نواقصه فى العمل واستطلاع آراء الآخرين عنه ، دعا الى عقد اجتماع للجنة الفرقة . وفى بداية الامر لم يكن احد يبدى رأيه ، وبعد ان كرر ليووان تشن رجاءه طالبا نقده، اقدم دو فا تاى على تبديد الصمت :

ــ عليك بصفتك قائدا للفرقة ان تكون اكثر اهتماما بالآخرين . فى ذلك اليوم كان الناس يقلبون التربة لمساعدة شجيرات القطن على النمو ، فلم تقترح عليهم ان يتوقفوا عن العمل الا بعد الساعة الثانية ظهرا . ان لديك من يطبخ لك الطعام فى البيت ، الا ان بعض الناس ليس لديهم من يطبخ لهم . فلماذا لم تفكر فى هذا ؟

اضاف تشانغ يوى شيو امين المخزن :

ــ عليك ان تنتبه الى طريقة توجيه النقد الى غيرك، ولا تزجر الآخرين.

وبعد ان تكلم معظم اعضاء اللجنة اقترحت وانغ دى ينغ رئيسة فصيلة النساء فى الفرقة عقد اجتماع عام لاعضاء الفرقة على الفور لمناقشة العمل وتدبيره قبيل حلول موسم النشاط الزراعى الصيفى ــ الحصاد والبذار وادارة الحقول ، فقبل ليو وان تشن النقد والاقتراح فى تواضع .

وفى الاجتماع العام قام ليو وان تشن بتلخيص عمل الفرقة فى الآونة الاخيرة ونقد نفسه باخلاص ، فارتاحت نفوس الاعضاء لهذا وقال بعضهم ان ليو وان تشن وغيره من الكوادر فعلوا كثيرا من اجل الفرقة ،

فيجب على كل فرد من افراد الفرقة ان يؤدى عمله بصورة احسن وان يقدم لهم مزيدا من الدعم . وكذلك قام بعض الاعضاء بالنقد الذاتى من تلقاء انفسهم .

ولدى مناقشة نقص الايدى العاملة فى موسم النشاط الزراعى الصيفى ، قدمت اقتراحات جيدة عديدة . فاقترح احدهم اقامة روضة الاطفال حتى تتمكن نساء اكثر من المساهمة فى العمل ، ووعد عدد من النساء بتنظيم عملهن المنزلى بصورة احسن لكى يكون لهن مزيد من الوقت للمساهمة فى الاشغال الزراعية . فى ذلك العام حصدت الفرقة الـ ٢٩ محصولها من القمح بسرعة ونظفت حقولها تنظيفا جيدا ، كما حسنت ادارة حقول القطن الى حدكبير .

من هذين الاجتماعين فهم ليو وان تشن ضرورة تطوير الديمقراطية والاعتماد على الجماهير . لذلك راح يزور دائما منازل اعضاء الفرقة ليتحدث معهم ويسألهم آراءهم حول العمل ، فكانوا يتحدثون اليه بحرية وحماس ، ويدعمونه ويساعدونه بحرارة على مباشرة القيادة بصورة فعالة .

فى ذلك العام وبفضل الجهود الجبارة التى بذلها جميع الاعضاء ، ارتفع مردود الحبوب للفرقة الـ ٢٩ من ٥٤٠ جين الى ٧٢٨ جين فى مو الواحد ، ومردود القطن المحلوج من ٩٧ جين الى ١٤٠ جين . كما ارتفع معدل الدخل السنوى للفرد الواحد بنسبة ١٨ فى المائة بالمقارنة مع السنة السابقة له . ولم تتمكن الفرقة من تسديد دينها الى تعاونية

التسليف فحسب ، بل اشترت بأموالها بغلا وعربة ذات اطارات مطاطية .

شهد الوضع فى الفرقة الـ ٢٩ تحسنا مستمرا ، بيد ان ليو وان تشن صار نحيفا الى درجة كبيرة بسبب العمل الشاق . فى ربيع ١٩٧١ اضطر الى ملازمة الفراش فى بيته لان ساقه اصيبت بضرر الصقيع البارد ، غير انه لم يغب عن ذهنه عمل الفرقة ، فكان يحادث اعضاء الفرقة على الدوام ويطلب من احد الرفاق ان يأخذه بعربة اليد الى الحقول ليرى المزروعات ويتعرف على حالة نموها .

التعلم من الآخرين بتواضع

كان ليو وان تشن يطلب يد المساعدة من ليوى شو موه كلما صادفته بعض المصاعب او المشاكل . فى بداية ربيع ١٩٧١ كانت الفرقة بحاجة الى شراء السماد الكيماوى الا انه كانت تنقصها النقود ، فاستأنس ليو وان تشن لرأى ليوى شو موه . وبعد ان استفسر الاخير عن مصروفات الفرقة قال له باسما : "ان فرقتكم ليست غنية ولم تبدأ تغيير الحالة الا منذ وقت قريب ، وعليكم اذن الا تزيدوا المصروفات الى حد كبير و يبدو لى انكم اشتريتم كثيرا فى الآونة الاخيرة ، ألا يستحسن ان تدخروا بعض المال لسد الحاجة الملحة ؟" ثم نبه ليو وان تشن الى اعطاء عناية اكثر عند وضع ميزانية الفرقة .

وفيما يتعلق بنقصان السماد فقد قدم نصيحة ملموسة ملائمة لفرقتهم الفقيرة . كان ينقصها مال ولكن لها ايد عاملة كافية ، فاقترح عليهم

ان يهدموا بعض المنازل القديمة فى القرية ويبنوا منازل جديدة . كانت حيطانها الطينية ، اذ يتخللها البوتاسيوم ، هى اسمدة جيدة يمكن استخدامها ، واذا ما وافق اصحاب المنازل امكن للفرقة ان توكل الى بعض الناس مساعدة اهلها على هدم المنازل القديمة وبناء منازل جديدة . وقد نفذ هذا الاقتراح وحصلت الفرقة فى هذه السنة على اربعمائة عربة من الطين الغنى بالبوتاسيوم . وبالاضافة الى المسحوق العظامى الذى اشترته الفرقة فى السنة السابقة والاسمدة المتنوعة التى حضرها اعضاء الفرقة ، تمكنت الفرقة من سد حاجتها من الاسمدة دون ان تصرف نقودا .

كان ليو وان تشن يتعلم ايضا بتواضع من الفلاحين المسنين المتمرسين . قبل التحرير كان معظم الاهالى فى الفرقة الـ ٢٩ يزرعون الخضراوات وانواع القرع ، ولم يكن منهم سوى قليل من الماهرين فى زراعة الحبوب . وكان ليو تشوان تسونغ وهو الآن يرعى المواشى واحدا من هؤلاء ، وليو وان تشن يستشيره دائما . فى السنوات الاخيرة كان من عادة هذا الفلاح المسن ان ينتهز وقت فراغه ، عندما يصبح القمح فى مرحلة النضج ، ليطوف بدراجته حول حقول القمح ، ثم ينصح ليو وان تشن محددا اية قطعة من الحقول يمكن حصدها اولا ، وايتها تترك لتحصد بعد ايام .

كانت الفرقة السادسة من الفرق المتقدمة فى فيلق تشيليينغ ، وكان قائدها ليوى مينغ كه يهتم بموقف الفرقة الـ ٢٩ المتخلفة ، ويود ان يقدم لها العون ، ولكنه لا يجد الى ذلك سبيلا . ولهذا ، عندما حضر ليو

وان تشن لمشاورته ، كان مسرورا جدا ، فهو يقاسم هذا الشاب الشغوف بالتعلم خبرته فى تنظيم وقيادة العمل ، التى اكتسبها خلال عشرين سنة .

التمسك بالصراع الطبقى تمسكا حازما

كان فى الفرقة التاسعة والعشرين ٣٦ عائلة فقط منها عدد ضئيل من الاعداء الطبقيين من مختلف الانواع – ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء والمعادين للثورة والعناصر السيئة واليمينيين .

فى ربيع ١٩٧٠ ، عندما تحدث ليوى شو موه مع ليو وان تشن حول العمل فى فرقته ، سأله عن موقف هذه الحفنة من الاعداء ، فأجاب الشاب بلا اكتراث وقد كان مركزا كل اهتمامه على عمل نثر البذور : "يبدو انهم لا يدبرون شيئا ."

"لا يدبرون شيئا ؟" تساءل ليوى شو موه ثم اضاف بلهجة صارمة : "لايجوز اهمال الصراع الطبقى او ارخاء القبضة عليه ، وعليك بصفتك قائدا للفرقة ان تراقب الاعداء الطبقيين حتى تعرف من منهم يخلق المشاكل ."

بعد هذا التنبيه اصبح ليو وان تشن يراقب باهتمام لا القضايا المتعلقة بالانتاج وحدها بل اتجاهات سير الصراع الطبقى كذلك .

فى يوم من ايام اواخر مايو ١٩٧٠ ، مرت عربة للفرقة الثالثة يجرها بغل كبير تم شراؤه حديثا ، بحقل القطن حيث عمل اعضاء الفرقة الـ ٢٩ . وقال ليو مينغ تشن فى سخرية وهو من ملاك الاراضى فى

الفرقة : "انظر ، يا لهم من قادرين ! فقد اشتروا بغلا جميلا . ان فرقتنا الفقيرة لا تستطيع ابدا ان تفعل ذلك !"

حدث هذا الحادث على اثر الاجتماع العام للاعضاء الذى ترأسه ليو وان تشن . فى ذلك الوقت صار معظم الاعضاء متحمسين لتغيير وضع الفرقة ، بيد ان بعضهم كانت تنقصهم الثقة بالنفس ، وهم يؤثرون الانتظار والتفرج . ومن الواضح ان ليو مينغ تشن كان بكلامه ذلك يستهدف صب ماء بارد على رؤوس الجماهير ، فقال بعض الاعضاء فى غضب : "ان مالك الارض هذا يحاول تثبيط همتنا ." وبعد ان تحرى ليو وان تشن الامر وجد ان هذا العدو الطبقى قد تصرف بصورة سيئة عدة مرات فى الماضى ، فدعا الى اجتماع عام فى اليوم التالى لنقده ومكافحته .

فى حقيقة الامر ان مالك الارض ليو مينغ تشن لم يتوقف مطلقا عن الاعيبه . فى عام ١٩٥٣ نشر الاكاذيب والافتراءات فى محاولة لنسف خطة الدولة فى شراء الحبوب وتسويقها (١) ولتخريب العلاقة بين الدولة والفلاحين . وفى وقت يعود الى ربيع ١٩٦٦ ذهب متباكيا الى امين فرع الحزب ذاكرا ان عائلته لم يكن لديها ما يكفى من حبوب الاكل اذ كانت تنقصها الأيدى العاملة ، فقدمت له الفرقة كمية معينة من الحبوب المخزونة المخصصة لمساعدة العوائل القليلة التى تجابه مصاعب جمة .

---

(١) انظر فصل " التجارة الريفية " الوارد فى صفحة ١٣٠ من هذا الكتاب .

ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى بدأت الثورة الثقافية الكبرى ، وكان الحرس الاحمر يقوم بدحض وشجب جرائم ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء . وبفضل كشف الجماهير وجد ان ليو مينغ تشن كان قد أخبأ فى منزله ٥٠٠ جين من الحبوب .

كان ليو وان تشن لا يعرف هذه الاشياء التى حدثت فى الفرقة ، اما لانه كان صغير السن واما لانه كان فى المدرسة . ولهذا كان اجتماع الدحض والشجب درسا حيا فى التثقيف الطبقى بالنسبة اليه والى الاعضاء الشبان الآخرين ممن فى سنه .

فى خريف ١٩٧٠ اوكلت الفرقة الى بعض اعضائها قطع العشب لتخمير الاسمدة الخضراء . وعندما ذهبوا فى صباح باكر الى الحقول لقطع العشب وجدوا عربة رئيسة فصيلة النساء فى الفرقة وانغ ده ينغ مشحونة بالعشب واستغربوا ذلك ، وعرفوا فيما بعد ان الرئيسة قد عملت طوال الليل تحت ضوء القمر . اثر هذا تأثيرا عميقا فى اعضاء الفرقة اذ رأوا الكوادر مثلها يسيرون فى المقدمة ويبذلون اقصى جهودهم لتحسين وضع الفرقة . ومنذ ذلك اليوم ظلوا يبدأون العمل مبكرين ويعودون فى وقت متأخر ، ويجمعون اكبر كمية من العشب بقدر ممكن . كانوا كلهم يفعلون على هذا النحو ماعدا ليو تشوان وو – ابن مالك ارض – الذى كان يستغل الوقت فى جمع اوراق السمار لنفسه . وعرف ليو وان تشن من احد اعضاء الفرقة ان ليو تشوان وو يأخذ اوراق السمار هذه لوالده فى المساء ليصنع منها سترات واقية من المطر يبيعها لمصلحته

تشى جيو وانغ (الثانى من اليمين) امين فرع الحزب فى فيلق سونغتشوانغ وبعض اعضاء الفيلق يقدرون محصول القمح فى حقل قريتهم التى كان حصادها بائسا قبل التحرير ، الا انها اصبحت الآن فى مقدمة الكومونة فى انتاج الحبوب

لا يزال هؤلاء الفلاحون الشباب يتذكرون كيف رحبوا بالرئيس ماو عندما زار تشيليينغ فى عام ١٩٥٨ ، وقد كانوا عندذاك صغارا فى روضة تشيليينغ للاطفال

ليوى شو موه (فى المقدمة) امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيليينغ ، وهو مندوب فى المؤتمرين الوطنيين التاسع والعاشر للحزب الشيوعى الصينى ، يذهب الى العمل مع اعضاء الكومونة الشباب

ليو وان تشن (فى المتدمة الى اليسار) فى الـ ٢٥ من عمره ، كان رئيس فرقة من فيلق تشيليينغ وقد ترعرع تحت رعاية الكوادر القدماء . يدرس الآن فى معهد الآلات الزراعية فى لويانغ

الخاصة . قام ليو وان تشن اولا بفحص الحقائق ثم نقد ليو تشوان وو وحثه على رسم خط فاصل بينه وبين ابيه مالك الارض المسن لمقاومة تأثير الافكار السياسية الرجعية . وفى اجتماع عام اعترف ليو تشوان وو بخطئه ، كما نقد اعضاء الفرقة مالك الارض نقدا لاذعا مشيرين الى انه بالرغم من ان الابن ارتكب خطأ الا ان الجذور كانت تكمن فى الاب الذى جعله يسير فى الطريق الخاطئة . وفى نفس الاجتماع اثنى الاعضاء على الرئيسة وانغ ده ينغ لعملها المثالى فى قطع العشب طوال الليل .

ان مثل هذه الاجتماعات لم تكشف الاعداء الطبقيين وحسب ، بل ثقفت الكوادر والاعضاء ايضا . وبنتيجتها ازدهرت الاتجاهات الجيدة ، وانحطت الميول السيئة ، وازداد حماس الاعضاء فى العمل . وكان عزق مو الواحد من الارض يستغرق يوما واحدا من الفرد ، اما الآن فقد ارتفع متوسط العمل اليومى بنسبة النصف او ما يزيد ، كما اصبحت نوعية العزق احسن مما كانت عليه .

الخط الثورى هو المهم

ان حقول الفرقة الـ ٢٩ بعيدة عن القرية ، ولم يكن لديها بغل قوى وعربات جيدة . وكانت عرباتها القديمة التى تجرها الثيران تشكل ادوات النقل الوحيدة ، وتصرف نصف يوم لايصال الاسمدة الى الحقول فى كل مرة ، وهذا ما كان يقلق الناس ويجعلهم فارغى الصبر .

وفى ربيع ١٩٧٠ اشترت الفرقة فرسا مع مهر لها من الدولة بسعر منخفض يبلغ ٧٠٠ يوان . لكن الاعضاء رأوا ان الحصان اضعف من البغل فى جر العربات ، ولهذا بيعت الفرس والمهر بعد عدة اشهر فى احدى الاسواق الدورية الريفية بمبلغ ١٤٨٠ يوان . واشترى ليو وان تشن بهذا المبلغ بعض الاسمدة الكيماوية ومبيدات الحشرات ، كما كان فى نيته ان يشترى بغلا بعد بيع محصول القطن فى الخريف .

وعندما عرف ليوى شو موه هذا الامر وجه نقدا لاذعا له وقال :

ـ انك دائما تتحدث عن الخط الثورى للرئيس ماو ، ولكن اى خط سرت عليه عندما اشتريت بثمن رخيص وبعت بسعر مرتفع ؟

واجاب ليو وان تشن :

ـ لكننا اطعمناهما لشهور عديدة حتى اصبحت الفرس اسمن بكثير عما كانت عليه ، وكذلك كبر المهر .

ـ بالتأكيد اطعمتهما ، ثم ماذا ؟ لقد تفقد الرئيس ماو تشيليينغ ، والناس يقولون "تعلموا من تشيليينغ" ، فاذا كنا نفعل مثل هذه الاشياء ، فما الذى سيتعلمه منا الناس ؟

قضى ليوى شو موه بعض الوقت يشرح لليو وان تشن فى صبر انه حالما تبرز مسألة يجب تحليلها وفحصها من حيث الخط السياسى بصفته المقياس الاساسى . وكل الافكار والاقوال والاعمال التى تشط عن الاشتراكية هى خطأ . وعلى سبيل المثال فان شراء شىء بثمن رخيص وبيعه بسعر مرتفع هو اتجاه رأسمالى وخاطئ . وكذلك تكون خاطئة

كل الاعمال التى تضحى بالمصالح العامة من اجل المصالح الشخصية ، او التى تلحق الضرر بالآخرين من اجل مصلحة النفس . ان كل هذه تناقض خط الرئيس ماو الثورى .

اثر هذا الدرس تأثيرا بالغا فى ليو وان تشن ، واصبح يفكر مليا ، قبل ان يتخذ قرارا ، فيما اذا كان ذلك يتماشى مع الخط الثورى للرئيس ماو .

فى عام ١٩٧١ اقترح احد افراد الفرقة عدة مرات ان تستخدم الفرقة مزيدا من الارض لزراعة القرع الشتوى ، لانها تجلب عائدات كثيرة . ورفض ليو وان تشن ذلك مصرا على زراعة المزروعات المتنوعة التى تتطلبها الخطط الموحدة للكومونة والفيلق .

ان المساحات المخصصة لمختلف المزروعات فى ريف الصين يتم تحديدها اليوم على اساس خطة الدولة الشاملة ، ذلك انه اعتبارا لحاجة البناء الاشتراكى ومعيشة الشعب ومراعاة للظروف المحلية ، تقترح الدولة على كل منطقة من مناطق البلاد خطة المساحات المخصصة لزراعة المزروعات المختلفة ، هذه الخطة التى لا تتقرر نهائيا الا بعد اخذ الاقتراحات المقدمة من مختلف المناطق بعين الاعتبار . وبعد هذا يسمح لكل منطقة بالقيام ببعض التعديلات الجديدة على نطاق محدد ، فتوضع خطة الزراعة هذه موضع التنفيذ على مختلف المستويات من مستوى المقاطعة والمحافظة حتى مستوى الكومونة والفيلق والفرقة .

كان ليو وان تشن يدرك تمام الادراك انه اذا اختارت كل فرقة

ما يروق لها من المزروعات انطلاقا من الرغبة فى الحصول على المال وحده دون اعتبار لما تتطلبه الدولة ، فان اقتصاد البلاد الاشتراكى المخطط سوف يتحطم . فشرح للعضو الذى قدم الاقتراح الخاطئ ان المسألة فيما اذا كان الانسان يدعم الاقتصاد الاشتراكى المخطط ام يسعى وراء الانتاج الفوضوى الرأسمالى هى مسألة اساسية تتعلق بالخط والخيار بين الطريقين الاشتراكى والرأسمالى ، ثم قال له : "انها قضية اساسية تتعلق بالخطأ او الصواب ، يجب الا نخطئ فيها !"

* * *

بقيادة ليو وان تشن تغلب اعضاء الفرقة الـ ٢٩ فى نهاية الامر على تخلفها ، وصار مردودها فى عام ١٩٧١ فوق المستوى المتوسط فى الفيلق . وخلال فترة تزيد قليلا عن ثلاث سنوات كانت هذه الفرقة قد ابتاعت ثلاث بغال وحمارا وثلاث عربات ذات اطارات مطاطية ، كما اشترت بعضا من الآلات الزراعية والاجهزة لتحويل المنتجات الزراعية ومنتجات الاشغال الجانبية ، وصارت فى مخازن غلالها الجديدة ١٠ آلاف جين من الحبوب الاحتياطية للاستهلاك الجماعى .

وفى نفس الوقت قبل ليو وان تشن عضوا فى الحزب الشيوعى الصينى . وبناء على توصية الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين وبموافقة الفيلق ، ارسل ليو وان تشن فى صيف ١٩٧٣ الى كلية لويانغ للآلات الزراعية بعد امتحان الدخول ، وقد ودعه اعضاء الفرقة ومشاعرهم متضاربة ، كانوا فرحين اذ رأوا ان مثل هذا الشاب يجب ان يرسل الى الكلية لتربيته،

بيد انهم كانوا عازفين عن فراقه لان الفرقة تحت قيادته لم تتخذ الا خطوة اولى نحو الرفاه . وقال ليوى شو موه لاقناعهم : "دعوه يذهب ، بالطبع ، ان الفرقة بحاجة اليه ، غير ان البلاد بحاجة اليه اكثر . " وفى الحقيقة ان ليوى شو موه طويل البصر . بالرغم من اقامته فى تشيليينغ وعمله بها كان يحفظ كل الصين بين ضلوعه ويضع العالم نصب عينيه .

وفى كثير من الليالى خلال السنوات الاخيرة كان يفكر دائما فى كلمات الرئيس ماو التالية: "**لكى نضمن الا يتغير لون حزبنا وبلادنا ، لا يكفى ان يكون لنا خط صحيح وسياسات صحيحة ، بل يتطلب الامر تربية وتكوين ملايين من الخلف ليواصلوا قضية الثورة البروليتارية .**"

فى اغسطس ١٩٧٣ ذهب هذا الكادر المسن الى بكين مندوبا لحضور المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى الصينى ، ولما شارك فى التصويت بالموافقة على وثائق المؤتمر كان سعيدا ومتأثرا للغاية وبصفة خاصة عندما ضمت بصورة رسمية فى دستور الحزب الجديد مسألة تربية الخلف لقضية الثورة البروليتارية .

واليوم وبمساعدة الجيل الاكبر سنا من الثوريين ينمو وينضج ملايين الشباب مثل ليو وان تشن فى انحاء الصين ، وهم يعملون بحماس ونشاط فى كل ميدان من الميادين . انهم يفيضون قوة وحيوية مثل شمس الضحى الساطعة ، وان مستقبل الصين الاشتراكية معقود عليهم .

١١

فرقة فنية للهواة الفلاحين

اقترب عيد الربيع التقليدى الصينى . وكان جرس الهاتف فى مكتب فيلق تشيليينغ لا ينقطع عن الرنين . وخلافا للاوقات العادية كانت معظم المكالمات تتعلق بتقديم المسرحيات او اجراء مباريات الكرة او عرض الافلام الذى تؤديه فرقة العرض فى الكومونة . خلال فترة العيد تكون نشاطات التسلية والالعاب الرياضية فى ذروتها . فليس من الغريب ان تقوم الفروق المحلية بمباريات كرة السلة وكرة الطاولة مرتين او ثلاثا فى اليوم الواحد ضد رصيفاتها من الفروق فى الفيالق الانتاجية او المصانع او وحدات جيش التحرير الشعبى المجاورة . اما فرقة الفنانين الهواة فى الفيلق فأعمالها اكثر من غيرها ، اذ انها لا تقدم الوانا من العروض فى الفيلق فحسب ، بل تشد رحالها ايضا الى وحدات الجيش والمصانع والفيالق الانتاجية الشقيقة .

يفعلون كل شىء بأنفسهم

ذات مساء فى اواخر عام ١٩٧٣ فى فترة ما قبل العيد كانت قاعة الكومونة تضاء بالانوار الساطعة وتغص بألفى مشاهد متشوق . والى جانب

اعضاء الكومونة كان من بينهم فصيلة من الجنود الذين مروا وقتها بتشيليينغ فى تدريبهم على مسيرة طويلة المدى . وكان اكثر ما اخذ بألبابهم هو اوبرا خنانية قصيرة تعرضها فرقة الفنانين الهواة فى نهاية الحفلة ، وقد وضعتها حديثا .

دخلت المسرح امرأة مسنة ، تسرح شعرها باليد وترتب سترتها . بدت فى مشيتها وحركاتها اشبه بعجوز قروية ، سوى الوجه الذى كشف عن شباب تلك الممثلة رغم انه مرسوم بالمكياج فى عناية فائقة . خطت نحو طرف المسرح وغنت مبتسمة :

ها قد وقف المطر وسطعت الشمس ،
سيعود ابنى الى البيت ليتزوج ؛
ومع الزفاف ستتم سعادة عائلتى ،
وفى التحضير له لا اعرف وقع خطاى .

غنت بصوت رخيم عالى النبرة ناطقة كل كلمة بوضوح ورنين ، ان صوتها وعينيها المعبرتين وحركاتها قد ملكت لب المشاهدين . وعندها صفق فجأة احد المشاهدين تصفيقا حارا . كان ذلك المشاهد مقاتلا شابا من جيش التحرير الشعبى جالسا قرب المسرح لم يتمالك عن اعجابه بالطريقة التى اتخذتها الممثلة فى تقديم اوبرا خنان التى يحبها ، ولم يدرك انه صفق فى غير وقت التصفيق الى ان احس بأحد الرفاق يجذب كمه .

قامت بدور المرأة المسنة ما يان تشين فى الـ ٢١ من عمرها والتى

انضمت الى الفرقة الفنية عندما كان عمرها ١٦ سنة وهى من اوائل اعضائها . وخلال هذه السنوات القلائل اصبحت ماهرة فى زراعة القطن والقمح وكذلك مغنية وراقصة حاذقة . انها تغنى اوبرا بكين واوبرا خنان وغيرهما كأنها مغنية محترفة ، وغالبا ما تساهم فى اى عرض تقدمه الفرقة الفنية . ان والدها عضو كومونة عادى يعشق الاوبرا . وبعد مشاهدة تمثيل ابنته دائما ما كان ينبهها الى النقاط الضعيفة فى تمثيلها او الى النقاط التى كان يتوجب عليها ان تنقل فيها مشاعر اكثر الى المشاهدين .

ان « استعارة الطوب » اوبرا قصيرة اشتركت ما يان تشين فى تمثيلها ، وهى تحكى قصة عائلة فلاحية يجرى وسط افرادها الصراع بين الموقفين القديم والجديد فيما يتعلق بالمصلحة العامة والمصلحة الشخصية . كانت حبكة الاوبرا بسيطة ، الا ان موضوعها ذو معان . كان العرض ناجحا . المفوض السياسى لوحدة جيش التحرير الشعبى ، وهو فى الخمسين من عمره ، قال لكوادر الكومونة والفيلق بابتهاج :

– يا للروعة ! لقد شاهدنا قبل ايام اوبرا قدمتها فرقة محترفة فى حاضرة محافظة . وفنانوكم الهواة لا يقلون عنهم شأنا .

ومن بين الاكثر من عشر فرق بالكومونة فان الفرقة الفنية التابعة لفيلق تشيليينغ هى فى الحقيقة من احسن الفرق ، كما انها مشهورة بين الكومونات الاخرى فى تلك المنطقة .

للفرقة ٢٩ عضوا ، منهم قادة وممثلون وممثلات وموسيقاريون

ومؤلفون ومهندس مسرح ، وكلهم اعضاء عاديون فى الكومونة لم ينالوا اى تدريب متخصص سوى مهندس المسرح الذى هو مدرس بمدرسة ثانوية كان قد تعلم فى مدرسة الفنون الجميلة . ومعظمهم فى العشرين من العمر او اقل ، غير ان تمثيلهم دائما ما يجلب جمهورا غفيرا ، فأحيانا يسير بعض الناس اميالا من قراهم ليشاهدوه .

اسست هذه الفرقة فى عام ١٩٦٨ خلال المد العالى للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . وفى السنوات التى تلت ذلك تعلم افرادها بصورة جادة ومثلوا مقطوعات من اوبرا بكين الثورية النموذجية المعروفة على نطاق الوطن ، مثل « شاجيابانغ » و « الفانوس الاحمر » وقدموا عروضا اخرى . وعلى اساس التقدم الايديولوجى والفنى الذى احرزوه عن طريق دراسة هذه النماذج وضعوا بأنفسهم اكثر من ٢٠٠ برنامج ، منها الاغنية والرقص والاوبرا والتمثيلية والحكاية الشعرية بمصاحبة الصنج الخيزرانى والثنائية الهزلية .

وفى عام ١٩٦٩ قدمت الفرقة احد ابداعاتها « الفلاحون الفقراء والادنى متوسطين يحتفلون بالمؤتمر الوطنى التاسع للحزب » – اغنية تمثيلية لاصوات النساء ، نقلتها اذاعة الشعب المركزية فى برامجها على نطاق البلاد . وفى اكتوبر ١٩٧٣ اشتركت فى المهرجان المسرحى بولاية شينشيانغ ، حيث حظيت باعجاب شديد اوبريتان خنانيتان قصيرتان من خلقها ، احدهما « الريح الشرقية تجلب المطر » .

حياة الشعب مصدر الفن

كل البرامج التى وضعتها الفرقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوضع والنضالات الطبقية الراهنة فى داخل البلاد وخارجها ومفعمة بجو من الحياة الواقعية . وقد دل البحث على ان موضوعات هذه البرامج مستمدة كلها بالتقريب من احداث وقعت فى القرية .

وعلى سبيل المثال فان اوبرا « الريح الشرقية تجلب المطر » تتبلور فكرتها الرئيسية فى الاستعداد لمواجهة الحرب . وبطلتها الشابة هاى هوا هى مقاتلة نموذجية فى ميليشيا الكومونة تستجيب بحرارة لنداء المؤتمر الوطنى العاشر للحزب ، فتتدرب بجد لمواجهة اى حرب عدوانية قد تشنها الامبريالية او الامبريالية الاشتراكية . غير ان شقيقتها هونغ تشنغ الذى كان فى الماضى عضوا بارزا من الميليشيا تراخى فى يقظته من جراء شعوره بالجو السلمى ، واصبح مغرورا وكثيرا ما يتغيب عن التدريب . وفيما يلى بعض الابيات من هذه الاوبرا :

هاى هوا : اين بندقيتك الخشبية يا هونغ تشنغ؟

هونغ تشنغ : بندقية ؟ (يهرع الى داخل الغرفة ويعود خالى اليدين .) انا متأكد اننى وضعتها بجانب سريرى . ولكنى لا اعرف كيف اختفت ؟

هاى هوا : هذه بندقيتك !

هونغ تشنغ : متى اخذتها ؟

هاى هوا : وجدتها هذا الصباح تحت سريرك والتراب يعلوها .

الاب : (يغنى)

استيقظ يا هونغ تشنغ ،

واشحذ بصرك ،

.....

سيول جارفة وجبال شاهقة ،

لا تزال تعترض طريق ثورتنا .

يجب الا نرى الاعلام الحمراء ترفرف فى كل مكان فقط ،

بل علينا ان نرى الصراع الطبقى يستمر ايضا ، والا نتراخى فيه.

هاى هوا : (تغنى)

.....

العدو لا يود ان يلقى بسكين الجزار ،

كيف لنا اذن ان نترك اسلحتنا مهملة !

ثم يحثه الاب على ان يقتدى بأخته ، الا ان هونغ تشنغ يظن ان هذا يحط من مكانته . أولم يدربها هو نفسه على استعمال السلاح الابيض فى القتال ؟ ثم يتحدى هاى هوا لتنازله بالسلاح الابيض وهو واثق من الانتصار عليها ، غير انها تهزمه فتخبره بصرامة بأن انهزامه يرجع الى اعتقاده بعدم وجود اعداء حقيقيين يجب على المرء ان يكون على اتم استعداد لقتالهم .

ثم يتذكر الوالد معهما مرة اخرى قصة بندقيتيهما الخشبيتين وهما من مخلفات امهما الثورية .

قبل اكثر من عشرين سنة وفى اثناء حركة الاصلاح الزراعى ، انضم الاب الى الجيش تاركا خلفه زوجته وولديه فى البيت . وفى ليلة من الليالى جاء بعض ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء الرجعيين لاغتيال الام لأنها كانت من العناصر النشيطة فى الاصلاح الزراعى ، فقاومتهم بعصاة خشبية غليظة ، بيد انهم تغلبوا عليها وقتلوها . وفيما بعد صنع الاب من هذه العصاة بندقيتين خشبيتين للتدريب حتى لا ينسى ولداه الصراع الطبقى ابدا .

صحح هونغ تشنغ افكاره الخاطئة بمساعدة والده واخته ، وعاد يشترك فى تدريبات الميليشيا بهمة ونشاط .

كاتب هذه الرواية المسرحية ليوى ين تينغ فى الـ ٢٤ من عمره ، وهو مؤلف مسرحى وعازف طبل فى فرقة الفنانين الهواة . اما فى حياته اليومية فهو يعمل كاتبا فى كتيبة الميليشيا التابعة لفيلق تشيليينغ الانتاجى . وتعتبر هذه الكتيبة من احسن الكتائب فى الكومونة ، وهى ذات روح معنوية عالية وبارزة فى التمارين المضادة للدبابات والتدريبات على القاء القنابل اليدوية والقتال بالسلاح الابيض . ولكن فى فترة من الفترات استرخى بعض اعضائها . وعلى سبيل المثال ، ذات مرة بعد ان اكمل بعض رجال الميليشيا تمارينهم على استخدام المدفع الرشاش فى الصباح الباكر ، عادوا الى بيوتهم لتناول الافطار تاركين المدفع بلا حراسة فى ساحة مكتب الفيلق . وكان هذا التصرف مخالفا لقواعد حفظ الاسلحة . وفى مرة اخرى ، عندما جرى الفحص ، وجدت ماسورة بندقية احد

رجال الميليشيا غير منظفة يعلوها الصدأ . جمع ليوى ين تينغ مثل هذه الاحداث الطفيفة فى ذاكرته . وقال فى نفسه : رغم ان هذه الاحداث تجلت فى افراد قليلين ، الا انها تنذر بظهور اتجاه خطير – ارخاء اليقظة فى جو سلمى . ولهذا السبب قرر تأليف اوبرا لينشر رسالة المؤتمر الوطنى العاشر للحزب ويتغنى بأغلبية رجال الميليشيا وينذر الذين يحملون الافكار الخاطئة . وعلى الفور شجعته المنظمة الحزبية فى الفيلق فى محاولته .

تبدأ الاوبرا بهاى هوا وهى تطلب من اخيها منازلتها فى القتال بالسلاح الابيض من اجل التدريب ، فيرفض ذلك مقللا من شأنها . وبعد ان يعرض بعض الحركات ببندقيته الخشبية يرمى بها اليها ويقول متباهيا : "هذا وحده سوف تتعلمينه شهرا كاملا ." لم يؤلف ليوى ين تينغ هذا المشهد اعتباطا ، فقد شاهده فى الحياة الواقعية . واثناء كتابته الاوبرا لخص وصقل الاحداث المتشابهة الحية ، ثم خلق شخصية يتجسد فيها الغرور والكبرياء لدى بعض رجال الميليشيا . ان العلاج الذى اتخذه فى تأليف الاوبرا يهدف الى تذكير جمهور المشاهدين بقول الرئيس ماو "**ان التواضع يساعد المرء على التقدم بينما الغرور يجعله يتخلف**".

سلاح قوى

فى البداية انضم كثير من الشباب الى الفرقة الفنية بغرض التسلية فقط . ولم يكونوا يفهمون ان الادب والفن الثوريين هما "**سلاح قوى لتوحيد وتثقيف الشعب وللهجوم على العدو وتدميره**" الا بعد ان درسوا

النظرية الماركسية المتعلقة بالادب والفن واوبرا بكين الثورية النموذجية وباشروا العمل بأنفسهم على خشبة المسرح . ولايضاح هذا يودون سرد القصة التالية :

ذات مساء قبل عيد الربيع فى عام ١٩٧١ كانت الفرقة تقدم مسرحية « شراء هدايا الزواج » وهى اوبرا خنانية قصيرة انتهت الفرقة توا من وضعها . وكان من بين المشاهدين سونغ جينغ يو ، الكومونى فى الخمسين من عمره وهو من الفرقة الانتاجية الـ ٢٥ . ولما بلغ العرض منتصفه تأثر الى درجة لم يستطع معها البقاء فى مكانه ، فأسرع الى بيته وخاطب زوجته قائلا : "اسرعى ، لا بد ان تشاهديها . انهم يمثلون اوبرا تتعلق بنا !"

بعد ظهر اليوم التالى اصطحب سونغ جينغ يو زوجته الى مشاهدة الاوبرا نفسها التى عرضتها الفرقة من جديد حيث مكثا من البداية حتى النهاية .

ان البطل فى هذه الاوبرا هو رجل يعمل بتربية الخنازير فى فرقة انتاجية وهو رائد فى ميدان عمله . وعندما يذهب الى سوق دورية لتأدية عمله ، تثرثر زوجته وتقدم اليه قائمة طويلة من هدايا الزواج التى يجب احضارها لكنة المستقبل . اما هو فلا يوافق على طلبها بل يتذمر بعض الشىء ، ولكن لا وقت عنده للمناقشة . وحين يصل الى السوق يجد ان الدائرة التجارية الحكومية تعرض للبيع خنانيص من سلالة ممتازة وهى بالضبط ما تحتاج اليه الفرقة . فيبتاع خنوصا بنقوده نيابة عن الفرقة

ويشترى بما تبقى من النقود قطعة من القماش العادى كهدية الزواج الوحيدة . عندما يعود الى بيته تستشيط زوجته غضبا ، فيتشاجران وكل واحد منهما مصر على موقفه دون التنازل عنه . عندها تصل كنة المستقبل وتؤيد موقف حميها وتشرح لحماتها اهمية تطوير الاقتصاد الجماعى والخطل فى صرف مبالغ لا داعى لصرفها فى مناسبات الزواج . وفى النهاية تقتنع المرأة العجوز ويعود السلم الى العائلة .

فى هذا العرض كانت مشاعر المشاهدين ترتفع وتنخفض مع تطور حبكة الاوبرا . ففى احد المشاهد تكشف المرأة العجوز بشغف سلة زوجها لترى ماذا احضر لها ، فاذا بخنزير صغير يقفز منها ويندفع هنا وهناك على خشبة المسرح . فتضرب العجوز الارض بقدميها فى ثورة من الغضب بينما يطارد زوجها الخنزير محاولا الامساك به . وهذا ما جعل المشاهدين ينفجرون ضاحكين .

ولكن تغيرت مشاعرهم تماما بنهاية الاوبرا حين غنى الزوج الفقرة التى تبدأ بـ "عندما ينخفض الماء فى النهر الكبير الى منتصفه تنضب الجداول الصغيرة ." وفى هذه الفقرة وضح لزوجته ان اعضاء الكومونة لا تتحسن معيشتهم الا اذا ارتفع الانتاج الجماعى . ومن اجل المقارنة بين الحاضر السعيد والماضى المظلم ذكرها بمعاناتهما قبل التحرير ، وكيف طالبهما مالك الارض فى عشية عيد ربيع بتسديد دين له فورا ، الامر الذى دفعها الى التسول مع ابنتها . وعندما غنى "هبت عاصفة ثلجية قارسة ومالك الارض يطلق كلابه لتعضنا "سالت الدموع على

خدود كثير من المشاهدين .

جلس سونغ جينغ يو وزوجته يشاهدان ومشاعرهما فى انسجام كامل مع شخصيات الاوبرا ، وكانا يهمسان لبعضهما البعض من وقت لآخر . ولرفع انتاج الحبوب والقطن ، دعا قادة الكومونة والفيلق الاعضاء لتربية الخنازير حتى يحصلوا على مزيد من السماد الطبيعى . فأراد سونغ جينغ يو ان يشترى خنزيرا ، بيد ان زوجته رفضت ، اذ انها نوت ان تشترى هدايا لخطيبة ابنها ولابنتها التى كانت على وشك الزواج . وبعد مشاهدة الاوبرا قالت بهدوء فى ذلك المساء : "وضعت النقود فى احد الادراج ، وخذ ما تريده لشراء الخنزير . اما بخصوص حفل الزواج فافعل ما يروق لك ، وسوف لا اعترض ."

الهم التغير الذى طرأ على العمة سونغ اعضاء الفرقة الفنية الشباب ، وشجعهم كثير من امثال هذا الحدث . فأصبحوا انشط مما كانوا عليه فى جمع المواضيع المحلية لوضع مزيد من المسرحيات القصيرة والمؤثرة .

كان اكثر ما ساعدهم على فهم القوة الهائلة للادب والفن فى رفع اليقظة السياسية لدى الجماهير فهما عميقا هو التأثيرات العميقة التى تركتها الاوبريات الثورية النموذجية فى نفوس اعضاء الكومونة . فى صيف ١٩٧٢ ، عندما شكل انهمار المطر المستمر تهديدا خطيرا لقطن تشيلينغ ومزروعاتها الاخرى ، قامت الفرقة بعرض « انشودة نهر لونغجيانغ » على المسرح عدة مرات . تتحدث هذه الاوبرا النموذجية حول كيف بنى اعضاء احد الفيالق بالهام من روح الشيوعية سدا ضخما

لتحويل المياه من نهر لونغجيانغ الى ٩٠ الف مو من الحقول الظامئة التابعة لفيالق اخرى لترويها ، برغم ان ذلك سوف يغرق ما يقرب من ٣ الآلاف مو من مزروعاتهم هم انفسهم .

عند مكافحة فيضان عام ١٩٧٢ وهو اسوأ ما حدث منذ سنوات عديدة فى تشيلينغ ، اقتدى كوادر واعضاء كومونة تشيلينغ بجيانغ شوى ينغ بطلة هذه الاوبرا ، واخضعوا عن طواعية المصالح الخاصة بفيالقهم وفرقهم الى مصالح كل الكومونة . انهم وحدوا جهودهم وتبنوا مبدأ "التضحية بالرخ من اجل انقاذ الشاه" فقللوا كثيرا من الضرر .

اتباع مبدأ صحيح

منذ السنوات كان الفنانون الهواة يعملون فى الحقول نهارا ويتدربون على التمثيل فى الامسيات او فى ايام المطر خلال موسم النشاط الزراعى ، ويقضون نصف اليوم فى الحقول والنصف الآخر فى التدريب خلال موسم الركود الزراعى فى الشتاء ، ولا يزالون يعملون على هذا المنوال . كما لا يتخلفون عن الآخرين عندما تبرز مهام شاقة وعاجلة تتطلب الاداء مثل حفر الآبار والقنوات واصلاح الجسور وصنع الطوب . انهم يحرصون على ان يكونوا فلاحين مجدين بقدرما يحبون المسرح . فى اكتوبر ١٩٧٣ ظلوا يعملون فى الحقول حتى قبل رحيلهم بيوم للمساهمة فى المهرجان المسرحى فى ولاية شينشيانغ .

من اجل تقديم البرامج الغنية والمتنوعة لاعضاء الكومونة تنتهز

الفرقة كل فرصة ممكنة للتعلم من الفرق المسرحية المحترفة التى تزور القرية لتقديم بعض العروض او لإكتساب خبرة فى حياة القرى ، كما تتعلم من فرق الدعاية الفنية المتنقلة التابعة لجيش التحرير الشعبى .

ليوى ين جينغ البالغ من العمر ٢٦ عاما كان عازف مزمار فى الفرقة . وقد بذل جهدا شاقا ليتعلم العزف على كمان "جينغهو" حتى يمكن الفرقة من اداء اوبرا بكين الثورية المعاصرة التى تتطلب مصاحبة هذه الآلة . فكلما وجد وقتا تمرن على نغمات الاسطوانات والاذاعة ، وتعلم طريقة استعمال قوس الكمان من الموسيقاريين المحترفين . وكثيرا ما كان يتمرن على العزف حتى ساعة متأخرة من الليل قرب بركة خارج القرية حتى لا يزعج الآخرين . فأصبح اليوم عازفا جيدا .

التزاما بمبدأ التقشف صنع اعضاء الفرقة بأنفسهم معظم ازيائهم وما يحتاجون اليه من لوازم المسرح . ولصنع السترة التى ترتديها الجدة شا فى اوبرا بكين « شاجيابانغ » ، اشتروا بقايا قماش وصبغوها وحاكوا منها الثياب . وعندما يحول المطر بينهم وبين العمل فى الحقول يستغلون الوقت لصنع لوازم المسرح . مثلا صنعوا اكثر من خمسين قطعة من البنادق والمسدسات والسيوف الخشبية . اما اعضاء الكرمونة فيتحمسون ليقدموا لهم ما يحتاجون اليه من المواد الاخرى . لقد قدم لهم عامل متقاعد طاقيته لعامل السكة الحديد ، كما ارسلت امرأة مسنة اليهم زوجا جديدا من الاحذية القماشية المبطنة بالقطن من نوع قديم كانت ترتديه جدات القرى . والاشياء كهذه يصعب على الفرقة الحصول عليها بنفسها .

ولحين من الوقت اختلف الاعضاء فى الآراء حول كيفية ادارة فرقتهم الفنية . اراد بعضهم ان يعملوا بالطرق التقليدية ويقدموا اوبريات ومسرحيات طويلة كاملة ، وان يصرفوا الاموال بسخاء على الازياء ولوازم المسرح والآلات الموسيقية . ولما انغمسوا فى مشاريع كبيرة كهذه توانوا فى اعمالهم الزراعية .

عندما لاحظت منظمة الحزب فى الفيلق هذه البوادر غير الصحية جمعت اعضاء الفرقة لدراسة مؤلف الرئيس ماو « احاديث فى ندوة الادب والفن بيانآن » ومناقشته . وهذا ساعدهم على تصحيح الافكار الخاطئة وادى بهم الى تفهم المبدأ الذى يجب على فرقة الفنانين الهواة فى الريف ان تواظب عليه ، وهو ان تكون نشاطاتها متنوعة وتجرى فى وقت الفراغ وعلى نطاق محدود ويمارس فيها التقشف .

خدمة الشعب بكل امانة واخلاص

الى جانب النواحى الحسنة فى الفرقة لا يمكن القول بأن كل عروضها ناجحة . فى عيد الربيع ذات سنة ، عندما قدمت الفرقة عرضا فى احدى القرى المجاورة ، صفق المشاهدون الا ان الممثلين احسوا بنواقص كثيرة فى ادائهم . وبعد العرض جلسوا معا يتناقشون فيها . اعترف احد الممثلين بأنه نسى مرتين اثناء التمثيل ما كان يجب ان يقوله ، بيد انه شكا من ان عازف الكمان عزف الفاصل بصوت منخفض مما ادى الى فوات دوره فى الحوار المسرحى . اما عازف الكمان فقد توجه بدوره باللوم

الى عازف الطبل الذى كان يلعب فى نفس الوقت دور قائد الفرقة الموسيقية ، لأنه لم يباشر القيادة بصورة صحيحة .

قال ليو فا تشونغ البالغ من العمر ٢٥ عاما وهو نائب رئيس الفرقة :

– لا فائدة لنا من توجيه اللوم المتبادل . حفظنا نحن جميعا هذه الالحان على ظهر القلب ، فلماذا وقع كثير من الزلل فى عرضنا ؟ علينا ان نبحث عن اسباب ذلك فى تفكيرنا .

اعقب هذا صمت قصير ، ثم بدأ النقاش يزيد حرارة ، وقد اتفق كثير من الاعضاء على انهم باشروا اداءهم بصورة ضعيفة لأنهم كانوا فى روح معنوية منخفضة . وقد نتج هذا من عدم رضاهم عن المكان الذى قدموا فيه العرض . فخشبة المسرح ركبت تركيبا مؤقتا وكانت خلفيتها تهتز بفعل الهواء وهكذا . . .

اوضح هذا النقاش شيئا واحدا هو ان بعض الممثلين عندما قدموا عرضهم من على مسرح حسن التجهيز وامام عدد كبير من المشاهدين ، مثلوا بكل ما اوتوا من القوة ، ولكن اذا ادوا ادوارهم من على مسرح ردىء وامام عدد ضئيل من المشاهدين ، اصبحوا شاردى البال وفاترى الهمة . والسبب فى ذلك يرجع الى تأثير بقايا الخط التحريفى حول الادب والفن فى عقولهم . وقد توصلوا الى انه يجب على فرقة الفنانين الهواة ان تضع نفسها بثبات فى الظروف الواقعية القائمة فى ريف الصين اليوم ، وان " تخدم الشعب بكل امانة واخلاص " مهما كانت الظروف المحلية .

و مما يجدر ذكره ان فيلق سونغتشوانغ الانتاجى هو اصغر فيلق من فيالق الكومونة يقل افراده حتى عن افراد فرقة واحدة فى فيلق تشيليينغ ،ونادراما كانت تزوره فرقة تمثيلية متجولة . ولهذا السبب بالذات بادرت الفرقة الى تقديم عروضها هناك خلال عيد الربيع فى عام ١٩٧٢ . لقد ذهبوا سيرا على اقدامهم وهم يحملون معدات المسرح على عربة يد وقدموا عرضهم فى الهواء الطلق ، "متخذين من الارض مسرحا لهم ومن الشمس مصباحا" . رغم ان عدد المشاهدين كان اكثر بقليل من عدد الممثلين ، الا ان كل ممثل او موسيقار كان يتمتع بروح معنوية عالية ، ويبذل جهده مما اكسبهم جميعا اطراء قلبيا من المشاهدين .

تأتى الفرقة احيانا لتقديم عروضها فى بيوت اعضاء الكومونة الذين لا يستطيعون الخروج بسبب شيخوختهم او ضعفهم . عندما زار فنانو الفرقة لى شيوه تشنغ ، وهو متوحد ومسن فى الثمانين من عمره يقوم الفيلق برعايته ، وقدموا له خصيصا بعض المقطوعات من اوبرا بكين وبعض الاغانى ، تأثر الى حد لم يستطع معه ان يعبر عن تقديره واعجابه الا بهز رأسه والتصفيق بيديه مرارا وتكرارا .

"ان الفن ينتمى الى الشعب . يجب ان تكون جذوره مغروسة بعمق وسط الجماهير الكادحة . ويجب ان يكون معروفا ومحبوبا لدى هذه الجماهير . ويجب ان يوحد ويرفع مشاعرها وافكارها وارادتها . ويجب ان يحرك ويطور غرائز الفن فيها ."

هذه الكلمات ادلى بها لينين قبل اكثر من نصف قرن من الزمان .

وفنانو تشيليينغ الهواة الفلاحون يحولون الآن فكرة لينين العظيمة هذه الى حقيقة ملموسة بصورة تدريجية و ذلك بأعمالهم الفنية .

١٢

النساء يحملن على كواهلهن "نصف السماء"

على حائط يواجه الشارع فى قرية باليوشو ، ظهر عدد جديد من الجرائد الحائطية للنقد الثورى الجماهيرى وهو مكتوب بمقاطع كبيرة . كانت احدى المقالات بعنوان "النساء يحملن على كواهلهن ' نصف السماء ' " وقد بدأت المقالة هكذا :

"نشر كونفوشيوس سخافات مثل 'النساء والوضعاء هم اصعب من يرزق ' ، وهذا يعنى ان النساء والعبيد يصعب التعامل معهم . وقد ورثت كل الطبقات الحاكمة الرجعية فى الماضى وجهة نظر كونفوشيوس هذه . وبهدف قهر النساء الكادحات وكبحهن لجأ هؤلاء الحكام الى تقييدهن بكل انواع القيود الروحية التى زينوها بأسماء مثل 'اركان ومكارم' و 'طقوس' و 'اخلاق' وغيرها ."

وبعد ان وجهت المقالة النقد الى كونفوشيوس اوردت حقائق وارقاما لنقض السخافات القائلة بأن "النساء متخلفات" و "غير كفؤات" ، هذه السخافات الرجعية التى نشرها ليو شاو تشى ولين بياو .

كان كاتب المقالة دونغ شيو تشين وهى معلمة شابة قروية . لقد لخصت بكلماتها القليلة المواقف ووجهات النظر الاساسية فى مسألة النساء ، التى اتخذها حواريو الطبقات الحاكمة الرجعية من كونفوشيوس الى من بعده .

قبل التحرير لم تكن النساء الكادحات فى تشيليينغ ، كما هو الحال فى كل الصين ، يعانين من اضطهاد واستغلال طبقة ملاك الاراضى بلا رحمة فحسب ، بل كن واقعات تحت سيطرة "سلطان الزوج" ايضا . "تطيع الفتاة والدها قبل الزواج ، وتذعن لزوجها اذا تزوجت ، وتخضع لابنها عندما تفقد زوجها ." ان مثل هذه الطقوس الاقطاعية التى استمرت لآلاف السنين ظلت قبل التحرير مبادئ مرشدة يجب على المرأة ان تلتزم بها .

الدور العظيم للنساء

حطمت الثورة حكم طبقة ملاك الاراضى ، كما حطمت هذه الطقوس القديمة وبعض العادات القديمة . ان نساء تشيليينغ الغفيرات اليوم يلعبن دورا بارزا متعاظما فى الحركات الثورية الثلاث العظمى : الصراع الطبقى والنضال فى سبيل الانتاج والتجربة العلمية .

كان الاصلاح الزراعى هو الحركة الثورية العظيمة الاولى فى ريف الصين بعد التحرير . وفى هذه الحركة الواسعة الابعاد نهضت النساء الكثيرات من الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين ليشجبن جرائم ملاك

الاراضى وجها لوجه فى الاجتماعات الجماهيرية . وبعد ذلك استجابت النساء الكادحات لنداء الرئيس ماو "تنظموا" وتقدمن بحزم على طريق المساعدة المتبادلة والتعاون . ومنذ بداية الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وفى النضال لسحق القيادتين البرجوازيتين اللتين كان ليو شاو تشى رأسا لاحداهما ولين بياو للاخرى ، ظللن يشتركن بنشاط فى حملات النقد الثورى الجماهيرى لاستئصال التأثير السام الذى احدثه الخط التحريفى فى كل الميادين .

ان نساء كومونة تشيليينغ القادرات على العمل اللائى تشكل نسبة دوامهن على العمل الزراعى حوالى ٩٠ بالمائة قد اصبحن قوة رئيسية فى الانتاج ، وهن يقمن بمعظم الاعمال الزراعية ابتداء من البذر حتى الحصاد فى ٣٠٫٠٠٠ مو من حقول القطن للكومونة . ولم يتخلفن عن الرجال حينما يشاركنهم فى العمل ، بل يتفوقن عليهم فى بعض الاعمال مثل تقليم شجيرات القطن وقطفه .

كما انهن نشيطات ايضا فى اجراء التجارب العلمية . وشكلت النساء ثلث مجموع الـ ٧٠٠ عامل من عمال ارصاد احوال الحشرات فى الكومونة ، وهن من اعضاء فرقة الابحاث العلمية فى كل فيلق من الفيالق الـ ٣٨ بالكومونة .

فى عام ١٩٦٦ كانت بيان شيو ينغ مندوبة من ليوتشوانغ تشترك فى احتفالات العيد الوطنى فى بكين . لقد قابلت زعيمنا العظيم الرئيس ماو على منصة تيان آن من . وبعد عودتها بادرت الى تأسيس فرقة "النساء

الحمراوات" للتجربة العلمية . وقد اجرت عضوات الفرقة فى وقت فراغهن تجربة لزراعة القطن على قطعة ارض بور قلوية ، وعبر التجارب المتكررة سجلن فى عام ١٩٧٠ رقما قياسيا اى ٢٥٠ جين من القطن المحلوج فى مو الواحد . وتحت الهامها اصبح الآن لكل فرقة انتاجية من فيلق ليوتشوانغ قطعة ارض تجريبية تشرف على زراعتها "البنات الحمراوات" او "النساء الحمراوات" . ان السلالتين الجديدتين من بذور القطن اللتين تمت تربيتهما على ايديهن وهما ليوتشوانغ رقم ١ ورقم ٣ ، قد بدأت تجربة زراعتهما فى ١٧ فيلقا من فيالق الكومونة .

وبغية ضمان اشتراك النساء الغفيرات فى الانتاج والنشاطات الاخرى بصورة فعالة ، حظيت مسائل النساء الخاصة باهتمام عظيم . فقد عينت رئيسة لفصيلة النساء فى كل فرقة انتاجية من الفرق الـ ٢٩٨ بالكومونة . ومن واجبات هذه الرئيسة مساعدة رئيس الفرقة فى توزيع العمل على النساء العضوات توزيعا معقولا . مثلا ، يقدم لهن عمل اخف خلال فترة الحمل والحيض ، بينما اللائى يرضعن اطفالهن توكل اليهن اعمال فى مكان قريب من منازلهن . كما اسس عدد كبير من الفيالق والفرق دور الحضانة العاملة طوال السنة او فى المواسم التى يكثر فيها العمل حتى يمكن للامهات ان يعملن بلا قلق .

تدريب الكادرات

فى مجرى العمل الانتاجى والحركات السياسية المختلفة اكتشفت

ودربت منظمة الحزب عددا عظيما من الكادرات والمبادرات . ومن الاحصاءات فى اواخر نوفمبر ١٩٧٣ نجد ان ٢٤٣ من النساء فى كومونة تشيليينغ قد انضممن الى الحزب الشيوعى ، و ١٣٨٧ شابة انضممن الى عصبة الشبيبة الشيوعية ، وما يقرب من ٧٠٠ امرأة اصبحن فى عداد القادة فى الفيلق والفرقة والميليشيا .

ان دونغ داو رونغ نائبة امين فرع الحزب العام فى فيلق تشيليينغ هى واحدة من اقدم الكادرات فى الكومونة قاطبة ، لقد قاست فى المجتمع القديم من البؤس والشقاء . وبعد التحرير بدأت حياة جديدة سعيدة . ومازال الناس يتذكرون كيف كانت تصحو مبكرة كل صباح بعد حركة الاصلاح الزراعى لتدق الطبل داعية الفلاحين المحررين لحضور مدرسة محو الامية ، وكانت هى نفسها قدوة حسنة فى الدراسة الجادة حتى استطاعت ان تقرأ وتكتب بصورة لا بأس بها . وعندما تحاضر فى موضوع من المواضيع فان كلماتها مقنعة ومركزة .

كانت دونغ داو رونغ مبادرة فى حملات سياسية عديدة . فى عام ١٩٥٣ عندما بدأ تطبيق مبدأ توحيد الشراء والتسويق للحبوب دعت الحكومة الفلاحين لبيع فائض حبوبهم للدولة ، فسارت هى فى الطليعة وباعت اكثر من الف جين فى مرة واحدة . وبالاضافة لهذا خاضت النضال ضد اعمال بعض الفلاحين المتوسطين الميسورين الذين كانوا يفكرون فقط فى الثراء الشخصى لا فى مصالح البلاد . ولما بدأت بعد ذلك حركة المساعدة المتبادلة والتعاون فى القرية ، انتخبت كرئيسة

فى فرقة للمساعدة المتبادلة ، ثم اصبحت واحدة من اوائل رؤساء التعاونيات الابتدائية .

لقد مرت دونغ داو رونغ بامتحانات عنيفة كثيرة خلال ما يزيد على عشرين سنة . لقد اجتازت اختبارا قاسيا فى حركة التوعية الاشتراكية فى عام ١٩٦٤ . حينئذ طرح ليو شاو تشى وامثاله خطهم الرجعى البرجوازى "اليسارى" فى الشكل واليمينى فى الجوهر فى محاولة عابثة لتضليل هذه الحركة حيث وجهوا رمح النضال نحو الكوادر الثوريين الغفيرين والفلاحين الفقراء والادنى متوسطين سعيا وراء حماية حفنة من القابضين على السلطة السالكين الطريق الرأسمالى . وبتأثير هذا الخط الرجعى سارت هذه الحركة فى تشيلبينغ ، كما حدث فى غيرها من بعض الاماكن ، عن مدارها الصحيح لفترة من الوقت . فلجأ الاعداء الطبقيون الى الصاق تهم عديدة بدونغ داو رونغ وغيرها من الكوادر الجيدين فى محاولة عابثة لصيد السمك فى الماء العكر . وناضلت دونغ داو رونغ مع هؤلاء الرفاق جنبا لجنب تدحض بحجج دامغة الاتهامات المزيفة والافتراءات الفظيعة ، ولم تتراجع قيد انملة مهما كان الضغط .

ان تشانغ شيو تشن نائبة امين فرع الحزب فى فيلق ليوتشوانغ هى واحدة من الكادرات العديدات اللائى تمت ترقيتهن منذ الثورة الثقافية الكبرى . فى عام ١٩٦٠ تزوجت واحدا من اهل قرية ليوتشوانغ ، وفى اليوم الثانى بعد زواجها انتشر القول فى القرية بأن "العروس التى وصلت امس خرجت لتعمل فى الحقول منذ الصباح الباكر ، انها جيدة ! "

وبعد سبعة او ثمانية اشهر قرر فرع الحزب ارسالها لدراسة الطب فى المركز الصحى بالقرية نظرا لانها متقدمة فى فكرتها ومجدة فى عملها وتعلمت عامين فى المدرسة الاعدادية . كانت تتعلم فى النهار من رجل مسن للطب التقليدى الصينى كيفية التعرف على انواع العقاقير وممارسة الوخز بالابر والحقن بالابرة وتشخيص بعض الامراض العامة ، وتقبل فى الليل على قراءة الكتب الطبية الى ساعة متأخرة . وبعد اشهر قلائل اصبحت تعالج المرضى وتكتب الوصفات بلا معونة من احد . وقد تحسنت مهارتها بصورة مستمرة بزيادة ممارستها . ولما كانت تشخص المرضى بدقة وتظهر لهم الاهتمام والعطف البالغين ، لم يضع الاهالى فى ليوتشوانغ وحدهم ثقتهم بها ، بل وثق بها الاهالى فى القرى المجاورة ايضا وكثيرا ما جاؤوا لمشورتها . وفى عام ١٩٦١ عندما كانت فى الـ ٢١ من عمرها انضمت الى عصبة الشبيبة الشيوعية ، وبعد اربع سنوات قبلت فى الحزب الشيوعى .

ذات يوم ، عندما لزمت تشانغ شيو تشن سريرها بسبب نزلة حادة ووصلت حرارتها الى ٤٠ درجة ، جاءها رجل عجوز منحدر من اصل فلاحى فقير من قرية مجاورة ، فقد كان حفيده الذى ولد قبل ايام مصابا بمرض خطير . وعندما علمت تشانغ شيو تشن بهذا نهضت من سريرها وذهبت لتوها لعيادة الطفل . ولما وجدت انه مصاب بالتهاب رئوى حاد حقنته بالدواء وسحبت البلغم من مسالكه التنفسية ، وبقيت جالسة بقربه الى ان تخطى مرحلة الخطر . وعند الفجر عادت الى بيتها

بخطوات بطيئة وهى ضعيفة منهوكة القوى .

ان تشانغ شيو تشن نشيطة فى حياة الحزب وجريئة فى توجيه النقد وتقديم المقترحات الى القادة . وعندما عرفت ان العضو المسن الذى انضم الى الحزب اثناء الاصلاح الزراعى ارتكب بعض الاخطاء الخطيرة كانت قلقة وحزينة للغاية ، وطلبت من فرع الحزب ان يقدم له ما يلزم من التثقيف والمساعدة ، كما حثت الاعضاء الاكبر سنا الا يكونوا ابدا رقيقى القلب تجاه اخطاء هذا الرفيق القديم فى الحزب . وبفضل النقد الصارم والمساعدة القلبية التى قدمها له فرع الحزب ادرك هذا العضو الحزبى القديم فى النهاية خطأه واصلحه .

فى عام ١٩٧٠ انتخب اعضاء الحزب فى فيلق ليوتشوانغ بالاجماع تشانغ شيو تشن نائبة امين فرع الحزب ، وقد اوكلت اليها مسؤولية قيادة الدراسة السياسية والميليشيا وعصبة الشبيبة الشيوعية وعمل النساء والمركز الصحى فى القرية .

وبرغم انها مشغولة بهذه الصورة وهى ترعى اربعة اطفال لها ، الا انها مازالت تسير فى المقدمة فى تدريب الميليشيا . فى "٨ مارس" ١٩٧٣ عيد النساء العالمى قدمت اقتراحا بتشجير القرية ، فقادت النساء من الميليشيا لغرس ٢٥٠٠ شجرة من الحور حول اطراف القرية وعلى جانبى قنواتها .

وفى قيادة عصبة الشبيبة الشيوعية تنفذ تشانغ شيو تشن بحزم سياسة الحزب للاتحاد مع الجماهير العريضة من الشباب وتربيتها ، ويشتمل

هذا على جذب ابناء ملاك الاراضى والفلاحين الاغنياء الذين يكون موقفهم السياسى حسنا الى عصبة الشبيبة . ومع الكادرات الاخريات قامت تشانغ شيو تشن بعمل رائع وسط النساء قدمت تقريرا عنه منذ وقت قريب فى مؤتمر النساء فى ولاية شينشيانغ .

اما المركز الصحى فى ليوتشوانغ الذى يقع تحت رعايتها المباشرة فهو وحدة متقدمة على نطاق كل الكومونة . وبالرغم من كثرة اعمالها بصفتها نائبة امين فرع الحزب فانها دائما ما تختلس جزءا من وقتها لعلاج المرضى . وخلال اكثر من عشر سنوات الحت على افراد عائلتها بأن يتركوا بوابة بيتهم مفتوحة طوال الليل حتى يمكن لكل من يطلب مساعدة طبية ان يطرق شباك غرفتها مباشرة لتنهض فورا .

عوائل ديمقراطية ومنسجمة

مكنت الثورة الـ ١٠٫٠٠٠ امرأة كادحة فى كومونة تشيلينغ من اطلاق عنان ذكائهن ومقدرتهن فى الانتاج وفى ميادين الخدمة العامة ، وفى نفس الوقت احدثت تغيرات عميقة فى حياة آلاف العائلات .

قبل التحرير لم تكن النساء العاملات هنا يتمتعن بأية حقوق عائلية كما كان حالهن فى المجتمع . فالرجل هو سيد للعائلة يحق له ان يضرب زوجته او يشتمها كما يحلو له ، اما هى فلا يسمح لها بأن تقاوم ذلك اية مقاومة . ومنذ التحرير طرأت على ذلك تغيرات جذرية باعلان قانون الزواج فى عام ١٩٥٠ ، وبتزايد عدد النساء المساهمات فى

العمل الانتاجى ، ومع ارتفاع وضعهن الاجتماعى بصورة لم تحدث من قبل . وقد تم تحريم الزواج بالصورة التى يرتبها الاب والام ، والزواج بالبنات اللائى لم يبلغن سن الرشد ، وغير ذلك من انظمة الزواج غير المعقولة . وقد كفل القانون للمرأة ان تتمتع بنفس المكانة والحقوق مع الرجل فى العائلة .

فى الصين القديمة شبه الاقطاعية وشبه المستعمرة لم يكن احد يتصور تطبيق مبادئ المساواة والديمقراطية بين الرجل والمرأة فى العائلة . ولكن فى ليوتشوانغ اليوم تحطمت القيود المنزلية ، مثل الطبخ والغسل والعناية بالاطفال ، التى كانت تعتبر من "الواجبات الطبيعية" على الزوجة واصبح الزوج كثيرا ما يشارك زوجته فى ادائها . وشكل عدد الكادرات حوالى خمس مجموع الكوادر فى الفيلق كله ، واذا ما كانت الزوجة كادرة فان زوجها بصفته عضوا عاديا يفعل ما وسعه ليشجع ويساعد زوجته كى تؤدى واجباتها بصورة جيدة .

ما زالت فى ليوتشوانغ عوائل كثيرة تتعايش فيها ثلاثة اجيال معا . الا ان النظام الابوى الاقطاعى فى العائلة قد حطم منذ عهد بعيد . فأصبح لكل عائلة رأس (وفى العوائل ذات العدد الكبير من الافراد يحتل عضوان هذا المنصب) ، ويجرى تعيين هذا الرأس – امرأة او رجلا – عن طريق التشاور بين البالغين من افراد العائلة . وعلى وجه العموم يقع الخيار على عضو العائلة الاكثر حكمة وعدلا والذى يستطيع ممارسة الجد والاقتصاد فى ادارة العائلة ويتمتع بأكبر قدر من الاجلال ، وقد يكون

هو الاب او الام او احد الابناء او احدى البنات او زوجة احد الابناء .

عضو الكومونة ليو ديان تشى البالغ من العمر ٤٤ سنة تتكون عائلته من ١٢ فردا ، وترأس هذه العائلة الآن شى شى لان زوجة ابنه الاكبر . وبعد ان يستقطع كل فرد من العائلة جزءا من دخله كمصروفاته الشخصية يقدم اليها الباقى كى تشرف عليه كجزء من مصروفات العائلة كلها . والنسبة بين هذين الجزئين من المصروفات يتم تحديدها كل سنة عن طريق التشاور بين افراد العائلة ومع اعتبار ظروف العائلة وقتها . اما المصروفات الكبرى فى مثل بناء البيت وشراء الدراجات وآلة الخياطة فهى عادة ما تدخل فى ميزانية العائلة التى توضع فى بداية العام .

ان شى تشوان بى قارب الستين من عمره وهو اكبر فرد فى عائلة يبلغ عدد افرادها ١٧ شخصا . وابنته وثلاثة من ابنائه الاربعة متزوجون . وتباشر مسؤولية القيادة فى عائلته زوجته وابنه الاكبر ، وهما يديران شؤون العائلة خلال سنوات عديدة بصورة لا تحيز فيها ولا ينسيان ابدا مشاورة الآخرين ، ولهذا اصبح الجميع فى رضى تام .

ان معظم البالغين فى ليوتشوانغ يحضرون "المدرسة السياسية الليلية" التى يديرها الفيلق ، وهم منظمون على اساس الاختيار فى فصول عديدة يتشكل كل منها من ثلاث الى خمس عوائل ، ويجتمع ثلاث امسيات فى كل شهر . انهم الى جانب دراسة السياسة كواجبهم الرئيسى يدرسون التقنية الزراعية ويتعلمون الثقافة ايضا . ولان كل افراد العائلة يساهمون فى العمل والدراسة تكون مواضيع حديثهم واسعة متعددة عندما يلتقون

فى البيت – من الوضع العالمى وحملة نقد لين بياو وكونفوشيوس الى طرائق مكافحة دود القطن .

ان افراد العائلة رجالا او نساء يهتمون بالتطور السياسى لكل منهم ويساعد بعضهم بعضا فى هذه الناحية ، ويعبرون عن عنايتهم المتبادلة فى البيت ، ويعين بعضهم البعض فى تعلم التقنية الزراعية ورفع مستواهم التقنى . وهذه هى خصائص الحياة العائلية لشغيلة ليوتشوانغ اليوم .

صراع طويل

ومع ذلك فان كلا من تدريب الكادرات وتطبيق مبدأ المساواة بين الرجال والنساء لم يكن سهل التحقيق . والى جانب ضرورة ابعاد تدخل الخط التحريفى كان لابد من شن نضال طويل لا يعرف الكلل ضد سموم كونفوشيوس وبقايا الافكار الاقطاعية المتمثلة فى احتقار النساء .

فى فيلق تشيليينغ توجد فرقة انتاجية يزيد عدد النساء العاملات فيها على الرجال . غير ان رئيسها كان فى الماضى لا يحسب حسابا لقوة اولئك النساء ولا يتيح المجال لاظهار حماستهن . هذا بالاضافة الى ان الفرقة لم تطبق جيدا سياسة "المكافأة المماثلة عن العمل المماثل" وسط الرجال والنساء .

شكت بعض الشابات الى رئيس الفرقة من هذا الظلم . فأجاب :

– ان الرجال هم كنز الفرقة . فى الحقيقة ان لدينا نساء اكثر من الرجال ، ولكن ماذا سيكون وضعهن بدون الرجال ؟ فمثلا هل يمكنكن

ايها البنات رى الحقول ليلا ؟

عندما علم فرع الحزب العام فى الفيلق بهذا نقد اتجاهات تفوق الرجل هذه فى اجتماع اشترك فيه كل رؤساء الفرق فى الفيلق ، واكد مرارا وجوب الافادة من دور الجماهير النسائية مع ضرورة المراعاة الدقيقة لسياسة "المكافأة المماثلة على العمل المماثل" . ثم ارسل وانغ تشى رونغ رئيسة اتحاد النساء فى الفيلق لمساعدة تلك الفرقة على حل هذه المشكلة .

بدأت وانغ تشى رونغ بأعمال الاثارة والدعاية بين نساء هذه الفرقة ، فاخبرتهن :

– علينا نحن النساء ان نبذل قصارى جهودنا ونبرهن على اهليتنا . وعلينا ان نستخدم الحقائق القوية لاقناع رئيس الفرقة ونساعده على تذليل افكاره الخاطئة .

ومن ثم اظهرت النساء حماسا اشد من ذى قبل فى العمل . وخلال حصاد القمح فى عام ١٩٧١ ذهبت ستون منهن الى الحقول فى الساعة الثانية صباحا فى احد الايام ، فعملن بسرعة ودقة . ولما حان وقت الفطور كن قد جنين القمح من على ستين مو . وكانت من بين البارزات منهن ثماني عشرة فتاة يسرن فى المقدمة فى كل عمل . لقد مكثن فى البيدر من تلقاء انفسهن بعد الحصاد ليوم كامل ليساعدن فى عمليات درس القمح ليلا . كما طلبن القيام بأعمال كانت تعتبر من اعمال الرجال . ولما عهد اليهن بالقيام بأعمال الرى فى الليل ادينه بدقة اكثر من الرجال ،

فروين الحقول ريا متساويا وجيدا . فكانت اعمالهن الرائعة تثير حماس جميع اعضاء الفرقة فى العمل ، مما جعل الفرقة تؤدى اعمالها الزراعية كلها بصورة احسن من ذى قبل .

تلقن رئيس الفرقة درسا عميقا خلال نصف هذه السنة . فبدأت وجهات نظره حول النساء تتغير . وقد مدح على وجه الخصوص الثمانى عشرة فتاة مدحا عظيما . وخلال المناقشات التى جرت لتعديل نقاط العمل كان هو اول من اقترح زيادة نقاط العمل لعدد كبير من النساء .

كما قامت منظمات الحزب فى القرى العديدة بقدر هائل من العمل الشاق لتعليم الفلاحين الذين مازالوا يبالغون فى اهمية الابناء دون البنات .

* * *

ان لجنة الحزب فى كومونة تشيليينغ وفروع الحزب فى عدد كبير من فيالقها تعلم جيدا ان بقايا الافكار الاقطاعية من المجتمع القديم لا يمكن تصفيتها بين عشية وضحاها ، وان الصراع ضد الافكار التى تحتقر النساء لا بد من خوضه لمدة طويلة . و بصفتها منظمات للطليعة البروليتارية فعليها ان تتذكر دائما الحقيقة التى ذكرها لينين وهى : **"ان البروليتاريا لا يمكنها احراز الحرية الكاملة ما لم تحقق الحرية الكاملة للنساء ."**

١٣

شبكة الخدمات الطبية والصحية

فى صباح يوم من اوائل شتاء ١٩٧٣ ، كانت الجدة تشنغ وهى احدى عضوات فيلق قووانغ الانتاجى ، جالسة على عتبة دارها تتمتع بضوء الشمس . وبرغم انها قد بلغت من العمر الـ ٧٩ سنة الا ان صحتها جيدة وسمعها سليم وبصرها نافذ . كانت تتحادث باسمة مع حفيدتها حينا وتحيى الجيران الذين يمرون بها حينا آخر .

قبل ثلاثة اعوام من ذلك اصاب الجدة تشنغ مرض خطير اوصلها الى حافة الموت ، وكان ابناها وزوجتاهما على استعداد لجنازتها . الا ان وانغ تشونغ ون "الطبيب الحافى" (١) فى المركز الصحى بالقرية كان مصرا على الوفاء بالالتزامات التى اوكلها الرئيس ماو الى عاملى الطب فى الصين : **"ضمدوا الجرحى، وانقذوا من على حافة الموت ، ومارسوا الانسانية الثورية ."** وقد فعل كل ما فى وسعه لانقاذ الجدة ، كما استدعى

(١) " الاطباء الحفاة " هم عاملو الطب غير المنفصلين عن العمل الانتاجى الجماعى والذين يجرى اختيارهم وتدريبهم من بين الفلاحين . تطلق عليهم هذه التسمية نظرا لأن دفعتهم الاولى نشأت فى المنطقة المنتجة للرز بشرق الصين وهى تؤدى مهمتها فى الحقول حافية الاقدام .

على عجل الطبيب سون من مستشفى الكومونة ، فحقنها لاسعافها ثم اوصلها الى مستشفى الكومونة . وقد دل فحص رئتيها ودمها على انها مصابة بالالتهاب الرئوى السام . فقام عاملو الطب فى مستشفى الكومونة باسعافها ليومين وليلتين ، وبعد بضعة عشر يوما وتحت عنايتهم الدقيقة تماثلت الجدة تشنغ للشفاء وعادت الى بيتها .

السنوات المريرة

قبل التحرير كانت هذه الجدة تشنغ قد فقدت اربعة من افراد عائلتها فى بحر عشرين يوما بسبب المرض . فقد مات زوجها مصابا بداء الكوليرا ، وفارق توأماها الحياة من مرض الحصبة ، واختطف حماتها مرض لم تتعرف على طبيعته حتى الآن . ففى تلك الايام المريرة كان عدد العوائل المتعرضة للفواجع كهذه غير قليل فى قرية قووانغ .

هان شينغ يون عضوة من عضوات الكومونة تبلغ من العمر الـ ٦٨ عاما انجبت ثمانية اطفال قبل التحرير . الا انهم راحوا كلهم ضحية الدفتيريا او الحمى القرمزية او الكزاز . كان المرض الاخير معروفا بـ "تشنج الاربع ــ الست" عند السكان المحليين ، اذ ان عددا كبيرا من المواليد كانوا مصابين به خلال اربعة او ستة ايام بعد الولادة بواسطة القابلات اللائى كن لا يستخدمن المطهرات . وما زال القرويون فوق الاربعين من العمر يتذكرون اكوام الرمال فى شرق القرية حيث كانت تتناثر الجثث الصغيرة .

ألم يكن فى تلك المنطقة اطباء وقتها ؟ بلى ، كان هنالك اطباء . فقد كان فى منطقة تشيليينغ التى تضم ٣٨ قرية حوالى عشرة من عاملى الطب التقليدى الصينى ، وخمس صيدليات صغيرة لبيع الاعشاب الطبية (كانت ملكا لاولئك الاطباء فى الغالب) . وكان مالك الارض وانغ فنغ دوه فى قرية قووانغ نفسه طبيبا من اولئك الاطباء .

فى الصباح الباكر من كل يوم كانت العربات المجرورة بالبغال او الخيول تصطف خارج منزله ، ومعظمها مرسلة من قبل ملاك الاراضى او الفلاحين الاغنياء فى القرى الاخرى ، وهى تحمل بطاقات الدعوة الى "السيد العلامة" لكى يعالج المرضى من عوائلهم . وفى الساعة التاسعة او العاشرة صباحا ، بعد ان يتناول الفطور ويدخن ما يكفيه من الافيون ، يخرج متبخترا ويركب اول عربة و ينطلق بها ، و العربات الاخرى تسير فى صف طويل خلفه تنتظر كل منها دورها .

اما الفلاحون الفقراء فكيف كان يمكنهم ان يدعوه لعلاجهم ؟ انه لم يرق قلبه حتى لأجيره وانغ بى تونغ الذى عمل عنده طوال حياته تقريبا ، اذ ان هذا الاجير عندما كبر فى السن واصبح مريضا امر "السيد" رجاله بأن يحملوه الى المعبد القديم فى القرية ويتركوه فريسة لشبح المرض .

وفى ذلك الوقت كان وانغ تشونغ ون الطبيب الحافى المسؤول الآن عن اعمال المركز الصحى بالقرية فى العاشرة من عمره فقط . وفى بعض الاحيان كان يمر بالمعبد . وقد نحتت فى ذاكرته صورة فاجعة

مريعة عندما شاهد ذلك الرجل المسن المشرف على الموت وفرق الذباب تطن فوق جسده وتقتات من الدماء والصديد التى كانت تنضح من جروحه . . .

ورغم ان هذا لا يكاد يصدق اليوم الا انه حقيقة مرة تعكس الظروف الطبية والصحية فى تشيليينغ فى المجتمع القديم .

بعد التحرير

لقد زال كل ذلك كما انزاح الكابوس . وصارت لتشيليينغ اليوم شبكة كاملة من الخدمات الطبية والصحية على ثلاثة مستويات ، فلكل فرقة عامل صحة ولكل فيلق مركز صحى وللكومونة مستشفى . هذا وقد بدأت كل قرية تمارس خدمة طبية تعاونية . ويمكن لاعضاء الكومونة ان يتلقوا العلاج فورا وبأقل النفقات اذا اصيبوا بالامراض الشائعة والمتكررة. اما المصابون بالامراض الخطيرة فيرسلون الى مستشفى الكومونة او الى مستشفى المحافظة او الولاية اذا دعت الحال الى ذلك .

لقد اختفى الجدرى والكوليرا منذ وقت بعيد ، كما اختفت من حيث الاساس الامراض التى كانت منتشرة بصورة مخيفة مثل امراض التهاب غشاء المخ والحمى السوداء والتيفوئيد . ويا للرعب عندما مات حوالى مائة شخص بالتيفوئيد فى عام ١٩٤٢ وحده قبل التحرير ! وتمت السيطرة ايضا على الامراض الوبائية كالحصبة والانفلونزا والدوسنطاريا . وكثيرا ما تتساءل الامهات الشابات فى استغراب واطفالهن

فى صحة جيدة : "ما هو تشنج الاربع – الست الذى يتحدث المسنون عنه ؟ " هذا لانهن لا يعرفنه بعد ان طبقت الوسائل الحديثة فى فن الولادة ، ولم يحدث ان يموت مولود هنا من هذا المرض .

ولكن هذه التحولات لم تتحقق بيسر وسهولة .

ولمدة طويلة لم يطلق العنان لتطور الخدمات الطبية والصحية فى تشيليينغ ، كما هو الحال فى الاماكن الاخرى فى البلاد كلها بسبب تشويش خط ليو شاو تشى التحريفى . قبل بداية الثورة الثقافية فى عام ١٩٦٦ كان حوالى نصف فيالق الكومونة البالغ عددها ٣٨ فيلقا لا يملك اطباء او أدوية ، واذا اراد واحد من اعضائها العلاج كان عليه ان يقطع عدة كيلومترات .

وكان مستشفى الكومونة يفتقر الى عاملى الطب والاجهزة الطبية ، ولم يستطع الجراح الوحيد فيه اجراء عملية اكبر من استئصال الزائدة الدودية .

توجيه ثقل الاعمال الى الارياف

فى سنة ١٩٦٥ اشار الرئيس ماو بصراحة الى ان وزارة الصحة كانت وقتها فى الواقع "**وزارة صحة لسادة المدن**" ، واصدر نداءه العظيم " **وجهوا ثقل الاعمال الطبية والصحية الى الارياف** " . وبعد ذلك ولا سيما بعد الثورة الثقافية التى صفت الحساب على نطاق البلاد مع خط ليو شاو تشى التحريفى تقدم العمل الطبى والصحى فى ارياف الصين

بصورة جياشة . لقد دحض عاملو الطب فى تشيليينغ خط ليو شاو تشى التحريفى لانه كان يحمل "اربع نقاط تركيز واربع نقاط اهمال" ، وهى التركيز على المدينة مع اهمال الريف ، وتفضيل الاساليب الاجنبية على الاساليب التقليدية ، ووضع العلاج فوق الوقاية ، والاهتمام بالفن الطبى مع تجاهل السياسة .

فى عام ١٩٦٧ تخرج الطبيب دوان وانغ جين الذى يعمل الآن فى مستشفى كومونة تشيليينغ من كلية الطب فى شمال خنان ، هذه الكلية التى يتخرج منها حوالى ١٢٠ طبيبا كل عام . وقبل سنة ١٩٦٦ اى قبل الثورة الثقافية الكبرى ، كان معظمهم يرسل الى حواضر المحافظات وما فوقها . ومنذ الثورة الثقافية حدث العكس . فقد ارسل كل الخريجين من دفعة الطبيب دوان الى مختلف مستشفيات الكومونات فى مقاطعة خنان سوى عدد ضئيل منهم . وفى السنوات القلائل الماضية ارسل الى مستشفى كومونة تشيليينغ ستة خريجين من الاطباء بالاضافة الى عاملى الطب الآخرين ، فتضاعف عدد عاملى الطب فيه اذا قورن بما كان عليه قبل الثورة الثقافية .

ان الاموال التى تخصصها دائرة الصحة بالمحافظة سنويا لاغراض البناء الاساسى فى مستشفى الكومونة قد تضاعفت بالمعدل اذا قورنت بما كانت عليه قبل الثورة الثقافية . فى عام ١٩٧٢ – ١٩٧٣ شيد المستشفى ٢٩ غرفة للمرضى وبنى غرفة للعمليات وغرفة للكشف بأشعة اكس وغرفة لتركيب الادوية وابتاع جهازا لاشعة اكس بقوة

٢٠٠ ملياَمبر وطاولة لجميع انواع العمليات واجهزة ضخمة اخرى . وازداد عدد الجراحين من واحد الى خمسة اشخاص ، وجميعهم قادرون على استئصال الرحم واجزاء المعدة وما شابه من العمليات فى البطن .

ان مسؤولى دوائر الصحة المركزية والمحلية دائما ما ينزلون الى الارياف بغرض التفتيش والمساعدة على العمل هناك ، كما ينظمون اطباء المدن فى فرق طبية متجولة لخدمة المناطق الريفية .

وخلال يومين فقط من خريف ١٩٧١ ، اكتشف المركز الصحى فى قرية ليوتشوانغ اعراض التهاب الكبد المعدى لدى ستة اطفال ، فاتصل هاتفيا على الفور بمستشفى الكومونة ومركز الوقاية للمحافظة الذى بلغ بدوره الدائرة الاعلى . وفى اليوم التالى حضر الى ليوتشوانغ مدير مكتب الصحة للولاية ومعه طبيبان يحملان ما يكفى من الادوية ، وقاموا مع اربعة من اطباء المحافظة والكومونة بفحص كل الاطفال فى القرية ، ووجدوا ٢٧ طفلا اصابهم هذا المرض بدرجات مختلفة . ولم يغادر المدير والطبيبان القرية الا بعد ان اتموا التشخيص واتخذوا التدابير اللازمة للوقاية والعلاج . وبقى الاطباء الذين جاؤوا من المحافظة والكومونة يعالجون المرضى الصغار بطريقة العزل الضرورى فى بيوتهم . والى جانب ذلك اشرفوا على تركيب دواء تقليدى صينى واق لجميع الاطفال الآخرين تحت السادسة عشرة من عمرهم ، وطلبوا منهم ان يتجرعوه لمدة ١٥ يوما متتالية . وبعد ثلاثة اشهر من العناية الدقيقة شفى الـ ٢٧ طفلا جميعا ، ولم تظهر حالات جديدة من هذا المرض .

ان مستشفى الكومونة يخضع للقيادة المزدوجة من دائرة الصحة بالمحافظة ولجنة الحزب بالكومونة . وتبعا لتوجيهاتهما اتخذ اجراءات مختلفة وغير عادته القديمة "انتظر المريض حتى يطرق الباب" . فراح يرسل اطباءه دائما الى مختلف الفيالق الانتاجية لتقديم الارشادات فيما يتعلق بالوقاية من المرض ، ولتدريب الاطباء الحفاة المحليين والمساعدة على ممارسة وتدعيم الخدمة الطبية التعاونية .

فى عام ١٩٦٩ ارسل المستشفى ١٣ طبيبا للقيام بمثل هذا العمل فى عشرين فيلقا انتاجيا لمدة سنة ، كما اختار ايضا عددا من الاشخاص ليدربهم فى مستشفى الكومونة او يرسلهم الى الوحدات الطبية فى المحافظة او الولاية . وهكذا تم فى السنوات القلائل الماضية تكوين اعداد غفيرة من عاملى الطب لخدمة الفيالق بما فيهم ١٣٩ من الاطباء الحفاة والقابلات . وعلاوة على ذلك قام المستشفى بالتعاون مع مراكز الصحة فى الفيالق بتدريب واعداد ٣٠٣ عاملى صحة لفرق الانتاج . انهم يعملون فى الحقول مع اعضاء الكومونة الآخرين فى الوقت الذى يقدمون لهم فيه الخدمات الوقائية من الامراض ويقومون بالدعاية وسطهم عن معرفة الحفاظ على الصحة . ولانهم قادرون على اجراء العلاج العادى بالزخز بالابر ومعالجة الامراض البسيطة ، اصبحوا قوة احتياطية للاطباء الحفاة .

ان التعاظم السريع لصفوف عاملى الطب والصحة يخلق شروطا مؤاتية لتطوير الخدمة الطبية التعاونية .

الخدمة الطبية التعاونية

ان الخدمة الطبية التعاونية احد الاشياء الناشئة التى تمخضت عن الثورة الثقافية ، وهى خدمة من خدمات الرعاية الاجتماعية فى ريف الصين تقوم على مبدأ المساهمة الاختيارية والنفع المتبادل . والوسائل المحددة التى تتخذ لممارسة هذه الخدمة تختلف باختلاف القرى والمناطق .

ولتمويل هذه الخدمة فان معظم الفيالق او الفرق الانتاجية فى كومونة تشيليينغ تستقطع من صندوقها المالى العام يوانين بمعدل الفرد كل عام ، بينما يدفع كل فرد يوانا واحدا . وتسلم كل هذه الاموال الى المركز الصحى فى الفيلق وتصبح اعتماداته المالية الجماعية الطبية . وعندما يزور احد اعضاء الكومونة الطبيب يدفع خمس فن (اى ما يساوى ثمن بيضة) كرسوم التسجيل . وفى ١٢ من الفيالق تحقق اعطاء الادوية للمريض بلا مقابل . اما فى الـ ٢٦ فيلقا الباقية فيدفع المريض مبلغا يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ فى المائة من قيمة الدواء . ولدى تلقى العلاج فى مستشفى الكومونة او مستشفى المدينة فان المراكز الصحية فى معظم الفيالق تعطى المرضى ما يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ فى المائة من نفقات الادوية او العملية الجراحية .

قبل انشاء نظام الخدمة الطبية التعاونية فى عام ١٩٦٩ ، حدث كل عام ان تصبح عدد من العائلات مدينة بسبب مرض افرادها . اما الآن فتندر هذه الحالة . وقبل ستة اعوام مات جنين فى رحم زوجة وانغ

بينغ سوى ، احد اعضاء فيلق قووانغ ، وكان عليها ان تدفع ٦٠٠ يوان مقابل مصروفات العملية الجراحية والنزول بالمستشفى ونقل الدم ، ولم يكن امام العائلة الا ان تستدين المبلغ لسداده . وفى ذلك الوقت كانت من كل خمس عشرة عائلة فى قووانغ واحدة على الاقل تقع فى مأزق كهذا كل عام . ولكن الآن اختفت هذه الحالة اساسا بفضل الخدمة الطبية التعاونية . وعلى سبيل المثال فان زوجة وانغ بينغ سوى التى لا تزال ضعيفة تتطلب العلاج والتطبيب فى معظم الاحيان ، ولكن برعاية هذه الخدمة الطبية تمكنت عائلتها من توفير المال كل عام . وفى عام ١٩٧٣ اضافت الى بيتها خمس غرف جديدة مسقوفة بالقرميد .

وبغرض تطوير الخدمة الطبية التعاونية بلا انقطاع ، امرت لجنة الحزب بالكومونة فرع الحزب فى كل فيلق من الفيالق بتعيين نائب امين ليكون مسؤولا عن ذلك العمل . ان كثيرا من فروع الحزب بدأت تباشر قيادتها النشطة للاطباء الحفاة واعضاء الفيالق فى الحركة الجماهيرية لجمع الاعشاب الطبية وزراعتها وتصنيعها ، وتشجعهم على استخدام طريقة العلاج بالوخز بالابر على اوسع نطاق ، وعلى جمع الوصفات الطبية المحلية لعلاج المرضى بنفقات قليلة او بدون نفقات .

والمركز الصحى فى فيلق قووانغ يستطيع الآن تصنيع الاعشاب الطبية التقليدية الصينية التى منها كميات كبيرة يجمعها ويزرعها اعضاء الكومونة ، ويستخلص منها ٦٠ نوعا من الادوية فى شكل حقن وحبوب ولزق ومساحيق ، وكل هذا يلائم جماهير الفلاحين ويوفر المال ، مما

جعل ميزانية المركز الصحى السنوية متوازية عموما .

وضع الوقاية فى المقدمة

ومن الاسباب التى تجعل الخدمة الطبية التعاونية اكثر فعالية فى تشيليينغ ان مبدأ الرئيس ماو القائل بـ "**وضع الوقاية فى المقدمة**" قد طبق بحزم فى السنوات القلائل الماضية تحت القيادة الموحدة للجنة الحزب فى الكومونة .

فى بعض القرى يسمع احيانا جرس يرن وتعقبه نداءات تدعو الناس الى اخذ نصيبهم من الدواء الواقى . فيخرج اعضاء الكومونة نساء ورجالا الى مكان محدد حاملين طاساتهم التى يغمسونها فى جرادل مملوءة بسائل ساخن من الدواء التقليدى الصينى ويغرغونه ويشربونه . وكثير منهم يملؤون كذلك طاساتهم ويحملونها الى اطفالهم فى المنازل . ومركبات العقاقير يوزعها المركز الصحى التابع للفيلق على كل فرقة من فرق الانتاج حسب عدد افرادها ، وهى بدورها تعين شخصا لغليها . ومنها ادوية واقية من لفحة الشمس فى الصيف ، والتهاب الامعاء والدوسنطاريا فى الخريف ، و الانفلونزا فى الشتاء ، ومنها دواء مخصص للاطفال واق من الحصبة فى الربيع .

هذا فقط احد الاجراءات لتطبيق مبدأ "**وضع الوقاية فى المقدمة**" فى تشيليينغ . ومن اجل الوقاية من الامراض الوبائية تقدم الدائرة الصحية بالمحافظة كل عام كميات كبيرة من لقاح الجدرى والادوية الواقية

من الالتهاب السحائى الوافد والتهاب الدماغ (ب) والحمى المتموجة والتيتانوس والحصبة والتيفوئيد والملاريا وشلل الاطفال وغيرها . ويوزع مستشفى الكومونة كل هذه بلا مقابل على المراكز الصحية فى الفيالق .

ان الملاريا مرض شائع ومتكرر فى تلك المنطقة . فى عام ١٩٧٢ وجد مستشفى الكومونة ثمانى قرى كانت نسبة الاعتلال فيها تجاوزت ٢ بالمائة ، وقرر فى عام ١٩٧٣ تقديم الدواء لكل شخص هناك ولكل من اصيب بهذا المرض من قبل فى القرى الأخرى . وبما انه اتخذ هذه الاجراءات الفعالة انخفضت نسبة الاعتلال بصورة سريعة . ففى عام ١٩٧٢ انخفضت النسبة بـ ٥٥ فى المائة بالمقارنة مع عام ١٩٧١ ، وفى سنة ١٩٧٣ هبطت بـ ٥٩ فى المائة بالمقارنة مع السنة السابقة لها .

يثابر عاملو الطب فى تشيلينغ على التمسك بالخط الجماهيرى ، وعن طريق الدعاية والتنظيم على نطاق واسع يجعلون الجماهير تنفذ تنفيذا واعيا تعليم الرئيس ماو القائل بـ "**التعبئة والاهتمام بالحفاظ على صحة وتقليل الامراض ورفع المستوى الصحى** ." والمركز الصحى لفيلق قووانغ هو واحد من المراكز التى طبقت هذا التعليم بصورة جيدة .

ان وانغ تشونغ ون وثلاثة اطباء حفاة آخرين ومعهم خمسة عمال صحيين فى قرية قووانغ يستغلون دائما مختلف الاجتماعات الجماهيرية للدعاية حول معرفة الحفاظ على الصحة والوقاية من الامراض . ويضربون الامثلة الحية الايجابية والسلبية بالاشخاص او الحالات لايضاح اهمية حفظ الصحة . وكذلك ينظمون اشعارا بسيطة عن معرفة الوقاية مـن

الامراض ، ويطبعونها على اوراق حمراء فى شكل منشورات يلصقونها على ابواب المنازل حتى يمكن تذكرها . كما ان جميع الصبيان فى المدارس الابتدائية والثانوية ينظمون للقيام بالدعاية النشطة من هذا النوع . وفى الصيف يحملون المذبات ويطوفون فى كل مكان يبيدون الذباب بها .

فى عام ١٩٧١ شن عاملو الطب فى فيلق قووانغ بتأييد فرع الحزب وبارشاد مستشفى الكومونة حركة جماهيرية لاحداث "خمسة تحسينات" (تحسين المراحيض ، وحظائر الخنازير ، والآبار ، وافران الطبخ ، والبيئة) . لقد ادت هذه الحركة الى جعل الفضلات لا تضر بالصحة ، وضمان نقاء الشرب ونظافة المطابخ . انها لم تكتف بخفض نسبة المرض بل ساعدت اعضاء الكومونة على تجميع السماد اكثر ، وتقليل الوقود المستهلكة . ان تجارب قووانغ هذه قد عممت فى الكومونة كلها .

فى العامين الأخيرين لم يكن فى قرية قووانغ البالغ عدد سكانها ١٠٠٠ فرد من اصيب بالملاريا او الدوسنطاريا او اى مرض معد خطير . كما قلت الامراض الاخرى بدرجة عظيمة ايضا .

يقول اعضاء الكومونة بابتهاج ان مبدأ "**وضع الوقاية فى المقدمة**" الذى طرحه رئيسنا ماو المحبوب احسن اسلوب ، كما يقول المثل : "تجنب الاعتلال افضل من اى علاج فعال" .

تحديد النسل

ادخلت مسألة تحديد النسل فى جدول الاعمال اول ما ادخلت

فى عام ١٩٦٤ . الا ان هذا العمل اخذ ينتشر على نطاق واسع منذ شتاء ١٩٧٢ . كانت كومونة تشيليينغ متخلفة بهذا الصدد فى الماضى ، وهى الآن فى سبيلها الى اللحاق بالكومونات الاخرى .

فى ربيع وشتاء ١٩٧٣ ، تشكلت فرقة عمل من اطباء امراض النساء والولادة لمستشفى الكومونة ومن بعض الاطباء الحفاة والقابلات والكادرات من القرى المختلفة وانقسمت الى عدة جماعات صغيرة تغلغلت فى مختلف القرى للدعاية عن تحديد النسل وتزويد النساء الراغبات بحلقات منع الحمل . وفى اواسط ديسمبر ١٩٧٣ كانت نصف نساء الكومونة القابلات للحمل (المجموع الكلى ٥٦٩٦) قد تزودن بهذه الحلقات ، وربع النساء بدأن يستخدمن اساليب اخرى لمنع الحمل ، مثل أخذ الحقن او ابتلاع الدواء . كما كانت هناك ثلاثة بالمائة اجريت عليهن عمليات التعقير بناء على رغبتهن ، ومعظمهن ولدن اطفالا كثيرين او تعرضن للولادة المتعسرة . هذا من جهة ومن جهة اخرى كان فى الكومونة عدد معين من اللائى بقين عاقرات لسنوات بعد الزواج ، فقدم لهن العلاج اللازم حتى اصبحن امهات .

ان كوادر كومونة تشيليينغ واعضاءها يسخرون من السفسطات التى يروجها الامبرياليون والمحرفون المعاصرون حول ما يسمونه بمشكلة السكان فى الصين . ففى عام ١٩٥٧ اى العام الذى سبق تأسيس الكومونة كان عدد السكان المحليين ٣٦٫٠٠٠ نسمة ، واصبح الآن ٢٠٠ ر٥٣ نسمة اى بزيادة ٤٧ بالمائة خلال خمسة عشر عاما . الا انه

خلال نفس الفترة تضاعف معدل مردود الحبوب فى مو الواحد بـ ٥ر ٦ مرة – من ١٦٧ جين الى ١١٠٠ جين . وفى النصف الثانى من الخمسينيات كانت تشيليينغ تشترى من الدولة عدة ملايين جين من الحبوب كل عام . وفى عام ١٩٧٣ باعت لها ٧ ر ١١ مليون جين من الحبوب . ان هذه الارقام تشكل دحضا قويا لجميع المالتوسيين القدامى والجدد .

اذا كان الحال هكذا فلماذا اذن يريد الناس هنا تحديد النسل ؟ ان وانغ تشاو لان وهى عضوة من فيلق قووانغ قدمت فى اجتماع النساء الذى عقد مؤخرا فى القرية حول هذا الموضوع جوابا مقنعا .

ان وانغ تشاو لان امرأة قديرة وقوية البنية تبلغ ٣٢ عاما من عمرها . وقبل عشرة اعوام عندما تزوجت ، كانت رئيسة فصيلة النساء فى الفرقة الانتاجية الخامسة وعضوة من لجنة فرع عصبة الشبيبة الشيوعية للفيلق . وكانت مبادرة فى اعمال الحقول و اعمال بناء مشاريع الرى وفى نشاطات الميليشيا وعصبة الشبيبة الشيوعية . ولكن بعد ان مر على زواجها خمس سنوات انجبت فيها اربعة اطفال تدهورت صحتها وصارت تشعر بألم دائم فى خصرها وفى ظهرها بالاضافة الى ارتباطات الاطفال التى كانت حملا ثقيلا عليها ، فقلت مساهمتها فى العمل الجماعى ولم تستطع مواصلة قيادة فصيلتها النسائية وصعب عليها ان تساهم فى اى نشاط عام . انها لم ترض بتخلفها فى السياسة او فى العمل الجماعى ولكنها غير قادرة على تحويل هذه الحالة ، فاستبد بها حزن شديد . وكلما كانت

تتحدث الى امين فرع الحزب حول هذه المسألة كانت تجهش بالبكاء .

قبل اربع سنوات قدم لها مستشفى الكومونة حلقة واقية من الحمل ، فلم تنجب طفلا بعد ذلك وعادت اليها صحتها . ولم يمض وقت طويل حتى تقلدت منصب قيادة فصيلتها النسائية وسارت مرة اخرى فى المقدمة للقيام بالعمل والنشاطات العامة . وفى عام ١٩٧٢ تم قبول وانغ تشاو لان فى منظمة الحزب الشيوعى الصينى . وهى تعمل الآن نائبة لرئيسة الاتحاد النسائى فى الفيلق وعضوة فى لجنة تحديد النسل .

الاطباء الحفاة

ان الاطباء الحفاة لا غنى عنهم سواء أكانوا فى اعمال الدعاية لتحديد النسل ام فى الوقاية من الامراض وعلاجها . انهم يشكلون فى حقيقة الامر السلسلة الفقرية فى العمل الطبى والصحى فى الريف . ومعظمهم شباب منحدرون من عوائل الفلاحين الفقراء او الادنى متوسطين يتمتعون بدرجة عالية من الوعى الاشتراكى ويتحلون على الاقل بمستوى التعليم المتوسط . وقد قبلوا فى صفوف الاطباء الحفاة عن طريق تزكية الجماهير وبموافقة فرع الحزب .

يساهم الاطباء الحفاة فى اعمال الحقول خلال المواسم الكثيرة العمل ، ويتقاضون كغيرهم من اعضاء الكومونة دخلا يتشكل من نقاط العمل بالاضافة الى اعانة ضئيلة . ونظرا لانهم ولدوا وترعرعوا فى هذه المنطقة ، فهم يعرفون اكثر من غيرهم من اصابهم المرض ، وما هى

فنانون فلاحون لفيلق تشيليينغ يقدمون العرض لاعضاء الكومونة فى الحقول

موسيقيون من الفرقة الفنية يتشاورون خلال فترة التمرين . ليوى ين تينغ (الثالث من اليسار) هو ضارب الطبل والمؤلف الرئيسى فى الفرقة

دونغ داو رونغ (الاولى من اليسار) عملت في عائلة لاحد ملاك الاراضي منذ كانت في التاسعة من عمرها قبل التحرير . وهي الآن نائبة لامين فرع الحزب العام في فيلق تشيليينغ ومسؤولة عن اعمال النساء والصحة العامة

غرفة جديدة للعمليات في مستشفى كومونة تشيليينغ ، وهو المركز الرئيسي للشبكة الطبية والصحية التي تمتد الى جميع اركان الكومونة وتشتمل على الخدمات الطبية التعاونية في كل قرية من قراها

الاطباء الحفاة يقدمون خدمات وقائية و يعالجون الامراض اثناء عملهم في الحقل

جيل جديد فى تشيليينغ

الامراض التى تنتشر فى المواسم المختلفة . لذلك يفتح اعضاء الكومونة قلوبهم لهم بلا تحفظ .

ودائما ما تحدث الحاجة الى خدماتهم فى اوقات الاكل ، فيضعون جانبا طاساتهم وعيدانهم ويتجهون فورا الى بيوت المرضى . وفى الليل ، حالما يسمعون احدا يطرق الباب ينهضون بسرعة ويخرجون لعلاج المرضى . لقد قال احدهم : "ان كل ساعات يومنا هى ملك لاعضاء الكومونة ." ورغم ان هذا يحتوى على شىء من المزاح الا انه هو الحقيقة .

ان الاطباء الحفاة الشباب خالون من الفكرة المحافظة ومتمتعون بالقابلية القوية لأشياء جديدة . انهم يتعلمون الطب بجد واجتهاد لكى يقدموا احسن ما يمكنهم من الخدمات لاعضاء الكومونة .

واصبح ليانغ تسنغ شيوه وهو واحد منهم من فيلق لونغتشوان ، قادرا على العلاج بطريقة الوخز بالابر بعد سنوات من الدراسة الجادة . وقد نجح بهذه الطريقة فى علاج حالات كثيرة من شلل الوجه والشلل النصفى الحديث الاصابة والالتهاب الشعبى للاطفال . وفى بعض الاحيان يقطع اعضاء الكومونة المصابون بأمراض مستعصية عشرات الكيلومترات سعيا لتلقى العلاج على يديه . اضف الى ذلك انه قام بنجاح تام بخلع الاسنان لخمسين شخصا باستخدام طريقة التخدير بالوخز بالابر .

عندما يباشر لى.ليانغ تونغ وهو طبيب حاف فى فيلق ليوتشوانغ ، علاج المرضى من الفلاحين الفقراء والادنى متوسطين لا يسألهم فقط عن تاريخ امراضهم بل يسألهم ايضا عن حياتهم القاسية المريرة قبل

التحرير ، وادرك من خلال ذلك ان عددا كبيرا من الامراض المزمنة التى اصابتهم هى نتيجة لما تجشموه من العمل الشاق فى المجتمع القديم وهم يعيشون تحت براثن الفقر والعوز . هناك امرأة مسنة كانت تكسب قوتها بندف القطن اصيبت بالالتهاب الشعبى المزمن واستولى عليها الالم لمدة طويلة . وقالت له ذات مرة :

– قبل التحرير لم يكن لدينا غير القلق على الطعام والملبس . وبعد التحرير اصبحت الحياة حسنة . الا ان مرضى القديم لا يزال يجر قدمى ، فلا استطيع ان اساهم فى العمل الجماعى ، هذا اول ما يقلقنى الآن .

ان هذه الكلمات تشكل دفعا عظيما لى لينغ تونغ وتجعله يتعمق فى البحث فى الطب الصينى والطب الافرنجى ، ويقدم كل ذرة من قواه لازاحة الآلام عن اخوانه واخواته الطبقيين . وقد اصبح الآن معروفا بأنه متقدم فى المعرفة والمهارة بين الاطباء الحفاة على نطاق الكومونة . وكثيرا ما يأتى لاستشارته اطباء حفاة من القرى المجاورة عندما يواجهون الحالات المستعصية .

قبل عام كان الموت يهدد شن هوا تينغ وهى امرأة فلاحة فى الـ ٦٥ من عمرها فى ليوتشوانغ ، من جراء الالتهاب الشعبى المزمن ومضاعفات المرض فى قلبها . كان نبضها ضعيفا وتنفسها صعبا وقد يئس بعض الاطباء من حالتها . وعندما سمع لى لينغ تونغ بحالتها الخطيرة بعد عودته من السفر هرع فورا الى بيتها يحمل حقيبته ، ولاجل اسعافها استخدم وسائل عديدة واستمر فى العمل حتى الساعة الثانية فى

الليل وتمكن من اعادتها الى الحياة . بعد ذلك اشرف على تمريضها بعناية فائقة لمدة اسبوع حتى تمكنت من الوقوف والمشى .

لقد اصبح لكل من الـ ٣٨ فيلقا انتاجيا فى كومونة تشيليينغ اطباء حفاة من امثال لى لينغ تونغ ولينغ تسنغ شيوه ، ويرحب بهم اعضاء الكومونة ويكنون لهم الحب . الا انهم غير قنوعين بما احرزوه حتى الآن . انهم كالآلاف وعشرات الآلاف من الاطباء الحفاة فى الصين ، مصممون على اتخاذ الدكتور بيثيون (١) قدوة لهم وعلى تقديم كل حياتهم لخدمة تحسين صحة الشعب .

---

(١) انظر مقالة « فى ذكرى نورمان بيثيون » ، « مؤلفات ماو تسيتونغ المختارة » ، المجلد الثانى .

خاتمة

فى ٨ ديسمبر ١٩٧٣ حضرت للمرة الثالثة الى كومونة تشيليينغ الشعبية التى كنت قد عرفتها معرفة جيدة وشعرت بالتصاقى بها . وجئت اليها وحيدا فى هذه المرة ، ومكثت هناك ثلاثة اسابيع حيث جمعت المعلومات للفصول الاخيرة من هذا الكتاب ، وفى الوقت نفسه راجعت حقائق وارقاما معينة .

وخلال فترة الشهرين القصيرة التى غبت فيها حدثت تغيرات غير صغيرة فى الكومونة ، وفى حقيقة الامر يبدو وكأنما يولد شىء جديد كل يوم !

فى مكان مجاور لمقر الكومونة كان يجرى تشييد بنائين كل منهما اكبر من حجم ملعب كرة السلة ، وهذا لتوسيع ورشة الاصلاح لمحطة الجرارات . وفى مدرسة التقنية الزراعية ظهر الى حيز الوجود صف من المبانى الجديدة المصنوعة من الطوب الاحمر تم بناؤه فى بحر اسبوعين فقط على ايدى المعلمين والطلاب انفسهم كما اخبرونى ذلك مفتخرين . وعند منعطف الشارع بجانب مقر الكومونة كان يجرى بناء عمارة كبيرة ستكون امتدادا للمخزن العام التابع لتعاونية التموين والتسويق .

لقد شاهدت فى جميع القرى التى ذهبت اليها دلائل عديدة على الرخاء والازدهار . فى ضواحى قرية باليوشو الشمالية الشرقية كانت هناك تلال رملية جرداء تحتل ٦٠٠ مو من الارض ، وبتوجيه من لجنة اصلاح التربة الرملية فى القرية تمت اليوم تسوية واستصلاح ما يقرب من نصفها ، وبدأ تطبيق خطة جلب مياه من النهر الاصفر لرى هذه المنطقة فى بداية الربيع وتحويلها تدريجيا الى مزارع خصبة ، كما ستتم زراعة حزام واق من الرياح من اشجار التوت التى تساعد القرية على تطوير تربية دود القز .

اخبرنى الكوادر اشياء كثيرة جديدة .

احتل فيلق شيانغشينغ مركز الصدارة فى انتاج القطن على نطاق الكومونة ، فقد بلغ انتاجه على ارضه الفقيرة الرملية ٢٠٤ جين من القطن المحلوج فى مو الواحد فى عام ١٩٧٣ . وقال الفلاحون فى فخر : "لقد نهض طاووس ذهبى طائرا من اكوام الرمل !"

فى عام ١٩٧٣ اضافت الكومونة الى نجاحاتها البارزة نجاحات جديدة وازدادت مساهماتها للبلاد . وعلى سبيل المثال فقد باعت الى الدولة ٧ ر١١ مليون جين من الحبوب فى ذلك العام اى ثلاثة اضعاف حصتها المقررة . وقد نشرت الصحف ورددت الاذاعات من حين لآخر اخبارا عنها . وبانتشار شهرتها ازداد عدد القادمين اليها لزيارتها والتعلم منها .

بعد ان احرزت الكومونة كل هذه المنجزات واجه كوادرها

واعضاؤها تحديا جديدا وهو : هل تتقدم الى الامام لتحقيق المزيد من النجاح ام تكتفى بالاكاليل التى زينت عنقها ؟

فى نوفمبر ١٩٧٣ سخرت لجنة الحزب واللجنة الثورية فى الكومونة عشرة ايام متتالية لحملة نقد لين بياو وتقويم اسلوب العمل . وخلال ثلاثة ايام من هذه العشرة اصطحب امين لجنة الحزب تيان اكثر من اربعين كادرا طاف بهم على عدة كومونات وفيالق متقدمة فى المحافظات المجاورة للتعلم من جوانبها الجيدة . فظهر لهم ان كومونة تشيليينغ كانت متخلفة عن تلك الوحدات المتقدمة فى النواحى العديدة ولاسيما فى ناحية اشتراك الكوادر فى العمل الجسمانى الجماعى وتطوير اسلوب الحياة البسيطة والنضال الشاق . ولدى عودتهم قاموا بدراسة وثائق المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى الصينى وتعمقوا فى نقد خط لين بياو من جهة ، ومن جهة اخرى قارنوا عملهم بعمل الوحدات المتقدمة وتحدثوا عن انطباعاتهم بعد زيارتهم واستوضحوا نقاط التقصير عندهم وناقشوها بصورة حادة . وفى تلخيص عمل العام الكامل طرحوا اجراءات لتحقيق قفزة كبرى اعظم فى المستقبل .

وناضل اعضاء الكومونة الغفيرون كذلك ضد اتجاهات الغرور والقناعة التى ظهرت لديهم ، وصمموا على التعلم بتواضع من الكومونات الاخرى . وفى اواسط ديسمبر ذهب اكثر من ٤٠٠ من الرجال والنساء فى فيلق ليوتشوانغ بالشاحنات الى محافظة هويشيان المجاورة ليتعرفوا على بعض المنجزات هناك . كما قام معلمو وطلاب مدرسة التقنية الزراعية

برحلة دراسية الى قناة العلم الاحمر المشهورة فى كل انحاء البلاد فى محافظة لينشيان .

خلال الصيف الذى قضيته فى تشيليينغ شاهدت كيف كانت فيالقها تخوض حملة قوية – حملة المقارنة مع المتقدم والتعلم منه واللحاق به ومساعدة بعضها المتأخر ، وشاهدت كذلك تدفق الزوار المتواصل من جميع انحاء البلاد للتعلم من تشيليينغ . لقد ترك كل ذلك انطباعا عميقا فى ذهنى وهو ان هذه الكومونة اشبه بمدرسة للشيوعية .

اما زيارتى هذه فقد تركت فى ذهنى انطباعا ثانيا اكبر وهو ان الناس هنا لم يكونوا قانعين بالدراسة على نطاق الـ ٩٣٫٠٠٠ مو من ارضهم ، بل بدأوا يسافرون بدفعات كثيرة للتعلم والتعلم مرة اخرى فى اماكن عديدة اخرى . فسألت نفسى : أو ليس وطننا العظيم كله والذى تبلغ مساحته ٩٫٦ مليون كيلومتر مربع هو مدرسة اكبر للشيوعية ؟

حقا ان بلادنا بلاد اشتراكية نامية وما زالت فقيرة اقتصاديا . الا انه ما من احد ينكر تقدمنا الى الامام بخطوات واسعة ، وحتى بعض الذين كانوا يناصبون الصين الجديدة العداء يعترفون الآن بأن ريف بلادنا الذى ظل راكدا ومتخلفا قرونا عديدة قد تغيرت ملامحه اليوم تغيرا هائلا وسريعا .

ان اكثر ما يثير نفسى هو ان الفلاحين العاديين الذين نظموا فى الكومونات اصبحوا يفهمون الصلة التى لا تنفصم بين عملهم اليومى وبين الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى على صعيد البلاد كلها ، يفهمون كذلك الهدف السامى للشيوعية . وفى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وحملة نقد

لين بياو وكونفوشيوس التى تجرى الآن فى كل انحاء البلاد دحضوا دحضا حادا العالم القديم وممثلى جميع الطبقات الرجعية . ان وعيهم السياسى المرتفع قد ولد قوة لاحدود لها فى بناء العالم الجديد .

ومنذ وقت بعيد يعود الى اغسطس ١٩٥٨ ، اعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى قرارها حول تأسيس الكومونات الشعبية فى المناطق الريفية "... ان الكومونات الشعبية هى احسن شكل من اشكال التنظيم لانجاز البناء الاشتراكى والانتقال التدريجى الى الشيوعية ، وسوف تتطور حتى تصبح وحدات قاعدية اجتماعية للمجتمع الشيوعى فى المستقبل ."

خلال الخمس عشرة سنة الماضية وعلى هدى الخط الثورى للرئيس ماو ، لم يدفع نظام الكومونة الشعبية الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى الى الامام فى ريف الصين فحسب ، بل خلق ايضا الظروف المؤاتية لتربية واعداد الكوادر الريفيين والفلاحين ذوى الافكار الشيوعية .

ان الكومونات الشعبية ، هذه الظاهرة الجديدة ، سوف تستمر فى التطور . وبالرغم من ان الطريق بين ظروفنا الراهنة والمستقبل الشيوعى مازال طويلا جدا ، الا ان ذلك الهدف السامى لا بد من الوصول اليه بالتأكيد ، وكل ما شاهدناه وسمعناه فى كومونة تشيليينغ يعزز من هذا الاعتقاد .

تشو لى